تطور الخط العربي في القرنين السابع والثامن الميلادي

دراسة تحليلية انتقائية

رسالة أعدت لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه

إعداد

فرحان أنصاري

إشراف

البروفيسور فيضان الله الفاروقي

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي – 110067

2015

Tatawwur al-Khat al-Arabi fi al-Qarnain al-Sabi' wa-Aththamin al-Miladi: Dirasah Tahliliyyah Intiqaiyyah

(Development of Arabic Calligraphy in Seventh and Eighth Century: An Analytical Selective Study)

Dissertation submitted to the Jawaharlal Nehru University in partial fulfillment of the requirements for the award of the degree of

Master of Philosophy

By

FARHAN ANSARI

Under the Supervision of

Prof. F. U. FAROOQUI

Centre of Arabic and African Studies

School of Language, Literature and Culture Studies

Jawaharlal Nehru University

New Delhi-110067

2015

مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

Dated: / /2015

DECLARATION

I declare that the work in this dissertation entitled *"Development of Arabic Calligraphy in Seventh and Eighth Century: An Analytical Selective Study"* submitted by me is an original research work and has not been previously submitted for any other degree in this or any other University/Institution.

FARHAN ANSARI
(Research Scholar)

Prof. F. U FAROOQUI
(Supervisor)
CAAS/SLL&CS/JNU

Prof. MUJEEBUR RAHMAN
(Chairperson)
CAAS/SLL&CS/JNU

مقدمة البحث

يتميز البشر عن غيره من الكائنات الحية بما وهبه الله تعالى من مواهب وقدرات فطرية على الكلام ليكون وسيلة للتعبير عن الأفكار والأحاسيس والمشاعر. والناس في العصور الموغلة في القدم كانوا يعتمدون على ذاكرتهم ويتواصلون فيما بينهم عن طريق الإشارات والكلام. ولكن عندما تطوروا وأحسوا بضرورة نقل الأفكار والآراء إلى شعوب المناطق النائية جماعات وأفرادا، فكّروا في إيجاد وسيلة تمكنهم من إيصال هذه الأفكار وتلك المشاعر إلى الآخرين. فهداهم هذا التفكير إلى اختراع الكتابة التي تعتبر أداة من أدوات التواصل ووسيلة من وسائل حفظ الموروث والنتاج الفكري للأمم والشعوب.

والخط العربي هو فن من الفنون الإبداعية التشكيلية التي توجت الحضارة العربية والإسلامية، كما استوحت منه الحضارات العالمية المختلفة. فهو يختلف عن الخطوط الأخرى ويمتاز عنها في تجاوزه لنقل الأفكار والمعاني إلى التعبير عن الرقش العربي والفن التشكيلي وجمالية الهندسة المعمارية. وكتابة الخط ليست مجرد حرفة كالوراقة، بل هي فن يتطلب موهبة وفِطْنة ودُربة طويلة.

ويرجع تاريخ الخط العربي إلى أكثر من ألفي عام عندما هاجر العرب "الأنباط" من قلب الجزيرة العربية إلى شمالها، وأسسوا هناك مملكة قوية، وكانت عاصمتهم مدينة "البتراء" التي تقع اليوم في الأردن. وقد برَع العرب الأنباط في كثير من الفنون مثل العمارة والتجارة والريّ والزراعة، كما أنهم ابتكروا الكتابة العربية التي نعرفها اليوم.

وقد تأثر العرب الأنباط بجيرانهم "الآراميين" الذين كانوا يعيشون في منطقة مجاورة لهم، فأخذ هؤلاء الأنباط خطهم الآرامي، وقاموا بتطويره وتحسينه، كما أنهم كتبوا به لغتهم العربية التي كانوا يتحدثون بها، وسرعان ما انتشر الخط النبطي العربي بين القبائل العربية الأخرى.

وكان العرب قبل الإسلام لا يهتمون بالكتابة كثيرا وإنما يعتمدون على ذاكرتهم، فنطاق استخدام كتابتهم كان محدودا في أغراض قليلة مثل كتابة العهود والاتفاقيات بين القبائل وتنظيم التجارة وتسجيل

حسابات البيع والشراء والديون. ولكن عندما جاء الإسلام وحث القرآن الكريم على القراءة والكتابة، انطلاقا من آياته الخمس الأولى التي نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم، [اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم] (العلق: 1-5)، بدأ المسلمون يهتمون بالقراءة والكتابة.

فكان نزول هذه الآيات بداية الرحلة الرائعة التي انطلق منها الخط العربي من خلال دعوة الإسلام إلى تعليم الخط والكتابة وتعلمهما، حتى خرج من عربيته إلى عالميته بفضل القرآن وأصبح خطوة فنية وجمالية مع بزوغ شمس الإسلام في غار حراء.

وقد تطور الخط العربي بعد أن كان نقوشا بدائية غامضة إلى صورته الرائعة التي نقرأها ونكتب بها اليوم، في القرنين السابع والثامن الميلادي، والذين يشتملان بشكل رئيسي على العصر الإسلامي والعصر الأموي، بسبب احتلال اللغة العربية مكانة مرموقة بين المسلمين لكونها لغة القرآن ولغة الإسلام، فأخذ الناس يقبلون على تعلمها ويسعون إلى إتقان خطها وجودته، فتعددت أنواع الخطوط وأصبحت آية في الجمال والروعة تسرّ الناظرين إليها وتسحر أعينهم.

لقد اكتسب الخط والكتابة أهمية بالغة في الإسلام لما فيهما من مصالح دينية ودنيوية، بيّنها القرآن الكريم في مواضع عديدة، كما اهتم بها النبي صلى الله عليه وسلم حيث جعل فداء الأسرى من كفار قريش ممن لم يكن له فداء – وهو يعرف القراءة والكتابة – أن يعلّم أولاد المسلمين الكتابة. كما أبرز أهمية الخط والكتابة العديد من العلماء والأدباء، وكتبوا كتبا موسوعية. فقد وضع أحمد بن علي القلقشندي كتابا اسمه "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"، ودبّج ابن قتيبة كتابه الشهير "أدب الكاتب"، وما إلى ذلك من العلماء والأدباء الكثيرين الذين تناولوا هذا الموضوع.

لقد تبوأ الخط العربي مكانة مرموقة بين خطوط اللغات العالمية الأخرى، حيث استعارت أمم أخرى حروف هذا الخط في كتابة لغاتها المختلفة، مثل: التركية، والفارسية، والأردية، والكردية، والأفغانية. ونال الخط العربي حظا وافرا من عناية الباحثين ورعاية الخطاطين والفنانين المسلمين. فكان العرب قد تفرغوا

لهذا الفن الجميل، وأبدعوا فيه أساليب وأنواعا للكتابة. وتكمن أهمية الخط العربي في أن الخطاطين المبدعين والفنانين المسلمين قد استخدموه لأغراض مختلفة مثل كتابة المصاحف وتزيينها والكتابة على واجهات المساجد والمآذن وغيرها من القصور الفخمة والقطع الفنية بالعبارات الجميلة الرشيقة بالخط العربي، كما اعتبروه تراثا عربيا إسلاميا وفنا جميلا من الفنون الإسلامية الرائعة التي أهدتها الحضارة الإسلامية إلى العالم.

وربما يكتسب هذا الموضوع أهميته إذ أن الأدب العربي نثرا وشعرا لا يمكن القراءة والكتابة عنهما إلا بتواجد الخط العربي وتعلمه وتعليمه من خلال القلم الذي ذكره الله تعالى في كلامه المجيد: [ن.والقلم وما يسطرون] (القلم:1). فكان ذلك تكريما للكتابة والكاتبين، وكانت الحاجة ماسة إلى أن يدرس الخط العربي وأنواعه في بحوث ورسائل جامعية حتى تتجلى أهميته ويطلع عليه الباحثون والدارسون ويستفيدوا من ذلك.

ومن الدوافع التي أدت بي إلى اختيار هذا الموضوع للبحث تعلقي بالخط والكتابة منذ أن كنت طالبا في المدرسة، ففي هذه المرحلة فكرت في تعلم الخط والكتابة ومعرفة رسم الحروف العربية، وبدأت أتعلم الكتابة، إلا أن المهام الروتينية قد حالت بيني وبين تعلم الكتابة بعد أيام قليلة، فاضطررت لتركه وانصرفت عنه على مضض. ولكن عندما التحقت بجامعة جواهر لال نهرو، وكنت طالبا في الماجستير بمركز الدراسات العربية والإفريقية، انصرفت إلى قراءة مجلة "العربي" التي تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، كما كتبتُ رسالة إلى وزارة الإعلام بدولة الكويت للاشتراك في المجلة، فوافقوا على طلبي وأصدروا المجلة بإسمي. وذات يوم عندما تلقيت نسخة من المجلة، وجدت معها هدية، وكانت هذه الهدية عبارة عن كتاب صغير يخص بموضوع "موسوعة الخط العربي". كما تلقيت هدية أخرى منه يحمل عنوان "حكاية الخط العربي". وحينما تصفحت أوراق هذين الكتابين الصغيرين، وجدتها أنها تحكي قصة رحلة الخط العربي منذ أن كانت حروفه نقوشا غامضة في الأحجار وجدران المعابد حتى وصلت إلى ما هو

عليه الآن. كما رأيت فيهما أشكالها الرائعة ورسومها الزاهرة بشكل صور إنسانية أو حيوانية، فاندهشت حينذاك وأزمعت على إجراء البحث حول هذا الموضوع الذي يتمثل في التراث العربي الإسلامي الأصيل.

وعلى الرغم من تواجد الكتب المختلفة عن الخط العربي والخطاطين، والدراسات العديدة حول فلسفة الخط وطريقة كتابته وأنواعه وشروطه وأدواته، إلا أن ما بين أيدينا من المصادر والمراجع لا تركز على أصل الخط العربي واشتقاقه وتطوره في عصوره المبكرة وخاصة في القرنين السابع والثامن الميلادي، بل هي تخلق ثقافة خطية وتفيدنا بالمعلومات عن الأنواع البارزة للخط العربي والتي ظهرت في العصور المتأخرة نسبيًا، كما لا نجد أحدا قام بإجراء بحث حوله في أي جامعة من الجامعات الهندية. فعدم وجود دراسة سابقة في ظني هو أيضا من العوامل التي دفعتني إلى أن أجري بحثا حول موضوع يحدّد مشاكل الخط العربي التي نتجت عن قلة اهتمام الباحثين بدراسة أصل الخط العربي واشتقاقه وتطوره وأنواعه وأدواته في عصوره المبكرة، ثم يعالجها بتطبيق طريقة البحث العلمي. أما الحدود الزمنية لهذه الدراسة فقد قيّدتها في القرنين السابع والثامن الميلادي أي تطور الخط العربي منذ عصر ما قبل الإسلام حتى بداية العصر العباسي.

وانتهجنا في هذا البحث منهج الدراسة الانتقائية للخط العربي، كما حاولنا أن يكون البحث بحثا موضوعيا ومركزا. وتحدثنا فيه عن تعريف الخط والكتابة وعن أهميتهما مع ذكر الفرق بينهما، وناقشنا نشأة الخط وتاريخ الكتابة وتطورهما في عصر ماقبل الإسلام والعصر الإسلامي والعصر الأموي وبداية العصر العباسي، وتكلمنا على أنواع الخطوط العربية التي ظهرت وابتكرت في هذه العصور مع ذكر خصائصها البارزة بالإضافة إلى اللوحات والمصاحف الخطية الفائقة على اختلاف أنواعها. واستفدنا في هذا البحث من المصادر الأولية والثانوية واللوحات الخطية والمصاحف القديمة المختلفة التي كتبتها أيادي الخطاطين المبدعين.

كما يقوم هذا البحث على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، وقد قسمت الأبواب إلى فصول، مراعيًا بذلك تقسيمات الرسائل بعامة. والأبواب التي يتضمنها البحث كما يلي:

الباب الأول: وهو يحمل عنوان "المدخل إلى الموضوع". وفيه ثلاثة فصول، وهي:

الفصل الأول: وهو بعنوان "أهمية الخط والكتابة والفرق بينهما". عرفّت فيه الخط والكتابة لغةً واصطلاحًا، وفي ضوء القرآن والسنة وأقوال الفلاسفة والمؤرخين والعلماء والخطاطين. كما تحدثت فيه عن أهمية الخط والكتابة في تدوين الدواوين والتواريخ وتسجيل الأفكار والآراء وكتابة الكتب والمؤلفات وما إلى ذلك من أغراض التواصل الأخرى. وتحدثت فيه أيضا عن الفروق بين الخط والكتابة إذ أن كل خط كتابة وليست كل كتابة خطا.

الفصل الثاني: وهو بعنوان "نشأة الخط والكتابة وتطورهما". تكلمت في هذا الفصل بإسهاب على بداية الكتابة وتطورها منذ أن كانت كتابات تصويرية على الأحجار والطين وجدران المعابد وفي الكهوف. كما تناولت فيه دراسة تاريخ الكتابة ومراحل تطورها الثلاثة، وهي: الكتابة التصويرية – الرمزية، والكتابة المقطعية، والكتابة الأبجدية. وذكرت خلالها الكتابة المصرية المتمثلة في الكتابة الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية والقبطية، والكتابة الفينيقية التي تخرجت منها جميع الأبجديات العالمية. وختمت هذا الفصل بذكر الكتابة العربية واستعراض الآراء والنظريات حول اشتقاقها وأصلها إلا أنني تحدثت عنها بالتفصيل في الفصل الأول من الباب الثاني.

الفصل الثالث: وهو بعنوان "مواد الخط والكتابة وأدواتهما". وهو يعالج موضوع أدوات الكتابة وموادها منذ عرف الإنسان الكتابة. وقد ذكرنا خلالها المواد، مثل: الحجر والطين وأوراق البردي والرقوق والجلود ولحاء الشجر والعظام واللخاف والعسب وأكتاف الإبل والحديد والنحاس وما إلى ذلك من المواد الأخرى. كما تحدثت فيه عن الأقلام ومقاساتها وأنواعها وطريقة بريها وصفات القلم عند أبرز الكتاب. وانتهى الفصل بذكر المداد والحبر، والمحبرة والدواة، والآلات التي تحتوي عليها الدواة وهي سبع عشرة آلة تبتدأ كل منها بحرف الميم.

الباب الثاني: وهو يحمل عنوان "تطور الخط العربي في القرنين السابع والثامن الميلادي". وفيه أربعة فصول، وهي:

الفصل الأول: وهو بعنوان "الخط العربي في عصر ما قبل الإسلام". تناولت فيه الآراء والنظريات التي تتحدث عن أصل الخط العربي واشتقاقه عند المؤلفين القدامى والباحثين المحدثين الذين قامت أبحاثهم ودراساتهم على الخط العربي وتطوره. كما استعرضت النظرية القائلة بأن الخط العربي مشتق من الخط المسند، والنظرية القائلة بأنه مشتق من الخط النبطي. وخلصت إلى أن أصل الخط العربي مشتق من الخط النبطي. كما ذكرت فيه الخط المسند مع أنواعه الثمودي والصفوي واللحياني.

الفصل الثاني: وهو بعنوان "الخط العربي في العصر الإسلامي". تحدثت فيه عن تطور الخط العربي في صدر الإسلام، وتناولت كذلك دراسة الخطوط التي استخدمت في الرقوق والنقوش وطبيعة خطها. ووقفت عند بعض خطوط رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأمم، وخطوط المصاحف التي كتبها الصحابة رضي الله عنهم، والبرديات، والنقوش الحجرية مع استعراض نصوص هذه الرسائل وتلك المصاحف ووصف هذه الخطوط والتعريف بها. كما تكلمت فيه على كتّاب النبي صلى الله عليه وسلم والخطوط التي كانوا يستخدمونها لأغراض مختلفة.

الفصل الثالث: وهو بعنوان "الخط العربي في العصر الأموي وبداية العصر العباسي". وفيه تبيان لتطور الخط العربي في العصر الأموي وبداية العصر العباسي. كما ألممت فيه بصفات الخط في العصر الأموي، وأنواع الأقلام التي ظهرت في هذا العصر وأبرز الخطاطين. وتناولت قضية الشكل والإعجام وبيّنت كيفية وضعهما والرجال الذين أسهموا في هذا المضمار والخطوات التي مرّ بها كل من الشكل والإعجام. كما تناولت في هذا الفصل تطور الخط العربي في بداية العصر العباسي، وذكرت الأقلام التي بلغت إثني عشر قلما، وبينت وظيفة كل قلم من هذه الأقلام ونشأتها وصفاتها وأهم كتّابها ومواضع استخدامها.

الفصل الرابع: وهو بعنوان "اللوحات والمصاحف الخطية". يعالج هذا الفصل موضوع اللوحات والمصاحف الخطية التي كتبتها أيادي الخطاطين والفنانين المسلمين. وتناولت فيه صور اللوحات

الخطية وأشكال المصاحف الشريفة التي زخرت بها الخزائن والمكتبات والمتاحف العالمية. وقد عثرت على هذه الصور وتلك الأشكال من خلال الكتب والمؤلفات التي وضعها أرباب هذا الفن، ومن خلال الإنترنت. وتتضمن هذه الصور صفحات من المصاحف الخطية المكتوبة بأنواع متنوعة من الخط العربي. كما تشمل هذه الصور اللوحات الخطية بشكل صور بشرية أو حيوانية بالإضافة إلى أشكال البسملة المختلفة وقطع من الآيات القرآنية.

الباب الثالث: وهو يحمل عنوان "أنواع الخطوط العربية وخصائصها البارزة". وفيه ثلاثة فصول، وهي:

الفصل الأول: وهو يتضمن جزأين. تناولت في الجزء الأول الخط المسند، كما تحدثت فيه عن تسمية الخط المسند بأسماء متعددة وبالمسند نفسه، وعن آراء الباحثين والعلماء واللغويين تجاه هذا الموضوع حسب معلوماتهم عن هذا الخط وأصله. وتكلمت على أشكاله وملامحه ومواد الكتابة به.

أما الجزء الثاني فقد تناولت فيه الخط الكوفي، وتحدثت عن تسميته بالخط الكوفي وأغراض استخدامه وأنواعه البارزة، مثل: الخط الكوفي التذكاري اليابس والخط الكوفي المصحفي والكوفي البسيط والكوفي المورق والكوفي المضفر والكوفي المزهر والكوفي الهندسي.

الفصل الثاني: وهو أيضا يتضمن جزأين. تحدثت في الجزء الأول عن خط النسخ الذي كثر استخدامه في العصور الإسلامية الوسطى. واستعرضت كذلك الآراء والأقوال التي تتمحور حول تسميته بأسماء مختلفة وبالنسخ نفسه. كما تحدثت فيه مواضع استخدامه وكتّابه البارزين وخصائصه البارزة.

أما الجزء الثاني ففيه تبيان لخط الثلث، وهو يعدّ من أصعب الخطوط العربية جميعها. وعرضت للأقوال التي تناولت خط الثلث تسميةً واصطلاحا. كما تناولت فيه أنواعه مثل قلم الثلث

الثقيل وقلم الثلث الخفيف أو قلم الثلث العادي وقلم الثلث الجلي. وتناولت كذلك أنواعه الأخرى التي تمثل مرحلة من مراحل تطوره وخصائص هذه الأنواع كلها.

الفصل الثالث: وهو بعنوان "خصائص الخطوط العربية البارزة". تناولت فيه دراسة خصائص الخطوط العربية وسمات حروفها البارزة وأسباب احتلالها مكانة فائقة بين الخطوط العالمية. واستعرضت أقوال المستشرقين والمؤرخين الذين شهدوا بجمالية الخط العربي وحروفه وتفوقه على الخط اللاتيني. كما تحدثت عن خصائص الخط العربي عبر العصور مثل خصائص الخط العربي في عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي والعصر الأموي وبداية العصر العباسي. وبالإضافة إلى ذلك تكلمت على الخصائص العامة للخطوط العربية.

وقد راجعت في ذلك كله إلى عدد لا يستهان به من المصادر والمراجع العربية قديمًا وحديثًا وكل ما ألف حول هذا الموضوع سواء كان غثا أم سمينا، اللهم إلا ما لم تصل إليه يدي من المراجع بسبب عدم توفرها في المكتبات الهندية. كما استفدت في هذا البحث من المصادر والمراجع الأجنبية ومن الكتب والمقالات تأليفًا وترجمةً ومن المجلات والدوريات المختلفة، واستعنت بالنقوش والصور وعرضت نماذج مختلفة منها في أواخر الفصول حتى يسهل على القارئ فهمها، وذلك لأن طبيعة الموضوع تتطلب هذا الأمر. كما حاولت سدّ ثغرة نتجت عن عدم رعاية الطلاب الهنود بهذا الموضوع الثمين وفقدان رغبة أساتذة الجامعات الهندية في هذا المجال. وآمل أن يملأ هذا البحث فراغا في قوائم البحوث الجامعية وفي المكتبات الهندية والإسلامية التي لا تزال تشكو من نقص فادح في هذا المجال، كما آمل أن يرضي هذا البحث الأساتذة والطلاب الباحثين على حد سواء.

وأخيرا، يسرّني أن أقدم خالص الشكر و وافر الامتنان إلى أستاذي ومشرفي البروفيسور فيضان الله الفاروقي، أدام الله عليه نعمة الصحة والعافية، الذي استرعى انتباهي إلى اختيار هذا الموضوع، وتكرمني بتوجيهاته الغالية وإرشاداته القيمة في إتمام هذه الدراسة. ولا يفوتني أن أسجل شكري لجميع أساتذتي وبالأخص منهم الأستاذ الدكتور عبيد الرحمن طيب الذي برز كمؤيد حنون، وقدّم جميع أنواع المساعدة

عندما استشرت به وناقشت معه أمرا حال بيني وبين الدراسة. كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى جميع الأصدقاء والزملاء الذين ساعدوني في إنجاز هذا البحث خصوصا الأخ كاشف جمال والأخ ضياء الحق اللذين قاما بتصحيح التجارب الطباعية.

الباحث
فرحان أنصاري
مركز الدراسات العربية والإفريقية
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي
08.07.2015

الباب الأول

المدخل إلى الموضوع

الفصل الأول: أهمية الخط والكتابة والفرق بينهما

الفصل الثاني: نشأة الخط والكتابة وتطورهما

الفصل الثالث: مواد الخط والكتابة وأدواتهما

الفصل الأول

أهمية الخط والكتابة والفرق بينهما

الخط والكتابة هي من أبرز ما ابتكرها البشر في العصور الموغلة في القدم، وهي أساس التاريخ البشري الذي قد تعرفنا عليه من خلال النقوش المذهلة والتصاوير الرائعة في الأماكن العديدة المتواجدة في أنحاء العالم. كما أنها مهدت الطريق إلى تطور جميع الحضارات الإنسانية القديمة وتواصلها مع ثقافات أو حضارات أخرى. فقبل اختراع الخط والكتابة، الناس كانوا يتعاملون فيما بينهم ويتواصلون مع الآخرين من خلال الإشارات المعروفة في بيئاتهم.

وكانت نشأة الخط والكتابة ثورة حدثت في المجتمع البشري القديم نتيجة للاحتياجات الإنسانية؛ أهمها التخاطب والتواصل مع الآخرين. فبفضل الخط والكتابة، اللذان يعدّان وجهين لعملة واحدة، تمكنوا من سدّ حاجاتهم اليومية وتأدية المسؤوليات الواقعة على عواتقهم تجاه الدين والمجتمع والتجارة وما إلى ذلك من الأمور الأخرى. ومنذ آلاف السنين من ابتكار الكتابة وحتى الآن، إنها لم تفقد هويتها حتى في عصر العلوم والتكنولوجيا والوسائل الحديثة للاتصال، بل يتبوأ كل منهما مكانة مرموقة في جميع المجالات وخاصة في مجال العلم والأدب والثقافة، حيث يعتبر كل منهما آلة يكتب بها الكاتب كل ما يدور في ذهنه من أفكار، ويعبر بها الأديب عن كل ما تختلج في نفسه من مشاعر عاطفية في بطون الكتب أو على ظهر الأوراق أو على غيرها من المواد الأخرى.

وكما أن الكتابة وسيلة التواصل والتفاهم والتعامل مع ثقافات وحضارات العالم، فالكاتب يستخدمها عن طريق رسومات رمزية تمثل الحروف والكلمات، ويستطيع أن ينقل بواسطتها الأفكار والأحداث إلى رموز خاصة يمكن فهمها وقراءتها وفقا لنموذج مخصص لكل لغة. وهذا بالإضافة إلى احتوائها على فئة من المهارات اللازمة لجودة التعبير والتواصل والتعلم، واتسامها بأداة بارزة يستخدمها الإنسان في نقل أفكاره وآرائه ومشاعره وأحاسيسه إلى الآخرين؛ بمن فيهم الأفراد والجماعات والمنظمات على المستوى الوطني والدولي. وهذا يمكن فقط عن طريق الكلمة المكتوبة سواء عبر الإنترنت أو عن طريق الرسائل على اختلاف أنواعها. والكتابة كغيرها من وسائل التواصل والتفاهم مهمة بارزة تقوم بها اليد ويتحكم بها الدماغ، كما تتلطب هذه المهمة التدريب المستمر والممارسة الجادة للوصول إلى مستوى الإتقان والجودة.

وقبل الخوض في ذكر أهمية الخط والكتابة والفرق بينهما وطرق استخدامهما في شتى الأغراض، يجدر بنا أن نورد هنا تعريف كل منهما لغةً واصطلاحًا، حتى يتضح معنى الخط والكتابة وينكشف أمرهما، وبالتالي يمكن الوصول إلى فهم هذين المصطلحين وموضع استخدامهما.

الكتابة لغةً: توجد لكلمة "كتابة" عدة معان في القواميس والمعاجم اللغوية، وجميع هذه المعاني تدل على أن كلمة "الكتابة" هي أجمع وأشمل كلمة تستخدم على نطاق واسع في موضوعات مختلفة. وقد كثر استخدام هذه الكلمة أيضا في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وذلك للدلالة على معان مختلفة.

فمنها الفرض، كما قال تعالى في كلامه المجيد: "**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى**"[1]. أي فرض[2].

وقال في موضع آخر: "**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**"[3]. أي فرض[4].

ومنها الحكم، فقد قال الله تبارك تعالى: "**وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**"[5]. أي في حكمه[6].

وكما ورد في الحديث: "لأقضين بينكما بكتاب الله"، أي بحكم الله الذي أنزل في كتابه[7].

ومنها القدر، كما في قوله تعالى: "**قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون**"[8]. أي ما قدّره وقضاه[9].

ومنها الجمع والتثبيت، قال تعالى في كلامه المجيد: "**أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه**"[10]. أي جمعه وثبته[1].

---

[1] سورة البقرة، الآية رقم: 178.
[2] ابن منظور، لسان العرب ج1، حرف الباء، مادة كتب، ص: 822.
[3] سورة البقرة، الآية رقم: 183.
[4] محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج4، باب التاء، مادة كتب، ص: 101.
[5] سورة الأنفال، الآية رقم: 75.
[6] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص: 699.
[7] محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج4، باب التاء، مادة كتب، ص: 101.
[8] سورة التوبة، الآية رقم: 51.
[9] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص: 700.
[10] سورة المجادلة، الآية رقم: 22.

هذا، وقد تطلق الكتابة أيضا على العلم، ومنه قوله تعالى: "**أم عندهم الغيب فهم يكتبون**"[2]. أي يعلمون[3].

وأما الفرق بين الكتاب والكتابة فهو الفرق بين الإسم والمصدر. فالكتاب إسم، أما الكتابة فهي مصدر، كما اشتق منها المكتِب، وهو الذي يعلّم الكتابة[4].

كما اشتق منها الكتّاب والكتَبة، وتطلق هذه الكلمة على من يشتغلون بحرفة الكتابة، ومنها المكتَب أي موضع الكتاب والتعليم يعني تعليم الكتابة[5].

وقد تحدّث أحمد بن علي القلقشندي عن الكتابة في مؤلفه "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء":

> "الكتابة إحدى الصنائع فلا بد فيها من الأمور الأربعة:
>
> فمادتها الألفاظ التي تخيّلها الكاتب في أوهامه، وتصور من ضم بعضها إلى بعض صورة باطنة تامة في نفسه بالقوة. والخط الذي يخطه القلم، ويقيد به تلك الصور. وتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة. وآلتها القلم. وغرضها الذي ينقطع الفعل عنده تقييد الألفاظ بالرسوم الخطية، فتكمل قوة النطق وتحصل فائدته للأبعد كما تحصل للأقرب وتحفظ صوره، ويؤمن عليه من التغير والتبدل والضياع"[6].

الكتابة اصطلاحًا: كما للكتابة عدة معان لغوية، لها عدة معان اصطلاحية أيضا، فكثرت الأقوال وتضاربت الآراء حول هذه الكلمة، ووضع لها الأدباء والكتاب والمؤرخون تعريفات متعددة تدور حول المعاني والأفكار المختلفة. وفيما يلي نذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر.

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص:261.
[2] سورة الطور، الآية رقم: 41.
[3] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، ص: 51.
[4] أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، السفر الثالث عشر، ص: 4.
[5] محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج4، باب التاء، مادة كتب، ص: 104.
[6] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، ص: 36.

- الكتابة كلمة تبرز على الورق – وعلى غير الورق – سواء ما كان منها من نتائج العقل الخالص ويقصد به الكتابة العلمية البحتة، أم كان أدبا خالصا ويقصد به الكتابة الإبداعية الإنشائية. أو هي الحروف المكتوبة التي تصور الألفاظ الدالة على المعاني التي تُرادُ من النص المكتوب[1].
- الكتابة نظام يتمثل في مجموعة من العلامات المفهومة بسهولة أو المتفق عليها والتي يستخدمها الناس كوسيلة للاتصال من أجل سدّ المسافة المكانية والزمانية[2].
- الكتابة الصحيحة عملية مهمة في التعليم على اعتبار أنها عنصر أساسي من عناصر الثقافة، وضرورة اجتماعية لنقل الأفكار والتعبير عنها والوقوف على أفكار الغير والإلمام بها[3].
- الكتابة نظام يتمثل في الاتصال البيني في المجتمعات البشرية عن طريق علامات واضحة تقليدية[4].

كما تطلق الكتابة في اصطلاح الأدباء على صناعة الإنشاء، وفي اصطلاح الفقهاء على عقد بين السيد وعبده وعلى مال يدفعه إليه منجَّما فيعتق بأدائه.

ويتضح مما سبق من تعريفات الكتابة بأنها وسيلة لتحويل رموز اللغة المنطوقة إلى صور خطية على الورق؛ بحيث ترتبط بعضها ببعض وفق القواعد التي وضعها أصحاب اللغة لتدل كل صورة من هذه الصور على صوت لغوي، وذلك بهدف نقل الأفكار والآراء والمشاعر إلى الآخرين.

الخط لغةً: أما الخط فقد وردت له أيضا عدة معان لغوية؛ منها: التفكير، كما يقال: فلان يخُطّ في الأرض؛ إذا كان يفكر في أمره ويدبّره[5]. ومنها: الطريق، يقال: الزم ذلك الخط ولا تظلم عنه شيئا[6].

وقد يطلق الخط على علم الرمل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كان نبي من الأنبياء يخطّ، فمن وافق خطه فذاك"[7].

وكذلك يطلق في علم الهندسة على ما له طول[1].

---

[1] وجيه المرسي، "الكتابة، و..."، (2011). http://kenanaonline.com/users/wageehelmorssi/posts/269132

[2] Coulmas, Florian. (1989). The Writing Systems of the World. Oxford: Basil Blackwell. p. 35.

[3] وجيه المرسي، المرجع السابق.

[4] Coulmas, Florian, op. cit. p. 34.

[5] ابن منظور، لسان العرب، ج7، حرف الطاء، مادة خطط، ص: 325.

[6] نفس المصدر، ج7، ص: 324.

[7] رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، الحديث رقم: 537.

ويعبّر الخط أيضا عن الكتابة بالقلم، مثل: خطّ الشيء يخطّه خطا: كتبه بقلم، وجمعه خطوط[2]. ومنه قوله تعالى: "**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخُطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون**"[3].

وقد سمي الخط كتابةً لجمعها الحروف بعضها إلى بعض.[4]

الخط اصطلاحًا: لقد تضاربت الآراء وتنوعت الأفكار وكثرت الأقوال حول التعريف الاصطلاحي للخط، فالعلماء والكتاب والأدباء والمؤرخون قدموا تعريفات مختلفة للخط حسب معرفتهم وإدراكهم لهذا الفن الجميل، وفيما يلي نذكر بعضا منها على سبيل المثال حتى نعرف مفهوم الخط وحقيقته وارتباطه بالكتابة بمعنى وانفصاله عنها بمعنى آخر؛ ومن هذه التعريفات:

- الخط هو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس[5].
- الخط هو علم تتعرف منه صور الحروف المفردة، وأوضاعها، وكيفية تركيبها[6].
- الخط ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد مخصوصة[7].
- الخط هندسة روحانية وإن ظهرت بآلة جسمانية[8].

وقد وضع هذا التعريف الأخير الفيلسوف الرياضي الشهير إقليدس، وهو رائد فن الهندسة يلقب بأبي الهندسة، كما وضع فيه كتابا شهيرا اسمه "العناصر".

وبالإضافة إلى ذلك، توجد هناك أيضا كثير من التعريفات الخاصة بالخط، وكلها تتمحور حول فكرة معينة وإن اختلفت كلماتها وتعددت ألفاظها. وباستعراض هذه التعريفات للخط ودراستها دراسة عميقة يمكن القول:

"إن الخط هو فن كتابة الحروف بقالب الجمال والروعة، تنضبط به حركة الأنامل بالقلم حسب القواعد والأصول الخاصة التي وضعها كبار علماء هذا الفن الجميل".

---

[1] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 7.
[2] محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج19، باب الطاء، مادة خطط، ص: 248.
[3] سورة العنكبوت، الآية رقم: 48.
[4] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، ص: 51.
[5] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص: 417.
[6] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص: 3.
[7] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 8.
[8] ابن النديم، الفهرست، ص16.

ويبدو هذا التعريف أنه من أجمع وأشمل التعريفات السالفة الذكر كلها. نجد فيه كلمات؛ مثل: فن، كتابة، الجمال والروعة، وحركة الأنامل بالقلم، والقواعد. فإذا توافرت فيه جميع هذه الكلمات يمكن القول بأنه خط.

فالخط هو فن كالفنون الأخرى، يتطلب عملية الإبداع والابتكار؛ لأنهما من خواص الفنون. وأما اتصال الخط بالكتابة وذكره معها في هذا التعريف فهو يُخرج من هذا الفن الفنون الأخرى كالرسم والنحت وغيرهما من الفنون. واختصاص الخط بالألفاظ مثل الجمال والروعة يميّزه عن الإملاء والنسخ والكتابة البسيطة. والقول بحركة الأنامل بالقلم قد خرج به حركة الأنامل على أوتار اللهو والطرب كالعود. والمراد بالقواعد والأصول الخاصة، تلك القواعد التي وضعها علماء هذا الفن وتطبق على الخط فقط لا غير.

فالخط ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد معينة، وهذه الملكة تتحلّى بالتعليم وتقوى بالتمرين والممارسة وتضعف بتركهما. ولا يستطيع كل خطاط أن يصبح خطاطا رائعًا مبدعًا ومتميزا إلا بعد التمرن عليه لمدة غير قصيرة؛ لأن تحسين الخط وجودته يتطلب ممارسة جادة وعناية بالغة بالكتابة الخطية.

وقد حظي الخط مكانة مرموقة بين الكتّاب والخطاطين في كل عصر ومصر، فأخذت محبته مكان الصدارة في قلوبهم واهتموا به اهتماما بالغا، كما وصفوه بالحسن والجمال والبهاء والرونق، وشبّهوه بالروح حيث قال بعضهم: الخط كالروح في الجسد، فإذا كان الإنسان جميلا ولا سيما إذا كان جميل الرأي حسن الهيئة، كان في العيون أعظم، وفي النفوس أكبر وأضخم. وإذا كان على ضد ذلك تسأمه النفوس ومقتته الصدور. فكذلك الخط إذا كان حَسن الوصف، مليح الرَصف، مفتّح العيون، أملس المتون، كثير الائتلاف، قليل الاختلاف، هشّت إليه النفوس واشتهته الأرواح حتى أن الإنسان ليقرؤه وإن كان فيه كلام دنيء. وإن كان قبيحا مجّته* الأفهام، ولفظته العيون والأفكار، وإن كان فيه من الحكمة عجائبها ومن الألفاظ غرائبها[1].

* مجته: رمته. مجد الدين الفيروز آبادي، قاموس المحيط، باب الجيم، ص: 204.
[1] محمد مرتضى الزبيدي، حكمة الإشراق إلى كتّاب الآفاق، ص: 34.

ووصف محمد بن اسماعيل خطا حسنا، فقال: "لو كان نباتا لكان زهرا، ولو كان معدنا لكان تبرا، أو مذاقا لكان حلوا، أو شرابا لكان صفوا"[1].

الفرق بين الخط والكتابة: بعد استعراض تعريف الخط والكتابة لغةً واصطلاحًا ودراستهما دراسةً عميقةً، يمكن القول بأن الخط والكتابة يتصف كل منهما ببعض الميزات والسمات التي تميّزهما عن الآخر. وهكذا وجدنا أيضا أن مفهوم الخط يقترن اقترانا شديدا بمفهوم الكتابة في المعنى وفي الاستخدام، حتى يبدو مفهوم كل منهما شيئا واحدا، وذلك لأنها توجد بينهما علاقة لغوية ودلالية خاصة، مما يجعلنا أن نستخدم الأول في موضع الثاني وبالعكس، كما هو رائج في العرف اللغوي الذي نصت عليه المعاجم والقواميس.

وبعد تصفح المعاجم اللغوية التي تفضي إلينا بالمعلومات عن الخط، وجدنا أن كلمة "خط" تعني لغةً "خط بالقلم أي كتب"[2]. وهذا التعريف يشمل جميع أنواع الحروف، حيث ترتبط كلمة "خط" بالكتابة سواء كانت كتابة عربية أو إنجليزية أو صينية أو يونانية أو غيرها من اللغات العالمية الأخرى. وأما فيما يتعلق بالكتابة فهي عند الأدباء "صناعة الإنشاء"[3].

والنظرة الفاحصة في النصوص الأدبية والمصادر العربية والمعاجم اللغوية التي تتحدث عن مفهوم الخط والكتابة، تُظهر الفرق والتباين الدلالي بينهما. ويمكن أن نصف الأول بخصوصية الخط والثاني بعمومية الكتابة في التمثيل البصري والرمزي للفظ والمعنى بخاصة، واللغة بعامة.

كما تثبت المؤلفات العربية؛ اللغوية والتاريخية والفلسفية، على أن الخط صورة وهندسة صعبة.[4]

والخط كما سبق ذكره فن يتسم بقواعد مخصوصة وضعها أرباب هذا الفن. وعندما نعتني بهذه القواعد في عملية الكتابة، فإنها تزيد الكتابة وضوحًا وجمالا وجذبًا. والخط له أنواع عديدة؛ انتسب بعض منها للقلم الذي يستخدمه الخطاط في كتابته، كما انتسب البعض الآخر للمدينة أو البلاد التي نشأ بها. ومن أنواع هذه الخطوط: خط الثلث وخط النسخ والخط الكوفي وخط التعليق والخط الديواني وغيرها الكثير من الخطوط. وكل نوع من هذه الأنواع له قواعده الخاصة وضوابطه المعينة التي تختلف عن غيرها، على

[1] محمد بن يحيى الصولي، أدب الكتّاب، ص: 45. ومحمد مرتضى الزبيدي، حكمة الإشراق إلى كتّاب الآفاق، ص: 68.
[2] أبوبكر الرازي، مختار الصحاح، حرف الخاء، مادة خطط، ص: 173.
[3] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، ص: 52.
[4] إدهام محمد حنش، الخط العربي وحدود المصطلح الفني، ص: 24.

خلاف الكتابة التي لا تتوافر فيها هذه الشروط، فهي لا تستند إلى هذه القواعد ولاتنتسب للمدينة أو الأقلام الخاصة بها، فلا نقول مثلا: الكتابة الكوفية أو الكتابة الجلية أو كتابة الثلث أو كذا وكذا، وإنما نقول الكتابة البسيطة فقط.

هذا، وقد تحدثنا حتى الآن عن الخط بشكل عام، وحينما نصف الخط بالعربي فإن في ذلك تحديدا وتخصيصا أكثر، فهو يخرج من العمومية إلى الخصوصية حيث تربط كلمة الخط باللغة العربية، ويعني ذلك رسم الحروف العربية رسما جميلا، وإخراجها بصورة فنية رائعة يبدو فيها التناسق والتطابق والانسياب والتكامل[1]. والمراد بالخط العربي كتابة عربية وفقا لقواعد مخصوصة، وتخرج منها كتابة عادية أوكتابة مستخدمة بالمطبوعات وأجهزة الحاسوب لأنها كتابة طباعية تنضبط بآلة طباعية.

ونطاق استخدام الكتابة واسع جدا بالنسبة للخط، فالكتابة مستخدمة على نطاق واسع بين الطلبة والمعلمين والموظفين والمثقفين وبين كل من له أدنى معرفة للكتابة في مختلف العلوم والفنون، والهدف منها القراءة فقط، كما هي لا تستغرق وقتا طويلا في عملية الكتابة بل تُكتب بسرعة بقلم رأس مدبَّب، على خلاف الخط الذي يُكتب بقلم رأسه عريض، ويشدّ انتباه الناظرين ويحثّهم على القراءة لما فيه من روعة وجمال وبهاء وإبداع.

والخط عملية صعبة بالنسبة للكتابة، فهو يتطلب التركيز والصبر اللذَيْن يجب أن يتحلى بهما الخطاطون. يركّز فيه الخطاط على كيفية كتابة الحرف واتصال بعضه مع البعض بدقة حتى يصبح وحدة كاملة، ويبدو كأنه جسم واحد وإن تعددت أجزاءه. والكتابة يركّز فيها الكاتب على الخط أو النسخ فقط.

والخط هو علم وفن وأدوات ومواد، ولتحقيقه يجب أن تتوافر فيه هذه الأمور كلها، فإن تحققت فهو خط عربي، وإن لم تتحقق فهو حرفة ومهنة فقط وليس له علاقة بالمصطلح العلمي الدقيق؛ لأن الخط علم له قواعد علمية تتقن حروفه وصورها وأشكالها وقواعد اتصالها وانفصالها، كما هومصطلح فني يعبر فيه الكاتب عن قوته الفنية والإبداعية ويُخرج أعمالا خطية رائعة مزهلة في قالب الحسن والجمال وفي إطار القواعد العلمية الثابتة.

[1] حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع، التجارب المعاصرة في الخط العربي،

ونقدم هنا مثالا لفهم قواعد كتابة الحروف العربية التي يتألف منها الخط العربي ليتبين الأمر وتنكشف الصور، فمثلا: حرف الباء تحتها نقطة، فلا يمكن أن نضع نقطتين تحت الباء المفردة؛ لأنها خلاف لقواعد الكتابة العربية وضوابطها، وفي هذه الحالة يتغيّر شكل الباء إلى صورة ليس لها علاقة بالحروف العربية.

وكما أن الخط يعتمد بشكل أساسي على الكتابة بالقلم المعروف لدى الخطاطين، فهو يقوى بالإدمان ويضعف بالترك، إذ لا يستطيع كل شخص أن يكون خطاطا، لأن جودة الخط كامنة في بعض الناس، كما هو موهبة إلهية أيضا يهبه الله تعالى لمن يشاء. ولا يمكن للخطّاط أن يكتب شيئا ما لم تتوفر لديه رغبة في الكتابة، فإذا توافرت لديه الرغبة في الكتابة يكون الخط جيدا، وإذا لم تتوافر لا يأتي منه خط جيد بل يمكن أن يكون الخط رديئا، وذلك لأن الكتابة الجيدة لا تتأتى إلا مع المزاج وتوافر الرغبة وهذا شأن كل عمل فني.

وعندما نتصفح أوراق التاريخ نجد أن الكتابة يرجع تاريخها إلى آلاف السنين، فالكتابة قد سبقت الخط من حيث النشوء والتطور وهي أقدم بكثير من الخط. وتاريخ الكتابة تاريخ طويل يمتد منذ فجر التاريخ وحتى اليوم، فهي ليست خطوطا على الأحجار والرُقم والطين وعلى جدران المعابد والكهوف فحسب، وإنما هي أساس العلاقة بين الإنسان والحياة، في حين أن الخط هو وليدة التنوع الفكري والثقافي والجمالي على الكتابة، واعتبِر في عصر الإسلام جزءا من جوهر العلاقة بين الإنسان وخالقه سبحانه وتعالى.

ويتضح مما سبق ذكره أن الخط والكتابة يوجد بينهما فرق واضح، فالكتابة أعم وأشمل من الخط، فكل خط كتابة وليست كل كتابة خطا. ومثل الخط والكتابة كمثل الكلام الموزون والكلام العادي، والصوت الجميل والصوت الدارج، يختلف كل منهما عن الآخر. فالفرق بينهما ظاهر مثلما يظهر الفرق بين الشعر والنثر وبين الصوت الجميل والصوت الدارج وهكذا.

أهمية الخط والكتابة: على الرغم من توافر الوسائل الحديثة للتواصل والتعامل مع الآخرين في هذا العصر الذي يتسم بكونه عصر العلوم والتكنولوجيا، إلا أن الخط والكتابة تكتسبان أهمية بارزة في الحياة الإنسانية، إذ لا يمكن تصور الحياة بدونهما. وكما أن الإنسان القديم قد اخترع الكتابة واستخدمها للتواصل فيما بينهم، فإنسان اليوم يستخدمها أيضا لتحقيق ذلك الهدف فضلا عن التعرف على آداب الأمم العالمية الأخرى وثقافاتها وحضاراتها وتكوين الصداقة مع الشعوب المختلفة. وهي أكثر الوسائل

استخدامًا اليوم، وتحتل جانبا كبيرا في حياتنا، وتأخذ قسطا وافرا من نشاطاتنا اليومية، وهذا بالإضافة إلى أن معظم الشعوب العالمية تقضي جزءا كبيرا من حياتهم إما ناقلين لأفكارهم كتابة، وإما قارئين لما هو متوفر من أفكار الآخرين وعلومهم في شكل الكتابة. وهكذا يمكن القول: "إننا نعيش في عصر الكلمة المكتوبة".

وتكمن أهمية الكتابة في كونها مصدر كافة أنواع العلوم والفنون اللغوية والأدبية، منها تنبع العلوم والعرفان، وتُنقل الأفكار والآراء، وتصدر الأوامر والقرارات، وتبثّ الأنباء والأخبار. وهي آلة نحفر بها أذهاننا لاكتشاف كنوز الأفكار والعلوم الكامنة فيها، كما هي تتميز عن غيرها بمهارات خاصة بها لا توجد في أي فن لغوي آخر، فهي تعتبر مفخرة العقل الإنساني ووسيلة التفكير يفكّر بها الإنسان وهو يكتب بقلمه.

ونظرا لأهمية الكتابة، قد أشاد الإسلام بفضلها، وأثبت مكانتها، كما نوّه بذكرها، وحثّ على نشرها. وقد وردت آيات كثيرة وأحاديث عديدة في فضل الكتابة والكاتب وأهميتهما، فقد أضاف الله تعالى تعليمها إليه، وهذا أوضح دليل على شرفها ورفعتها حيث قال تعالى: "**ولا يأب كاتب أن يكتب كما علّمه الله فليكتب**"[1].

كما سمّى الله تعالى ملائكته كتّابا، فقال: "**وإن عليكم لحافظين، كراما كاتبين، يعلمون ما تفعلون**"[2]. وقال في موضع آخر: "**بأيدي سفرة، كرام برررة**"[3].

والسفرة هم الكَتَبَة، واحدها سافر، مثل: كافر وكَفَرَة أو فاجر وفَجَرَة. ومعنى "سافر" الكاتب الذي يكتب في الأسفار وهي جمع سِفْر والمراد بالأسفار الصحف[4].

كما أنزل الله تعالى سورة تسمى سورة "القلم، وذلك نظرا لأهمية القلم الذي هو آلة الكتابة وأداة مهمة من أدواتها. فأقسم بالقلم وما يسطر به، فقال: "**ن والقلم وما يسطرون**"[5].

---

[1] سورة البقرة، الآية رقم: 282.
[2] سورة الانفطار، الآية رقم: 12-10
[3] سورة عبس، الآية رقم: 16-15.
[4] محمد بن يحيى الصولي، أدب الكتّاب، ص: 24،23.
[5] سورة القلم، الآية رقم: 1.

وتأكيدا لهذه الأهمية فقد بيّن أحمد بن علي القلقشندي:

> "أن أعظم شاهد لجليل قدرها، وأقوى دليل على رفعة شأنها، أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه واعتده من وافر كرمه وإفضاله، فقال عزّ اسمه: "**إقرأ وربك الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم**"[1]. مع ما يروى أن هذه الآية وما قبلها مفتتح الوحي، وأول التنزيل على أشرف نبي وأكرم مرسل. وفي ذلك من الاهتمام بشأنها ورفعة محلها ما لا خفاء فيه"[2].

وقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتابة حيث جعل فداء الأسير من كفار قريش ممن لم يكن له فداء – وهو يعرف القراءة والكتابة – أن يعلّم أولاد الأنصار الكتابة. فقد روى ابن عباس: "كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة"[3]. وفي هذا دليل واضح وبين على تشجيعه صلى الله عليه وسلم على الكتابة والحث عليها.

وقد لعبت الكتابة والخط دورا بارزا في جمع القرآن الكريم والأحاديث النبوية وفي نشر التراث العربي والإسلامي في كافة أنحاء العالم وفي صيانة العلوم المتنوعة من الضياع والتلف. بها تتم العقود، وتساق التواريخ، وتصان الوثائق، وتقيّد الشهادات، ويسلم الإنسان من السهو والنسيان، ويأمن من الخطأ والذهول.

والقرآن كما هو معروف لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة واحدة بشكل الكتاب المكتوب، بل نزل منجَّما على امتداد الزمن، والذين تحملوا مسؤولية كتابة الآيات القرآنية المنزلة آنذاك على مواد مختلفة هم الصحابة الذين قد أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالكتابة، وفي ذلك فضل كبير حيث أنهم اتخذوا خطوة تمهيدية ومهّدوا الطريق إلى كتابة القرآن الكريم والحديث النبوي لمن جاء بعدهم. وقد أوقف بعضهم حياتهم كلها لنسخ القرآن العظيم وأحاديث النبي الكريم ونسخ كتب الشريعة الغراء وذلك قبل اختراع المطابع.

---

[1] سورة العلق، الآية رقم: 5-3.

[2] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، ص: 35.

[3] محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، كتاب الجهاد والسير،ج5، ص: 66، رواه أحمد عن ابن عباس ووثقه.

كما تبرز أهمية الكتابة في أمر عمر بن عبد العزيز بكتابة العلم وتدوين الأحاديث، فمن إرشاداته قوله: "أيها الناس قيّدوا النعم بالشكر وقيدوا العلم بالكتاب"[1].

كما أشار الجاحظ إلى أهمية الكتابة بقوله:

> "ولو لا الكتب المدونة، والأخبار المخلدة، والحكم المخطوطة التي تُحصّن الحساب وغير الحساب، لبطل أكثر العلم، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر، ولما كان للناس مفزع إلى موضع استذكار، ولو تم ذلك لحُرِمنا أكثر النفع؛ إذ كنا قد علمنا أن مقدار حفظ الناس لعواجل حاجاتهم وأوائلها، لا يبلغ من ذلك مبلغا مذكورا، ولا يغنى فيه غنىً محمودا، ولو كُلّف عامة من يَطلب العلم، ويصطنع الكُتب ألّا يزال حافظا لفهرسة كتبه، لأعجزه ذلك، ولكُلِّف شطَطا، ولشغله ذلك عن كثير مما هو أولى به"[2].

وكما تعتبر الكتابة أداة بارزة فقد امتلكها البشر منذ القدم، وزيّنوا بها جدران معابدهم ومنازلهم، وتمكّنوا من الحفاظ على تراثهم وثقافاتهم وحضاراتهم قبل أن يجتاحها الزمن فتذهب أدراج الرياح. فهي وسيلة وحيدة لحفظ تراث الأمم في مراحل حياتها المختلفة، ومنذ نشأة الكتابة وحتى الآن، قد استطاعت الجماعات السابقة من البشر الاحتفاظ بثقافتها وتراثها والاستفادة منها استفادة كاملة، كما تمكنت الجماعات اللاحقة منه من الاستكشاف عن حياتهم البسيطة ومدى تعاملهم مع الطبيعة، وهذا لا يمكن إلا بالكتابة التي عثرت عليها في المكتشفات الأثرية.

وهي كما أشار ابن خلدون إلى أن الكتابة:

> "صناعة شريفة، إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يُمَيّز بها عن الحيوان وأيضا فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلاد البعيدة فتقضى الحاجات، وقد دفعت مَؤونة المباشرة لها، ويُطّلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم"[3].

---

[1] أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج5، ص: 340.
[2] الجاحظ، كتاب الحيوان، ج1، ص: 39.
[3] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص: 417.

كما هي تربط الأمم السالفة بالأمم اللاحقة وتوفّر صورة البيئة التي كانوا يعيشون فيها وتكشف عن ذاكرة التاريخ التي اكتنفتها غموض وتدلي بالمعلومات عن ثقافاتهم المجيدة وحضاراتهم الخالدة، فهي أداة الإبداع والاختراع الإنساني في جميع مجالات الحياة، ومبدأ قوي من مبادئ الحضارة الإنسانية. وعندما يقال تراث أمة من الأمم أو أدب من آدابها فالذهن يتبادر إلى ما أنتجه أبناء تلك الأمة قديما وحديثا من مؤلفات ودراسات وأبحاث في مجالات الفكر والعلم والأدب. ولم تتمكن أي أمة من الأمم الخالية وأي شعب من الشعوب المتعاقبة من نقل تراثها الثقافي ونشر أفكارها ومعانيها ونظرياتها وآرائها إلا عن طريق الكتابة والتدوين.

وقد بيّن محمد بن يحي الصولي فضيلة الخط وأهميته فقال:

> "ومن فضل حسن الخط أن يدعو الناظر إليه إلى أن يقرأه وإن اشتمل على لفظ مرذول ومعنى مجهول وربما اشتمل الخط القبيح على بلاغة وبيان وفوائد مستظرفة فيرغب الناظر عن الفائدة التي هو محتاج إليها لوحشة الخط وقبحه"[1].

وأدرك أفلاطون أيضا أهمية الخط والكتابة فقال: "الخط عقال العقل". وعبّر أرسطاطاليس عن أفكاره تجاه الخط فقال: "القلم العلة الفاعلة، والمداد العلة الهيولانية، والخط العلة الصورية، والبلاغة العلة النامية". وقال بعض الملوك اليونانية: "أمر الدين والدنيا تحت شيئين: قلم وسيف، والسيف تحت القلم"[2].

كما اعترف الجاحظ بمكانة الخط وأهميته البارزة فقال: "فأي نفع أعظم وأي مرفق أعون من الخط"[3].

وبالإضافة إلى كون الخط فنا وذوقا وجمالا، فإنه يزيد الكتابة وضوحا وجمالا وبهاءً إلى حد تعلق به النفوس وتدهش به العقول. وهو يجلب الرزق للكثير من الخطاطين البارعين الذين يتكسبون العيش منه تدريسًا وتعليمًا. ولذلك اعتبره الأدباء فنًا ومورد رزق.

وفي ضوء ما مر بنا في السطور السالفة يمكن تلخيص أهمية الخط والكتابة في النقاط التالية:

---

[1] محمد بن يحيى الصولي، أدب الكتّاب، ص: 42.
[2] نفس المصدر، ص: 45.
[3] الجاحظ، كتاب الحيوان، ج1، ص: 39.

1. إنها وسيلة الإبداع والاختراع، فبواسطتها ينقل إلينا الأدباء والشعراء ما تدور في ذهنهم من أفكار.
2. هي وسيلة من وسائل الإعلام وخصوصا في العصر الحاضر حيث انتشرت العديد من المطبوعات والجرائد والمجلات والكتب.
3. هي أداة من أدوات العلم والمعرفة والتثقيف والتعليم في الجامعات ومراكز البحث العلمي.
4. إنها أداة ربط الأمم المعاصرة بالأمم الماضية.
5. لها دور ملموس في الحفاظ على تراث الأمم من الضياع والتلف.
6. إنها وسيلة من وسائل الاتصال بين الأفراد والشعوب والملل مهما اختلف الزمان والمكان.
7. إنها وسيلة للتعبير عن كل ما تختلج في النفس من أحاسيس ومشاعر وأفكار، وأداة قيمة لنقلها للآخرين.
8. إنها أداة رئيسية من أدوات التعليم والتعلم، فعن طريقها يستمر البشر في التقدم في كثير من المجالات وخاصة في مجال العلم والأدب والثقافة، وهو بالتالي يقوم بتسجيلها وكتابتها في الدفاتر خوفًا من التلف والضياع.

الفصل الثاني

نشأة الخط والكتابة وتطورهما

إن البحث في نشأة الخط والكتابة وتطورهما أمر صعب للغاية، وذلك لأن الناس قديمًا يتفاهمون بعضهم مع بعض من خلال الكلام أو بالإشارات. ولم يكن لديهم الأسلوب الذي يسجّلون به الأحداث المهمة سوى الذاكرة التي قد تحتفظ بقصة معركة أو حدث مهم. ولم يكن لهم من وسيلة لنقل الرسائل لمسافات بعيدة سوى تناقلها من شخص إلى آخر شفاهةً، أو أن يحفظها شخص واحد، ثم يقوم بنقلها إلى المرسل إليه. ثم تطورت وسيلة الاتصال حتى أصبحت كتابة تصويرية توحي بما لديهم من أفكار وتعبير عن كل ما تصدر منهم من أعمال حكومية وشئون يومية وتدلي بالمعلومات عن أوضاعهم الثقافية والاجتماعية والسياسية. والكتابة القديمة التي استخدمها إنسان الحضارات العريقة، قد تم العثور عليها بشكل الكتابة التصويرية في الطين والأحجار القديمة وعلى جدران المعابد والمنازل. ومعظم هذه الآثار القديمة والأحجار المنحوتة والمنقوشة قد تلفت على مرّ العصور وذهبت أدراج الرياح، اللهم إلا قليل منها قد بقيت سالمة من بطش الريح الصرصرة العاتية والعواصف الهوجاء، واختبأها التراب في بطنه لتكون شاهد عيان على من قاموا بكتابتها ونقشها ونحتها على مواد مختلفة، ولتنطق بلسان حالها أن الإنسان القديم لهم أيضا تاريخ مجيد وثقافة قديمة وحضارة عريقة. (انظر شكل رقم 1)

وليس من المستبعد أن الكتابة قد نشأت على أساس التواصل والتفاهم، فالإنسان عندما خطا خطوة نحو المدنية وتطورت ثقافته وتنوعت احتياجاته اليومية اضطرّ إلى إنشاء الوسيلة التي يستطيع عن طريقها التفاهم مع مجتمعات أخرى، ولذلك هداه التفكير إلى اختراع الكتابة. وقد مرت الكتابة بعدة مراحل زمنية ابتداءً من الكتابة التصويرية والرمزية إلى أن بلغت مرحلة الكتابة الأبجدية والألفبائية مما سهّلت الكتابة توظيفًا واستخدامًا. ومما لا شك فيه أن الكتابة ولو كانت قد بدأت تصويرية إلا أنها تخلفت عن التعبير عن الصور المعنوية وفشلت في تصوير الأفكار، فاستخدموا رموزا توحي بما لديهم من أفكار ومعان إلا أنها كانت صعبة الفهم لعامة الناس، فضلا عن أن نطاقها قد ضاق عن ترميز كافة الأشياء الكائنة في بيئتهم. فانتبهوا لهذا الأمر واتجهوا إلى استخدام رموز تدل على أصوات معينة وهذه الرموز الصوتية كانت خطوة جوهرية إلى الأمام في تطوير الكتابة.

والكتابة هي من أعظم الفنون جميعها، فهي أداة مهمة للتواصل ووسيلة قيمة للتفاهم، وهي من أبرز ما أنجزته البشرية في العصور المنصرمة العريقة في القدم، بها سجّلوا وقائعهم ودوّنوا تواريخهم ووضعوها في محل الصدارة، كما تميزوا بها عن البهائم والوحوش وخطوا نحو المدنية ووصلوا إلى أعلى قمة الحضارة. وقد عبّر عن هذه الفكرة توساس استل (Astle)حيث قال:

> "إن أعظم ما امتلكه الإنسان هو الكلام، وإن أكثر الفنون فائدة هو فن الكتابة، فقد ميّز الأول الإنسان عن المخلوقات المتوحشة، وميّزه الثاني عن البرابرة المتوحشين غير المتمدّنين"[1].

وقد تناول هذا الموضوع معظم الكتاب والمؤرخين وعلماء الآثار القديمة، وكثرت حولها الأقوال وتضاربت الأفكار وتنوعت الآراء. وبعد دراسة هذه الأقوال والآراء دراسة بحثية دقيقة يمكن الكشف عن بداية الكتابة ونشأتها وتطورها وتاريخها عبر العصور المختلفة. وفيما يلي نقدّم صورة بدائية للكتابة وتطورها عبر التاريخ.

الكتابة البدائية: الكتابة ونشأتها هي عملية تطورية، فقد تطورت ولا تزال تتطور منذ نشأتها وحتى يومنا هذا. ومما لا شك فيه أن تاريخها يرجع إلى فجر التاريخ، وقد بدأ تاريخها مع رسوم مختلفة في الكهوف، فقد تم العثور على هذه الرسوم التي خلفها سكان كهوف العصر الحجري الأول في أوربا وشمال إفريقيا على جدران كهوفهم لبعض الحيوانات العائشة في بيئاتهم آنذاك، ولكنها انقرضت وتلفت الآن مثل الرَنَة* والحصان البرّي والماموث**. كما تمكن فنان ذلك العصر من رسم حيوي لتلك الحيوانات وهي تركض أو تتابع أو تقاتل أو تأكل وهكذا من الأمور الأخرى[2].

وليس شك أن هذه الرسوم التي تم العثور عليها في الكهوف قبل آلاف السنين كانت بداية أولية للكتابة التصويرية، ولكن كيفية تطور هذه الرسوم إلى كتابة تصويرية هي أمر يكتنفه غموض، وذلك لأن العصر الذي عثرت فيه الرسوم في الكهوف وعصر الكتابة التصويرية لدى مختلف الشعوب العالمية بينهما فجوة واسعة من آلاف السنين.

---

[1] Ullman, B. L. (1964). Ancient writing and its influence, N. Y: Cooper Square Publishers. p.4. (نقلا عن: محمد ماهر حمادة، الكتاب في العالم، ص: 9)

* هو نوع من الغزال.

** فيل منقرض.

[2] محمد ماهر حمادة، الكتاب في العالم، ص: 17-16.

وكما أن الكتابة التصويرية هي أولى الكتابات جميعها يبدأ منها تاريخ الكتابة، فإنها قد استخدمتها شعوب تلك العصور الخالية لأغراض مختلفة، وانتشرت في بقاع كثيرة في العالم. وفيما يلي نذكر بعضا منها على سبيل المثال، حتى ينكشف الأمر عن تاريخ الكتابة القديمة التي اهتمت بها معظم الشعوب العالمية واستعملتها للتعبير عن الأفكار وتسجيل الوقائع والأحداث.

الكتابة في بلاد الرافدين: لقد اشترك في تطوير الكتابة في بلاد الرافدين السومريون ومن بعدهم البابليون ومن ثم الآشوريون. وأقدم تاريخ الكتابة التصويرية الذي وصل إلينا هي الكتابة السومرية التي تم العثور عليها في مدينة أوغاريت (رأس الشمرة) بسوريا، ويعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد بثلاثة آلاف وخمس مائة سنة.

وفد السومريون من الشمال وربما من منطقة بحر قزوين إلى الجزء الجنوبي للسهول الخصبة بين دجلة والفرات في النصف الثاني للألف الخامسة قبل الميلاد[1]. وأقدم الشواهد على الكتابة السومرية هي آلاف الرُقم الطينية الصغيرة المنقوشة عليها الكتابة التصويرية، والتي قد تم العثور عليها في المكتشفات الأثرية في المدن السومرية، ويعود تاريخها إلى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد. فالسومريون هم أول من ابتدع الكتابة التصويرية، وطوّروها إلى نظام كتابي[2]. (انظر شكل رقم 2)

وفي ذلك العصر الموغل في القدم، السومريون كانوا يستخدمون ما يقارب 2000 إشارة تصويرية، إلا أن هذا العدد بدأ يتخلف عن التعبير عن الأشياء وأخذ يقلّ بشكل تدريجي نتيجة لتزايد ارتباط الإشارات بالأصوات حتى انخفض عددها إلى 600-500 صورة خلال الألف الثانية قبل الميلاد. كما أنهم طوّروا الكتابة التصويرية إلى شكل رائع حيث استخدموا سن آلة حادة مثل الإسفين أو قلَمًا من الغاب ذي رأس مثلث الشكل للكتابة على ألواح الطين الطري لتبدو الصور كأنها شكل مثلث مثل المسامير، ولذلك سميت هذه الكتابة بـ "الكتابة المسمارية" التي تعتبر ثورة في عالم الخطوط والكتابة. وقد بدأت الكتابة المسمارية على الألواح الطينية في الظهور حوالي 2800 قبل الميلاد[3].

ومما لا شك فيه أن السومريين هم أول من استخدم الكتابة التصويرية وطوّروها بشكل رائع كما سجلوا هذا الإنجاز البشري العظيم بهدف صيانة تراثهم الثقافي والحضاري للأجيال المتعاقبة. وبعبارة أخرى فإن

[1] الكسندر ستيبتشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة: محمد م. الأرناؤوط، القسم الأول، ص: 9.
[2] نفس المصدر، ص: 11.
[3] محمد ماهر حمادة، الكتاب في العالم، ص: 26.

السومريين هم الذين ربطوا الكتابة بالعصور التي تطورت فيها عدد لا بأس به من أنواع الكتابة. فالكتابة تعتبر من أروع ما ابتدعها السومريون، ويبدو أنها لم تكن عندهم فنا عظيما مثاليا فحسب وإنما كانت أيضا أداة للتعبير عما تختلج في نفوسهم من مشاعر عاطفية تجاه الآخرين، فضلا عن الأفكار والمعاني التجارية والدينية والأدبية.

لقد سادت الحضارة السومرية في بلاد الرافدين قرونا عديدة تزيد عن 1500 سنة قبل الميلاد، أي من منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، وحتى بداية الألف الثانية قبل الميلاد. وخلال هذه الفترة الطويلة ابتدع السومريون حضارة عليا في الشرق الأوسط، وامتد أثرها إلى الهند ومصر حيث بدأت حضارات أخرى في الظهور، كما امتد أثرها إلى بلاد اليونان. فهم لم يبتدعوا الكتابة فحسب – وهي أساس التاريخ – بل تمكنوا أيضا من تدوين عدد كبير من النصوص في موضوعات مختلفة وفي نُسخ متعددة مما تدل على ثقافتهم المجيدة وحضارتهم الخالدة. فعلى الرغم من اختفائهم من ساحة التاريخ قبل آلاف السنين إلا أنه يمكننا التعرف على هذه الأمة الراقية العريقة في القدم من خلال الكتابات المكتشفة في الحفريات.

وبجانب آخر، بعد أن فقد السومريون سلطتهم وذهب عنهم استقلالهم السياسي، سادت الحضارة البابلية وحلّت محل الحضارة السومرية في القوة والسلطة. وكان البابليون كأسلافهم السومريين وخلفائهم الآشوريين، يكتبون على الألواح الفخارية بقلم مثلّث الشكل أو باستخدام آلة مثل الإسفين، وبعد الانتهاء من الكتابة على الألواح الطينية كانوا يقومون بإلقائها في النار حتى تصبح متماسكة وتكتسب صلابة تقاوم الزمن. فكانت كتابتهم المسمارية هذه تعتبر ذاكرة قوية ومخطوطا نادرا طويل البقاء. (انظر شكل رقم 3 و 4)

وقد ورث البابليون عن السومريين الموهوبة العظيمة للكتابة المسمارية، وبرعوا في الكتابة، حتى تفوق الأساتذة البابليون أيضا على السومريين[1]. ففي عصر الازدهار والتقدم، وخاصة إبّان عهد حمورابي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد تمكن البابليون من إنتاج النصوص المختلفة في غير واحد من المجالات. وفي الواقع إن عدد الرقم الطينية البابلية التي تم اكتشافها حتى الآن يتجاوز 600 ألف رُقم تتضمن مختلف الموضوعات[2].

[1] الكسندر ستيبتشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة: محمد م. الأرناؤوط، القسم الأول، ص: 15.
[2] نفس المصدر، ص: 15.

والبابليون هم أول من كتب من اليسار إلى اليمين[1]. وكانت كتابتهم صعبة الفهم بالنسبة لكتابة أسلافهم السومريين. فالعلماء والمؤرخون والأثريون وخبراء اللغة قد عجزوا عن تقديم حلول رموزها لفترة تبلغ مئات السنين. وقد أثبتت الأبحاث المتواصلة العديدة ودراسات اللوحات البابلية أن اللغة البابلية القديمة هي لغة سامية نشأت من تطور لغة سومر وأكاد[2]. فاللغة البابلية كانت تكتب بحروف سومرية الأصل، إلا أن مفرداتها اختلفت عنها واتخذ شكلا جديدا على مرّ العصور. وهكذا، تواجد الفرق بين هاتين اللغتين كان أمرا لا بدّ منه، فالعلامات في اللغة البابلية لا تدل على حروف معينة مثل العلامات في اللغة السومرية وإنما تدل على مقاطع. وذلك لأن البابليين لم يضعوا لها حروفا هجائية مستقلة، بل ظلوا طوال عهدهم قانعين بطائفة من المقاطع يرمزون لها بنحو ثلاث مائة علامة من العلامات[3].

بعد انحطاط الحضارة البابلية نشأت الحضارة الآشورية. فقد أقام الآشوريون مملكة قوية كانت عاصمتهم الأولى مدينة آشور، وهي مدينة تقع في الجانب الشمالي من بلاد ما بين النهرين، أي مقابل مملكة البابلية التي نشأت في الجانب الجنوبي من بلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات). ويعتبر الآشوريون من القبائل السامية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى شمال بلاد ما بين النهرين.

وقد اكتسبت الكتابة أهمية فائقة لدى الآشوريين، كما أنهم اهتموا بها اهتماما بالغا واستخدموها لشتى الأغراض. فأسّسوا مكتبات كثيرة وجمعوا فيها مخطوطات رائعة وألواحا قيمة. ومن أشهر مكتباتهم مكتبة آشور بانيبال وهو اسم ملكهم الذي اشتهر بعناية المكتبات وتأسيسها. وقد كان هذا الملك هو أول من هداه التفكير إلى جمع كل ما أبدعته الأجيال السابقة في الشرق الأوسط في مجال العلم والأدب في مكان واحد. وكانت كتابة آشوريين في أقدم أيامهم تعرف بالكتابة الإسفينية أو المسمارية، وسميت بذلك لمشابهة حروفها بالمسامير أو الأسافين[4]. وبالإضافة إلى الكتابة المسمارية إنهم زيّنوا أيضا جدران معابدهم ومنازلهم بنقوش المعارك ورحلات الصيد وغيرها من النقوش التصويرية الأخرى. وتعدّ الآن اللغة الآشورية والكتابة الآشورية المسمارية مهمة جدا لفهم بعض اللغات السامية الأخرى التي تُشابهها كل المشابهة ولا سيما اللغة العبرية، وأصبح علم الآشوريات في العديد من المعاهد علما مهما ويدرس فيها بكل عناية.

[1] محمد ماهر حمادة، الكتاب في العالم، ص: 27.
[2] نفس المصدر، ص: 28.
[3] نفس المصدر، ص: 29.
[4] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 23.

وهكذا، لقد أقام السومريون والبابليون والآشوريون حضارات رائعة وتركوا وراءهم خزانة المعارف الثمينة والآداب الرفيعة. كما أنهم استطاعوا أن يجيدوا ويطوّروا نظام الكتابة التصويرية إلى نظام الرموز الصوتية لكونها عاجزة عن الكثير من الصور المعنوية، ولكن هذه الرموز الصوتية سرعان ما اتجهت إلى أن تكون مقطعية. وفي العصور المتأخرة، اتصفت بعض هذه الكتابات التي ابتكرتها الحضارات القديمة في بلاد الرافدين بأنها كتابة متعددة المقاطع.

الكتابة المصرية: تبوأت الكتابة المصرية مكانة خاصة لدى الشعب المصري القديم، فقد أنشأ المصريون مملكة قوية جدا وأوجدوا حضارة راقية، وهي من أعظم الحضارات العريقة في القدم. وقد تزامنت الحضارة المصرية مع الحضارة السومرية، وتطورت في الوادي الخصيب لنهر النيل منذ نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد[1]. وكانت معرفة القراءة والكتابة تضمن للشعب المصري الشرف والكرامة في المجتمع. فكل من كان يعرف القراءة والكتابة يتمتع بمكانة ممتازة لدى المصريين، كما كانوا يجلّونه ويحترمونه. وأقدم النصوص المكتوبة التي تم العثور عليها يرجع تاريخها إلى الربع الأخير من الألف الرابعة قبل الميلاد[2].

وقد أتيح للمصريين القدماء كغيرهم من السومريين والبابليين والآشوريين أن يستعملوا الكتابة التصويرية. ويبدو من النموذج الأولي للكتابة المصرية أنها كانت تصويرية، تعبر عن الشيء برسم صورة له. ولكن استخدام الكتابة التصويرية في الأمور المعنوية مثل الأفكار والصور المعنوية قد عجز عن رسم الصور الموحية بالمعاني المقصودة، لأنها كانت صعبة للغاية. ولذلك استخدموا رموزا للمعاني بدَلا من رسم تصاويره، فكانت بعض الصور تتخذ بحكم العادة والعرف للتعبير عن الفكرة التي توحي بها، لا عن الشيء المصور نفسه، فمثلا: كان مَقدم الأسد يعبّر عن السيادة كما في تمثال أبي الهَوْل[3].

وقد سميت هذه الكتابة بالكتابة الهيروغليفية وهي مشتقة من كلمتين يونانيتين "هيروس" (Hieros) و"جلوفوس" (Glophos) وتعنيان "الكتابة المقدسة" أو "الكتابة المنقوشة". وذلك لأنها كانت تكتب على جدران الأماكن المقدسة مثل المعابد والمقابر، أو لأنها كانت تُنقش بشكل بارز أو بأسلوب غائر على جدران الآثار الثابتة مثل المنازل والمعابد وعلى الآثار المنقولة مثل التماثيل واللوحات. (انظر شكل رقم 5)

[1] الكسندر ستيبتشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة: محمد م. الأرناؤوط، القسم الأول، ص: 32.
[2] محمد ماهر حمادة، الكتاب في العالم، ص: 22.
[3] نفس المصدر، ص: 23.

وقد استخدم المصريون للتعبير عن أفكارهم رموزا كثيرة جدا، بلغ عددها حوالي 3000 إشارة، لقد استعملوا حوالي عشرين رمزا للحرف A، وحوالي ثلاثين رمزا للحرف H، وهكذا[1].

وقد كتبت اللغة المصرية القديمة بخطوط أربعة، وكل نوع من هذه الخطوط استخدمه الشعب المصري حسب احتياجاتهم الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وهي الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية والقبطية.

1. **الهيروغليفية**: هي عبارة عن صور وإشارات تشمل ما في الطبيعة من إنسان أو حيوان أو أشجار أو غيرها من الظواهر الطبيعية. زيّن بها قدماء المصريين جدران معابدهم ومنازلهم وآثارهم كما كتبوا بها النصوص الدينية جميعها. فهي تعتبر كتابة مقدسة، وكان حفظ الرموز الهيروغليفية وتعلمها صعبا للغاية، إلا أن الكاتب لهذا النوع من الكتابة كان يتمتع بمنزلة رفيعة وعالية عند المصريين، واستطاع متعلمها أيضا أن يحصل على الوظائف الحكومية بعد إجادة الكتابة الهيروغليفية، ويصبح حاكم إقليم أو وزير.

وقد كانت الحروف الهيروغليفية تكتب عموديا من الأعلى إلى الأسفل، ولكنها فيما بعد كانت تكتب أفقيا أيضا، وذلك من اليمين إلى اليسار في العادة. وقد تكتب من اليسار إلى اليمين أحيانا محافظة على التناسق أو ما شابهه. وفي كلتا الحالتين تكتب الرموز بحيث تكون أشكال الإنسان والحيوان متجهة نحو أول سطر، أما الحروف الهيروغليفية الحديثة المستعملة في الطباعة فمتجهة من اليسار إلى اليمين[2].

2. **الهيراطيقية**: قد بلغ عدد الرمز الهيروغليفي إلى ما يقارب أربعمائة رمز. وبالطبع، كان من الصعب جدا أن يحفظ الشعب المصري هذا العدد الكبير من الرموز الهيروغليفية ويتعلمها، لأنه يتطلب ممارسة جادة وجهدا مستمرا. فكان من الضروري أن ينشأ نوع جديد من الكتابة يسهل حفظه وتعلمه واستخدامه في مجالات مختلفة وخاصة في الكتابة العادية. وقد سمي هذا النوع الجديد المتفرع من الكتابة الهيروغليفية بـ "الكتابة الهيراطيقية". وقد سميت أيضا بالخط الكهنوتي أي خط رجال الدين؛ لأن الكهنة ورجال الدين هم أول من نسخ هذه الكتابة الهيراطيقية، واستخدموها في كافة أعمالهم مثل الوثائق العامة والمستندات التجارية وغيرها من الأوراق لتخزين المعلومات، كما سجلت معظم الكتابات الأدبية للمصريين بالكتابة الهيراطيقية.

[1] محمد ماهر حمادة، الكتاب في العالم، ص: 24.
[2] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 46.

3. **الديموطيقية**: ثم نشأ على يد الشعب نفسه نوع ثالث من الكتابة، وهو الكتابة الديموطيقية، إلا أنه كان أقل عناية من النوع الثاني. وقد سادت هذه الكتابة لسهولة استخدامها بالنسبة للهيروغليفية والهيراطيقية، وسميت أيضا بالعامية نظرًا لانتشارها واستخدامها على نطاق واسع بين كافة الشعب المصري. وعلى الرغم من كونها لغة دارجة إلا أنها كانت مكتوبةً.

4. **القبطية**: استخدمت الكتابة القبطية في مصر القديمة، وهي مكتوبة بالحروف الإغريقية، ودوّن بها العلماء المسيحيون ورجال الدين كافة نصوصهم الأدبية وأخبارهم الدينية. وسادت تلك اللغة ومعها العديد من اللغات في البقاع العديدة، وذلك لتنوع من كانوا يعيشون في مصر آنذاك من الفراعنة ثم الفرس والبطالمة والإغريق واليونانيون واليهود حتى الرومان. فتعددت اللغات وتنوعت الكتابات. وظهر ذلك الاختلاف والتنوع بشكل واضح في العصر الروماني، حتى تم الفتح الإسلامي لمصر وبذلك بدأت اللغات الأخرى تنقرض حتى سادت العربية فيها.

ويعتبر حجر رشيد أعظم شاهد على تاريخ الكتابة المصرية القديمة وخاصة الكتابة الهيروغليفية التي كانت لغة دينية مقدسة متداولة في المعابد، والكتابة الديموطيقية التي كانت شائعة لدى الشعب، والكتابة الإغريقية (اليونانية القديمة) التي كانت لغة الحكام الإغريق. وقد اكتشف هذا الحجر ضابط فرنسي اسمه بيير فرنسوا بوشارد (Pierre-François Bouchard) إبّان الحملة الفرنسية بالقرب من مدينة رشيد الواقعة على مقربة من الإسكندرية في مصر عام 1799م. ويحمل هذا الحجر كتابة محفورة لمرسوم ملكي صدر في عام 196 قبل الميلاد، وقد أصدره الكهان تخليدا لذكرى الملك بطليموس الخامس. ويحتوي على ثلاثة أنواع من الكتابة وهي: الهيروغليفية والديموطيقية والإغريقية. وكتب النقش الأول بحروف هيروغليفية مصرية، والنقش الثاني مكتوب بالحروف الديموطيقية، أما النقش الثالث فهو مكتوب بالحروف الإغريقية. وهذا الحجر لا يزال محفوظا في المتحف البريطاني، بمدينة لندن. (انظر شكل رقم 6)

الكتابة الفينيقية: في مرحلة متقدمة من التاريخ البشري جاء الفينيقيون، وحظيت الكتابة عندهم مكانة خاصة. وقد سكن الشعب الفينيقي منذ الألف الثالثة الساحل الشرقي من البحر المتوسط (الشاطئ اللبناني حاليًا). وهم الذين اشتهروا بوضع نمط جديد من الحروف أسهل وأفضل بكثير من تلك المسمارية والهيروغليفية وغيرها من الحروف التي تطورت في منطقة بلاد الرافدين. وفي الواقع لقد أبدعت هذه المبادرة

أبجدية جديدة بحروف مبسطة جدا لكل صوت. وبالتحديد كانت هذه الأبجدية تتضمن 22 رمزا للتعبير عن الأصوات فقط[1].

لقد اشتهر الفينيقيون منذ العصر القديم بكونهم هم الذين أبدعوا الأبجدية بعد أن نشروها في جميع البلدان الواقعة على البحر الأبيض المتوسط. وقد اعتمدت الكتابة الفنيقية على مخارج الحروف بدلا من الكتابة التصويرية مثل الهيروغليفية والمسمارية. ويكفي هنا للدلالة على أهمية ذلك أنها كانت أساسا لكل من اللغة اليونانية واللاتينية والعربية والعبرية.

وأول ما عثر في المكتشفات الأثرية من ألواح كتابية مكتوبة بالأبجدية الفينيقية الكاملة هي تلك التي تنسب إلى آهيرام Ahiram؛ أحد معاصري رمسيس الثاني★ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وقد احتوت هذه الأبجدية على اثنين وعشرين حرفا كلها من النوع الساكن[2].

وقد تنوعت آراء الباحثين حول أصل الأبجدية الفينيقية، ما إذا كانت هي مشتقة من الكتابة الهيروغليفية أو غيرها من الكتابات الأخرى، فمعظم الباحثين يوافقون على أن الفينيقيين هم الذين ابتكروا نظام الكتابة الهجائية مستعينين في ذلك بالكتابة السومرية والهيروغليفية، ولكنهم طوّروها حسب حاجاتهم حتى وصلوا إلى أن أوجدوا نظاما كتابيا من شأنه أن يسهل الأعمال التجارية وحفظ السجلات من أجل التبادل التجاري والتواصل الاجتماعي. وقد انتقلت هذه الأبجدية إلى بلاد اليونان عن طريق الفينيقيين الذين كان لهم علاقات تجارية مع شعوب أخرى قاطنة على سواحل البحر الأبيض المتوسط.

وكتب الفينيقيون أبجديتهم وحروفهم من اليمين إلى اليسار. فسار قدماء اليونانيين سيرهم في الكتابة، فكتبوا بنفس الاتجاه ونفس الطريقة التي كتب بها الفينيقيون، إلا أنهم بعد فترة بدأوا يكتبون باتجاهين متعاكسين من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين حتى استقروا على الكتابة من اليسار إلى اليمين. أما الأبجديات السامية الأخرى مثل العربية والعبرية فقد حافظت على الاتجاه اليميني الموروث عن الفينيقيين.

[1] الكسندر ستيبتشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة: محمد م. الأرناؤوط، القسم الأول، ص: 28.
★ هو فرعون مصر الثالث، من حكام الأسرة التاسعة عشرة.
[2] هاري إلمر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة: محمد عبد الرحمان برج، مج1، ص: 27.

وتعدّ الأبجدية الفينيقية من أهم المنجزات البشرية ثقافةً وحضارةً، وهي من أجلّ ما قدّمه الفينيقيون من خدمات إلى العالم. إنهم قاموا بتطويرها وإخراجها إلى شكل يتفق تماما مع احتياجاتهم اليومية ومتطلباتهم الحياتية، كما كانت خالية من التعقيد والإبهام وبعيدة عن الغموض والالتباس، وكانت أكثر فهما ووضوحًا للجميع. وقد برزت إلى حيز الوجود عدة كتابات فينيقية نسبت إلى المناطق التي نشأت فيها؛ من أشهرها أبجدية أوغاريت التي كتبت بأشكال مسمارية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. والأبجدية السينائية التي تم العثور على نصوصها في سيناء. وأبجدية جبيل التي تتألف من 22 حرفا، كلها تكتب بالقلم والحبر على ورق البردي من اليمين إلى اليسار، وكانت أبجدية جبيل هي الأصل الذي اشتقت منه جميع الأبجديات السامية الأخرى بالإضافة إلى الأبجدية اليونانية. كما يقول أحمد حسن الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي:

> "المكتشفات الأثرية وعلم مقارنة اللغات أثبتت أن الخط الفينيقي مصدر الخطوط السامية، وأن الآرامي والمسند بأنواعه مشتقان منه"[1].

وقبل الخوض في دراسة نشأة الكتابة العربية وتطورها يحسن بنا أن نلخّص الأدوار التي مرت بها الكتابات القديمة، ابتداءً من مرحلة الكتابة التصويرية وحتى مرحلة الكتابة الأبجدية. وخلال هذه الفترات الزمنية التي مرت عليها آلاف السنين وإبّان تقلبات الزمن، اتخذ الخط والكتابة عدة أشكال واتجاهات كتابية. وقد ذكرنا في هذا البحث الأنواع الأساسية للكتابة القديمة، وذلك فقط تمهيدًا للوصول إلى معرفة الكتابة الفينيقية التي يبتدأ منها تاريخ الأبجديات في العالم. وكما نعرف جيدا أن الكتابة العربية تعتمد كليًا على الكتابة الأبجدية أو الألفبائية كغيرها من اللغات السامية الأخرى، فكان من الضروري أن يذكر أصل هذه الأبجدية التي أقامت ثورة في دنيا الكتابة ولعبت دورا ملموسا في تطويرها إلى ما هي عليه الآن.

وقد حدّد مراحل تطور الكتابة الأستاذ حفني ناصف في أربعة أدوار فهو يقول:

> "والتحقيق أن الخط من وضع البشر وأنه لم يصل إلى ما هو عليه الآن إلا بعد أن قطع أربعة أدوار؛ وهي: الدور الصوري المادي، والدور الصوري المعنوي والدور الصوري الحرفي والدور الحرفي الصرف"[2].

[1] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص: 78.
[2] حفني ناصف، حياة اللغة العربية، ص: 47.

ويمكن تقسيم هذه الأدوار إلى ثلاثة أدوار رئيسية حيث بدأت الكتابة تصويرية رمزية ثم صارت مقطعية وبعد ذلك تطورت الكتابة المقطعية إلى أن اتخذت شكل الكتابة الأبجدية.

فالكتابة التصويرية – الرمزية هي أقدم شكل للكتابة التي اخترعها البشر، وهي تمثل الأشياء أو الأفكار عن طريق وضع صورة أو علامة تدلّ على تلك الأشياء أو الأفكار. وهي كتابة سهلة يستطيع كل شخص أن يقرأها، لأن صورة الشيء تدلّ على مدلوله، فإذا رأينا مثلا صورة إنسان يحمل قوسا ومعه كلبه، وقريبا منه صورة غزال يعدو، يمكننا بسهولة أن ندرك أن ذلك يدل على رحلة صيد ومن أشهر الكتابات التصويرية الكتابة السومرية والهيروغليفية والصينية في صورتها القديمة. وقد بدأ الصينيون الكتابة منذ الألف الثالثة قبل الميلاد[1].

وجميع هذه الكتابات الثلاث السومرية والهيروغليفية والصينية لم تبق على حالتها القديمة، بل طرأت عليها تغييرات، وذلك لأنها تخلّفت عن التعبير عن جميع المتطلبات الإنسانية. وهكذا تطورت الكتابة التصويرية وأصبحت كتابة رمزية، إلا أن هذا الرمز لم يستعمل للدلالة على الشيء المادي الذي يمثّله فحسب، وإنما استخدِم للدلالة أيضًا على الأسماء والأفعال والصفات التي لها علاقة بالشيء المادي الذي تمثّله العلامة.

والكتابة المقطعية هي مرحلة ثانية لتطور الكتابة، وقد أخذت الكتابة في هذه المرحلة الزمنية شكلا متطورا، وذلك لأن الكتابة التصويرية والرمزية قد ضاق نطاقها عن التعبير عن الأشكال بشكل واضح، فكانت الحاجة ماسة إلى تطوير الكتابة للتعبير عن كافة الحاجات. وذلك عن طريق إقامة العلاقة الصوتية بين الشيء وصورته المكتوبة، ولكن هذه العلاقة لم تبدأ بصورة مفاجئة، بل بدأت بشكل كتابة مقطعية، أي رمز واحد يعبر عن مقطع صوتي مؤلف من أكثر من صوت، وهكذا أتيح للبشر أن يقوم بتحليل ألفاظ اللغة إلى مقاطع، وأن يستخدم الصورة للتعبير عن المقطع الصوتي.

فكلمة "مكتب" مثلا مؤلفة من مقطعين صوتيين (مك + تب)، وعن كتابتها سوف يستخدم الكاتب رمزين فقط، رمز للمقطع الأول ورمز للمقطع الثاني[2].

أما الكتابة الأبجدية فهي كتابة تتميز بكونها كتابة أكثر تطورا وشائعة في العالم، وفي هذا النوع من الكتابة يُخصَّص رمز واحد لصوت واحد، أي أن الرموز المستخدمة في الكتابة يكون عددها مساويًا

[1] الكسندر ستيبتشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة: محمد م. الأرناؤوط، القسم الأول، ص: 43.
[2] غانم قدوري الحمد، "الكتابة العربية"، مجلة الحكمة، العدد 10، جمادى الثانية، 1417هـ، ص: 214.

للأصوات التي تتألف منها اللغة، وبذلك أصبحت الأبجديات العالمية مقيّدة في ثلاثين رموزا، أو أكثر منها بقليل أو أقل منها بقليل، حسب طبيعة اللغة التي تستخدم الكتابة.

ومعظم الكتابات العالمية التي تستخدم في زماننا من هذا النوع، إلا أن كيفية ظهور الأبجدية ونشأتها لا تزال موضع خلاف بين الباحثين وعلماء الآثار، وإن كانوا جميعا يوافقون على أن المنطقة الواقعة شرقي البحر الأبيض المتوسط وما يحاذيها من الجنوب هي مولد الكتابة الأبجدية، ويعتبر الكنعانيون والفينيقيون رواد تطورها.

الكتابة العربية: الكتابة العربية التي نحن بصددها في هذا البحث من أهم الكتابات السامية جميعها، وقد تضاربت الآراء حول كيفية نشوءها وتطورها. وذهب الباحثون والكتّاب مذاهب شتى في الكشف عما وجد في نشأتها من غموض وإبهام.

ويمكن تلخيص هذه الآراء والأقوال عن نشأة الخط العربي واشتقاقه في مجموعتين رئيسيتين:

الأولى: هي مجموعة آراء الباحثين والمؤرخين الذين اعتمدوا على الأخبار والروايات التاريخية. والثانية: هي مجموعة آراء الباحثين الذين اعتمدوا على الشواهد والمكتشفات الأثرية.

فالآراء والأقوال التي تعتمد على الأخبار والروايات التاريخية، هي ترتكز بشكل ملحوظ على تاريخ بداية الكتابة العربية وكيفية ظهورها على أيادي الأفراد القاطنين في مناطق مختلفة في العصور الموغلة في القدم. ويمكن تلخيص مجموعة هذه الآراء وتلك الأقوال في النقاط التالية:

1. إن الخط العربي نزل توقيفيًا من الله تعالى مع سائر الخطوط والكتابات، وأول من وضع الكتاب السرياني وسائر الكتب آدم عليه السلام قبل موته بثلاث مائة سنة، ثم كتبها في الطين، ثم طبخه. فلمّا انقضى ما كان أصاب الأرض من الغرق، وجد كل قوم كتابهم، فكتبوه، فكان اسماعيل عليه السلام وجد كتاب العرب[1]. ويستدل أصحاب هذا الرأي بما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: "**وعلّم آدم الأسماء كلها**"[2]، و"**إقرأ وربك الأكرم، الذي علّم بالقلم**"[3].

[1] الجهشياري، كتاب الوزراء والكتّاب، ص: 8. وابن عبد ربه، العقد الفريد، ج16، ص: 8.
[2] سورة البقرة، الآية رقم: 31.
[3] سورة العلق، الآية رقم: 4-3.

2. وهنالك رواية تقول إن الكتابة العربية توفيق أي اختراع، واختلف فيمن اخترع الكتابة العربية، فقيل: أول من اخترع وألف بين حروف الخط العربي ستة أشخاص من طَسْم في جزيرة العرب كانوا نزولا عند عدنان بن أُدَد، وكانت أسماؤهم: (أبجد، هوّز، حطّي، كلمن، سعفص، قرشت). فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم، فلما وجدوا في الألفاظ حروفا لم تذكر ضمن أسمائهم ألحقوها بها وسمّوها الروادف، وهي ث خ ذ، ض ظ غ[1].
3. وروي أن أول من وضع الكتاب بالعربية اسماعيل بن ابراهيم. وكان أول من نطق بالعربية، فوضع الكتاب على لفظه ومنطقه[2].
4. وقيل إن النبي إدريس عليه السلام أول من خط بالقلم بعد آدم عليه السلام[3].
5. إن أول من وضع الكتابة العربية هو مرامر بن مرة من أهل الأنبار، وقيل إنه من بني مرة. ومن الأنبار انتشرت الكتابة في الناس.[4]
6. أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بَوْلان، وبولان قبيلة من طيء، نزلوا مدينة الأنبار، وهم مرامرة بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة، اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة، ثم قاسوها على هجاء السريانية. فأما مرامر فوضع الصور، وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الإعجام، ثم نقل هذا العلم إلى مكة وتعلّمه من تعلّمه وكثر في الناس وتداولوه.[5]
7. وورد أن رجلا قال لابن عباس: "معاشر قريش؛ من أين أخذتم هذا الكتاب العربي قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم، تجمعون منه ما اجتمع، وتفرقون منه ما افترق مثل الألف واللام؟ قال: أخذناه من حرب بن أمية. قال: فممن أخذه حرب؟ قال: من عبد الله بن جدعان، قال فممن أخذه ابن جدعان؟ قال: من أهل الأنبار، قال: فممن أخذه أهل الأنبار؟ قال: من أهل الحيرة، قال: فممن أخذه أهل الحيرة؟ قال: من طارئ طرأ عليهم من اليمن من كندة. قال: فممن أخذه ذلك الطارئ؟ قال: من الخفلجان بن الوهم كاتب الوحي لهود عليه السلام".[6]

---

[1] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص: 9. وابن النديم، الفهرست، ص: 6.
[2] الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب، ص: 8.
[3] نفس المصدر، ص: 8.
[4] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص: 43.
[5] ابن النديم، الفهرست، ص: 7-6. وأحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص: 8.
[6] جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج2، ص: 349.

هذه خلاصة الروايات والأخبار التاريخية والأقوال القديمة في أصل الخط عند العرب، وفي كيفية منشئه وظهوره، وقد تناقلها العلماء والمؤرخون. ومن يلقي عليها نظرة نافذة يجد فيها الاختلاف والتباين جليًا وملحوظًا، كما تندرج تلك الروايات في قائمة الغرابة والتناقض فيما بينها، وتحتاج إلى روايات موثوقة بها من شأنها أن تثبت صحتها. وكما يقول "غانم قدوري الحمد" أن هذه الروايات تعاني من ثلاث نقائص، وهي[1]:

1. عدم اعتمادها على الوثائق، أي النقوش الكتابية القديمة.
2. معارضتها على نحو يمنع التوفيق بينها.
3. ضعف أسانيدها واتهام رواتها مما يضعف الثقة بها عموما.

وإمعان النظر في الروايات المذكورة أعلاه تجعلنا أن نقول إن الخط العربي لم يكن أصيلا في الحجاز، وإنما دخله من اليمن، أو من العراق، أو من أرض مدين. وأن أهل مكة إنما تعلموه من الأماكن المذكورة في وقت غير بعيد عن الإسلام. وأول من كتب به هم أهل مكة، ولذلك قدّم أهل الأخبار خطَ أهل مكة على سائر الخطوط التي عرفت في الإسلام. وجعلوه أول الخطوط العربية، وبعده الخط المدني.

وأما آراء الباحثين والمؤرخين الذين اعتمدوا على الشواهد والمكتشفات الأثرية، فهي تتحدث بشكل رئيسي عن اشتقاق الخط العربي وتفرعه. وقد تضاربت الآراء واختلفت الأقوال في أصل الخط العربي واشتقاقه. ففريق يرى أن الخط العربي مشتق من الخط المسند الذي يعرف باسم الخط الحميري أو الجنوبي، وسُمّي بخط الجزم لأنه جزم عن المسند أي أخذ منه[2]، وأن أهل الأنبار تعلّموه من أهل اليمن. وفريق يؤكد أن الخط العربي مشتق من الخط النبطي الذي كان العرب الأنباط قد استخدموه. وقد استدلّ كل من هذين الفريقين بالشواهد والمكتشفات الأثرية التي تم العثور عليها في مناطق العرب المختلفة على مرّ العصور. وقد ذكرنا بقدر من التفصيل هذه الآراء وتلك الأقوال المعتمدة على الشواهد والتنقيبات الأثرية تجاه اشتقاق الخط العربي وأصله في الفصل الأول من الباب الثاني تحت عنوان "الخط العربي في عصر ما قبل الإسلام".

[1] غانم قدوري الحمد، "الكتابة العربية"، مجلة الحكمة، العدد 10، جمادى الثانية 1417هـ، ص: 223.
[2] ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص: 40.

(شكل رقم 1) المصدر: الكتابة الهيروغليفية (2012)[1]

(الكتابة التصويرية وهي أقدم أنواع الكتابة)

(شكل رقم 2) المصدر: زهير صاحب، (2009)، "الكتابة السومرية"[2]

(الكتابة السومرية وهي كتابة تصويرية رمزية)

[1] http://karameesh.lolbb.com/t35341p10-topic

[2] http://www.doroob.com/archives/?p=39873

(شكل رقم 3) المصدر: مفيد رائف العابد، "الكتابات القديمة"[1]

(شكل رقم 4) المصدر: شاكر مجيد سيفو، (2014)، "حكاية الأساطير..."[2]

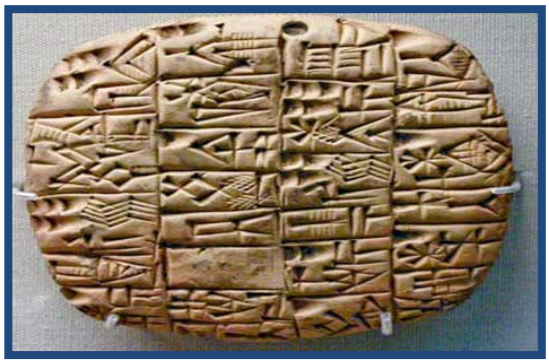

(نموذجان من الكتابة المسمارية وقد كتب بها السومريون والبابليون والآشوريون في بلاد الرافدين)

[1] http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=160376&m=1

[2] http://www.alquds.co.uk/?p=175983

(شكل رقم 5) المصدر: علاء الكاشف، (2011)، "موسوعة التاريخ الفرعوني"[1]

(الكتابة الهيروغليفية التي استخدمت في مصر القديمة)

[1] http://www.majalisna.com/b/vt.php?TID=139651

(شكل رقم 6)[1]

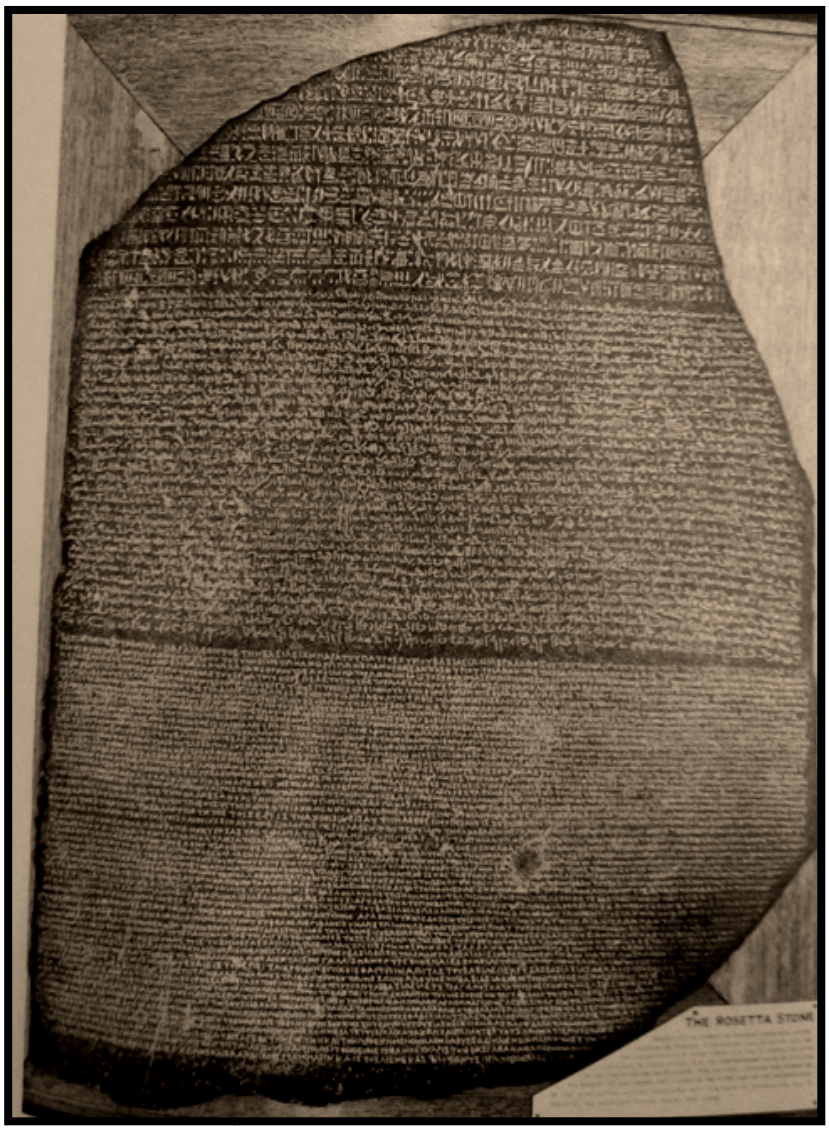

(صورة لحجر رشيد Rosetta Stone، يحتوي هذا الحجر على ثلاثة أنواع من الكتابة وهي: الهيروغليفية والديموطيقية والإغريقية. وكتب النقش الأول بحروف هيروغليفية مصرية، والنقش الثاني مكتوب بالحروف الديموطيقية، أما النقش الثالث فهو مكتوب بالحروف الإغريقية).

[1] Roy Harris, The Origin of Writing, Gerald Duckworth & Co. Ltd. London, 1986, P.79.

الفصل الثالث

مواد الخط والكتابة وأدواتهما

أهمية مواد الكتابة وأدواتها لا تقل عن أهمية الكتابة نفسها، لأنها وسيلة هامة لصيانة الأفكار من التلف والضياع. فالحضارات القديمة قد اعتنت بها اعتناءا بالغا لما لها دور ملموس في الحفاظ على الكتابة وانقراضها. وقد استخدمت الشعوب العالمية العريقة موادا كثيرة ومتنوعة لتسجيل معلوماتهم عليها حسبما توفر لديهم من مواد الكتابة مثل الطين والحجر والجلد وورق البردي، وذلك لأن الكاغذ أو الورق لم يكن يعرف في بيئاتهم في ذلك الوقت، ولم يتوصل الإنسان إلى اختراعه إلا في عصر متأخر نسبيا، فلجأوا إلى الطبيعة لنحت الأفكار والآراء لأنهم كانوا أقرب إليها. وفيما يلي نذكر بعضا من هذه المواد القديمة للكتابة، وهي:

الحجر والطين: استخدمت الشعوب القاطنة في الشرق الأوسط، وخاصة السومريون والبابليون والآشوريون، الحجر والطين كمادة للكتابة. فكانوا يسجّلون أفكارهم على مواد حجرية وصخرية، ومثال ذلك: مِسَلَّة حمورابي الشهيرة، وكانت تلك المواد متينة ومحكمة، واستطاعت أن تبقى عبر العصور الطويلة. كما أنهم كانوا يكتبون معارفهم ومعلوماتهم على الألواح الطينية، ثم يجففونها تحت أشعة الشمس أو يلقونها في النار لتكتسب صلابة، إلا أن المواد الحجرية كانت أكثر متانةً ومناعةً بالنسبة للمواد الطينية؛ لذلك تعرض الكثير من المواد الطينية إلى التلف والضياع بفعل هشاشتها وتأثرها بالماء والملح.

وقد تم العثور على آلاف الرُقم الطينية بأحجام وأشكال مختلفة في الحفريات الأثرية مما تدلّ على اهتمامهم بالكتابة على الطين لكونه سهلة المنال. والفضل فيما نعرفه عن ثقافات الشعوب القديمة في الشرق الأوسط يرجع إلى تلك الألواح الطينية الصلبة التي استطاعت أن تقاوم التأثيرات المناخية.

لقد أخذت هذه الشعوب الطين من شاطئ نهر دجلة والفرات وأعدت منه ألواحا طينية محكمة. كما تميّز هذا الطين كغيره من الطين بالصفاء والنقاء، فلم تكن فيه مواد حجرية مثل الحصى والأحجار الصغيرة؛ لأن ماء النهر الجاري كان يجرف الشوائب في طريقه. وهكذا، فقد كان الطين مناسبا للاستخدام بدون أي تحضير، فصنعوا من تلك المادة الخام آلاف الرقم الطينية ووضعوا هذه الألواح تحت أشعة الشمس إلى أن تجفّ وكتبوا عليها بآلة مثل الإسفين. ويعدّ الطين المفخور أو المشوي من أجود

أنواع الطين لأنه يكتسب صلابة ومتانة ويقاوم الزمن، على حين تكون الرقم على الطين غير المفخور ضعيفة في مقاومة المؤثرات الزمنية.

وكما يعبّر عن هذا الرأي "سفند دال" في كتابه:

> "كانت حروف كتابة البابليين والآشوريين تحفر على ألواح، وهي لم تزل بعد لينة رطبة، وذلك باستعمال آلة مثلثة الشكل مصنوعة من المعدن أو العاج أو الخشب. وإذا كانت كتابة البابليين والآشوريين قد اتخذت شكل الزوايا، فإنما يرجع ذلك إلى المادة والآلة المستعملتين في هذه الكتابة. وبعد الانتهاء من الكتابة على الألواح، كانت توضع كاللبن المجفف في أفران كي تكتسب صلابة"[1].

وكانت الرُقم الطينية مختلفة الأحجام، فقد كان ارتفاعها يتراوح بين 6-5 سم إلى 30-25 سم[2].

أما المصريون القدماء فكانوا يكتبون في معظم الأحيان على جدران المعابد والمنازل والأحجار المسطحة وعلى المقابر، ونادرا ما كانوا يكتبون على الألواح الخشبية والمواد الطرية مثل الطين. لقد استعملوا الألواح الخشبية لكتابة النصوص القصيرة فقط. كما استخدموا الرَقّ أيضا وخصّصوه بالكتابة الخاصة مثل تدوين بعض وثائق الدولة التي اكتسبت أهمية بالغة وما إلى ذلك من الأمور المهمة. وفيما يتعلق باستعمال الرقّ للكتابة فإن أقدم نموذج للرقّ المستعمل للكتابة يعود إلى الأسرة الثانية عشرة (2000-1800) قبل الميلاد. وبعد ذلك بقي الرقّ يستعمل للكتابة من حين لآخر حتى أواخر عهد الدولة المصرية[3].

ورق البردي: لقد شاع استخدام ورق البردي لدى معظم الحضارات الموغلة في القدم، وخاصة عند الحضارة المصرية التي تعتبر من أعظم الحضارات في تاريخ البشر. فقد أعدّ الشعب المصري هذا الورق بطريقة خاصة ثم كتبوا عليها أفكارهم، وسجلوا الوثائق التجارية والعهود بين قبيلة وأخرى.

والبردي نبات قديم ينبت في الأراضي شديدة الرطوبة بديار مصر، وخاصة في مستنقعات دلتا نهر النيل، عرف المصريون القدماء هذا النبات وأفادوا منه، فصنعوا منه نوعا من القُماش والقوارب، كما صنعوا منه ورقا كتبوا عليه واستخدموه في شتى الأغراض. وكان ذلك مما ساعد على تطور الأفكار والآداب

[1] سفند دال، تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى العصر الحاضر، ترجمة: محمد صلاح الدين حلمي، ص: 10.
[2] الكسندر ستيبتشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة: محمد م. الأرناؤوط، القسم الأول، ص: 26.
[3] نفس المصدر، ص: 35.

والثقافات القديمة لمدة أربعين قرنا، كما كان مادة للثقافة الإسلامية مدة ثلاثة قرون[1]. وقد سماه الإغريق باسم بابيروس Papyrus وينتمي لفصيلة النبات المفصلية، إلا أنه أصبح الآن نادر الوجود.

ويتحدث الكسندر ستيبتشفيتش عن تاريخ ورق البردي فهو يقول:

> "لقد استخدم ورق البردي للكتابة في وقت مبكر جدا، فأقدم النماذج المحفوظة في مصر تعود إلى نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد، ولكن يعتقد أن بداية الكتابة على ورق البردي تعود إلى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد. وقد وصل ورق البردي إلى فينيقيا حوالي سنة 1100 ق.م. بينما نجده في آشور في القرن الثامن قبل الميلاد. وفي ذلك الوقت، ربما في القرن التاسع قبل الميلاد وصل ورق البردي إلى اليونانيين عن طريق الفينيقيين"[2].

وأما المادة الأكثر استخداما طوال تاريخ الحضارة المصرية القديمة فكانت هي ورق البردي، وقد استخدم المصريون هذا الورق الذي كثر نباته في مصر نتيجة للمناخ المناسب لزراعة مثل هذا النبات. والفضل في انتشاره على نطاق واسع يرجع إلى كون الكتابة عليه أمرا هينًا وسهلا حتى يستطيع الكاتب طيه بشكل اللفافة.

يقول الكسندر ستيبتشفيتش:

> "وبفضل المناخ المصري الملائم للغاية فقد تم الحفاظ على عدد كبير من ثقافات البردي، وخاصة في المقابر كما في بقايا المعابد وحتى في البيوت الخاصة. ولقد كان الكتاب المدوّن على ورق البردي في مصر يأخذ دائما شكل اللفافة، وقد بقي الكتاب على هذا الشكل حتى في العهود اللاحقة كاليوناني والروماني"[3].

---

[1] عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص: 20.
[2] الكسندر ستيبتشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة: محمد م. الأرناؤوط، القسم الأول، ص: 78.
[3] نفس المصدر، ص: 35.

وأما فيما يتعلق بآلة الكتابة وأداتها فقد استخدم المصريون في العصور القديمة أقلاما طويلة، وكانت تصنع من نبات ينبت في المستنقَعات، ويتراوح طولها بين 23-16 سم. وقد كانت هذه الأقلام تبرى بشكل مائل في أحد أطرافها حتى يمكن الكتابة بها كتابة غليظة أو دقيقة على اختلاف حجم القطع والبرى.

وقد عبّر عن هذه الفكرة الدكتور عادل الألوسي:

> "وكان يكتب على أوراق البردي بقلم عريض، مائل القطع أو الرأس، أو بفرشاة رقيقة ذات خط سَميك. وقد وصلت إلينا نماذج رائعة من أوراق البردي تحمل على صفحاتها تاريخا مجيدا وفكرا وثقافة وجمالا"[1].

وكانت تغمر هذه الأقلام في حبر أسود أو أحمر ثم يكتب بها على مواد مختلفة مثل ورق البردي. كما كانت تحفظ هذه الأقلام في محافظ خاصة مصنوعة من القصب، أو في عُلب مصنوعة من الخشب والعاج والمرمر. وكان حجم هذه المحافظ وتلك العُلب كبيرا جدا يتسع لمحبرتين، واحدة للحبر الأسود وواحدة للحبر الأحمر. وبالإضافة إلى هذا، فقد كان معظم الكتاب يحملون معه كيسا صغيرا من الجلد للماء لأغراض متعددة، مثل تمديد الحبر قبل استعماله أو مسح كلمة مكتوبة بالخطأ وما إلى ذلك من الأمور الخاصة بالكتابة. أما المسطرة التي كانت تستخدم في تسطير الأسطر وقياس الصفحات، فقد حظيت مكانة مرموقة لدى الكتاب مثل القلم سواء بسواء، وكانت جزءا لا يتجزأ للكتابة، لا يمكن الاستغناء عنها لكل كاتب.

وعلى الرغم من كون ورق البردي وسيلة هامة شائعة للكتابة بين الشعوب القديمة وخاصة الشعب المصري، إلا أنه لم يبق مادة وحيدة للكتابة بل فقد هويته على مرّ العصور، وذلك عندما ظهرت مادة جديدة مقابل ورق البردي في أوائل العصور المسيحية واستطاعت بعد فترة أن تتغلب عليه وتصبح مادة رئيسية أخرى للكتابة، وهي مادة الرقّ والجلد التي حلّت محل ورق البردي.

الرَقّ والجلد: يعدّ الرقّ والجلد من المواد الأولى والمبكرة التي كتب عليها الإنسان فكره، وسطّر عليها حضارته وأمجاده. وكما أن الإنسان القديم لم يكتف بمادة واحدة للكتابة بل كان دائما يبحث عن مادة يمكن الكتابة عليها بسهولة ويسر، لذلك استخدمت الشعوب القديمة الرقوق والجلود كمادة للكتابة لكونها سهلة المنال، ولعلها من أبرز العوامل التي أدت إلى صناعة الرقّ. وحدث ذلك عندما ندر

[1] عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص: 20.

استعمال البردي في مصر لبعض الظروف. وقد كانت الرقوق والجلود تصلح للكتابة على وجهيها، فضلا عن متانتها وقدرتها على مقاومة الزمن. فاستخدمها الكتاب القدماء للكتابة عليها، معتبرين إياها من أهم مواد الكتابة. ونظرا لأهمية الرق واستخدامه كمادة للكتابة، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم، كما قال تعالى: "**والطور، وكتاب مسطور، في رق منشور**"[1].

لقد استخدمت الحضارات العريقة والشعوب القديمة في مختلف مناطق الشرق الأوسط الجلد العادي كمادة للكتابة عليه، وذلك قبل أن تتمكن هذه الشعوب من إنتاج الرقّ وإعداده. وتدل على ذلك النصوص القديمة التي قد تم العثور عليها في البقاع المختلفة في الشرق الأوسط، وهي نصوص عريقة مكتوبة على الرقّ. وأقدم نص مكتوب على الجلد في مصر يعود تاريخه إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد. أما النصوص المكتوبة على الجلد في مناطق بلاد الرافدين، فيرجع تاريخها إلى القرن التاسع قبل الميلاد. وكان هذا بداية لاستخدام الجلد كمادة للكتابة، كما كان يعتبر كل من هذين المركزين الحضاريين مهدا لنشوء فكرة الكتابة على الجلد، ومن هنا انتشر استعماله إلى معظم البلدان وساد في بلاد الفينيقيين والشعوب الأخرى في شرق البحر الأبيض المتوسط.

هذا، وقد استخدم الجلد للكتابة عليه الآشوريون والفرس وبنو إسرائيل، واستخدموا جلود الحيوانات العائشة في بيئاتهم، كالماشية والأغنام والضأن والعجول. كما عرف الإغريق أيضا استعماله، ولم يكن مجهولا لديهم بل شاع وانتشر في اليونان وسمّوه باللغة الإغريقية باسم Diphterai (وهي كلمة يونانية ذات أصل فارسي قديم "دفتر")، وكانت هذه الجلود تهيأ بعناية فتُكشط وتُحك حتى ترقّ. أما الفرس فقد استخدموا جلود الجواميس والبقر والغنم كمادة للكتابة عليها.

وكان استعمال الرق يعتبر أبقى وأتقن من ورق البردي. إلا أن استعماله في البداية كان قاصرا على الرسائل والوثائق والعهود والمذكرات الموجزة وما إلى ذلك. وعلى مرّ العصور خطا استخدام الرقّ خطوة جديدة إلى الأمام، فاستخدم في صناعة الكتب. ولكن استخدامه لم ينتشر إلا ببطء، إذ ظلّ يكافح في هذا السبيل مدة ثلاثة قرون قبل أن ينتصر على البردي تماما[2].

[1] سورة الطور، الآية رقم: 3-1.
[2] سفند دال، تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى العصر الحاضر، ترجمة: محمد صلاح الدين حلمي، ص: 21.

وأفضل أنواع الجلود في صناعة الرقّ ما كان مصنوعا من جلد الغزلان والماعز والخراف وصغار العجول ويسمى هذا النوع الأخير باسم Vellum، وتوجد نماذج منها في دار الكتب المصرية، ومكتبات بغداد واستامبول وبرلين وباريس. ومن الجدير بالذكر أنه يوجد هناك فرق بين الجلد والرق، فالجلد هو جلد عادي لا يعالج كيماويا على حين يعالج الرق كيماويا وذلك لأنه يهيّأ بطريقة خاصة وبعناية فائقة. فالجلود بعد تنظيفها تماما وإزالة الوبر والصوف أو الشعر عنها توضع في ماء الجِيْر* حتى تزول عنها المواد الدهنية، ثم تُجفف بعد ذلك وتُحك بمسحوق الطباشير الناعم ثم تصقل بحجر الطلاء، وبعد ذلك يصير الجلد صالحا للكتابة تماما[1].

وأما فيما يتعلق بالعرب فإنهم أيضا استخدموا في الجاهلية الرقّ وكتبوا عليه أفكارهم وسجّلوا معارفهم وعلومهم، ويدلّ على ذلك قول الشاعر حسان بن ثابت:

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الرقّ القشيب

وقد حظيت الكتابة على الرقّ عناية فائقة لدى المسلمين العرب وخاصة في صدر الإسلام، فشاعت الكتابة على الرقّ وكثر استخدامها منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما كان يكتب علي ابن طالب في الأديم ما يملي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]. وقد كُتبت أجزاء من القرآن على الرقاع، وهو جمع رُقعة، وقد تكون من جلد أو رقّ أو كاغد[3].

وظلّ الأمر هكذا حتى القرن الثامن الميلادي، فالعرب غالبًا ما كانوا يستخدمون الرق والجلود كمادة للكتابة، ومثلهم في ذلك مثل بقية الشعوب في ذلك الزمن، ثم أخذوا يستعملون ورق البردي بعد فتح مصر. وسرعان ما تركوا الكتابة على ورق البردي عندما ظهرت صناعة الورق فأنشأوا مصانع له واستخدموه للكتابة عليه على نطاق واسع.

مواد أخرى: أما المواد الأخرى التي استعملتها الحضارات القديمة والشعوب المتنوعة في مختلف البقاع والأزمنة، فهي تتنوع حسب تنوع الزمان والمكان. فتارةً استخدِم لِحاء الشجر والعظام كمادة للكتابة،

* limewater

[1] محمد ماهر حمادة، الكتاب في العالم، ص: 69. وعادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص: 16.
[2] يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص: 256.
[3] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص: 386-385.

وتارة أخرى استعمل اللِّخاف والعُسُب كوسيلة لتسجيل المعارف والعلوم عليها، ومرة استخدم الحديد ومرة أخرى استعمل النحاس لنحت الأفكار والآراء عليه.

يقول "سفند دال" في كتابه:

> "رأينا مدى تباين المواد التي كانت مستعملة في الكتابة، أثناء القرون الأولى من العصر التاريخي، في مختلف الأقطار والأزمنة، ومع هذا فإننا لم نذكر المادة التي ربما كانت أول مادة استعملت للكتابة وهي لحاء الشجر. وكان يستخدم سعف النخل بعد تجفيفه وحكّه بالزيت في تحرير المخطوطات على مرّ العصور، وأنه لا يزال إلى الآن مستعملا بعض الشيء في الهند. ولقد كان من السهل الكتابة على هذا اللحاء، كما كان يكتب على سعف النخل بالضبط، وذلك بخدشه بإبرة"[1].

وبالإضافة إلى لحاء الشجر الذي اتخذته الشعوب القديمة مادة للكتابة في العصر القديم، فإن الفرس كانوا يسجّلون علومهم في اللخاف والنحاس والحديد ونحوها من المواد الأخرى، كما كانوا يكتبون في عسب النخل وعظم أكتاف الإبل والغنم. وعلى هذا الأسلوب اتبع العرب طريقتهم في الكتابة لاحتكاكهم بهم. واستمروا في الكتابة على هذا النحو حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن الكريم، فكانوا يكتبون القرآن حين ينزل في اللِخاف والعسب. فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال عند جمعه القرآن؛ فجعلتُ أتتبع القرآن من العُسُب واللِخاف[2].

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه كان يُملي ما يُنزّل عليه من الوحي على بعض من أصحابه رضي الله عنهم، والذين سمّوا فيما بعد بـ "كتّاب الوحي"، وكان الإملاء آنذاك على مواد مختلفة متواجدة في بيئتهم، مثل: أكتاف الإبل واللِخاف والرقاع والعُسُب.

وقد ذكر هذه المواد أبو عبد الله الزنجاني في كتابه:

> "والكتبة كانوا يكتبون الآيات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في العسيب واللخاف والرقاع، وأحيانا في الحرير وقطع الأدم والأكتاف على عادة العرب بالكتابة على تلك الأشياء، وكان يطلق عليها

[1] سفند دال، تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى العصر الحاضر، ترجمة: محمد صلاح الدين حلمي، ص: 12.
[2] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج2، ص: 486.

الصحف. وكانت تلك الصحف تكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضع في بيته"[1].

الورق: يعتبر الورق من أحدث المواد للكتابة، وقد أحدثت صناعة الورق ثورة كبرى في دنيا الكتابة، وغيّرت وجه الحضارة الإنسانية، وأدت بها إلى أعلى قمتها. ويذهب الباحثون والمؤرخون إلى أن اختراع الورق صيني الأصل، اخترعه "تسي لن" في بداية القرن الثاني للميلاد.

وقصة الكتابة على الورق عند العرب ترجع إلى معركة اندلعت بين قبيلتين تركيتين في آسيا الوسطى، وقد طلبت كل قبيلة المساعدة من جيرانها، من العرب والصينيين. والقبيلة التي ساعدها العرب قد فازت بهذه المعركة، ومن ثم قد أسر العرب بعض الصينيين الذين كانوا يعرفون سر إنتاج الورق. وقد جلب العرب هؤلاء الأسرى إلى مدينة سمر قند، حيث أسسوا بمساعدتهم أول معمل لصنع الورق. وخلال فترة قصيرة أصبحت هذه المدينة معروفة بورقها الممتاز الذي كانت تنتجه وتصدره إلى كثير من البلاد العربية[2].

وعندما مدّ العرب المسلمون نفوذهم إلى سمرقند، تمكنوا من نقل صناعة الورق إلى خراسان ثم إلى بغداد، وكان ذلك في أوائل عهد هارون الرشيد. وكان يطلق عليه اسم "كاغد" وهي كلمة فارسية تعني الورق الحريري. ثم انتشرت بعد ذلك هذه الصناعة حتى دخلت في أوربا بعد قرون.

وكما يرى ابن خلدون في مقدمته:

> "ثم طما بحر التأليف والتدوين، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه، وضاق الرقّ عن ذلك، فأشار الفضل بن يحيى (والي خراسان 178هـ وابن يحيى البرمكي وزير هارون الرشيد) بصناعة الكاغد، وصَنَعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه، واتخذه الناس من بعده صحفا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية، وبلغت الإجادة في صناعته ما شاءت"[3].

وقد ورد في القرآن ذكر ثلاثة أنواع من مواد الكتابة؛ الأول اللوح، قال تعالى: "**بل هو قرآن مجيد، في لوح محفوظ**"[4]. والثاني الرَقّ، قال تعالى: "**والطور، وكتاب مسطور، في رق منشور**"[1]. والثالث القرطاس والصحيفة

---

[1] أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، ص: 48.
[2] الكسندر ستيبتشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة: محمد م. الأرناؤوط، القسم الأول، ص: 220.
[3] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص: 422-421.
[4] سورة البروج، الآية رقم: 22-21.

وهما بمعنى واحد وهو الكاغد. أما القرطاس فقال تعالى: "**ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم، لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين**"[2]. وأما الصحيفة فإنها لم ترد إلا بلفظ الجمع، قال تعالى: "**أم لم ينبأ بما في صحف موسى**"[3]، وقال في موضع آخر: "**إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى**"[4].

أدوات الخط والكتابة: مما لا شك فيه أن أدوات الخط والكتابة تعتبر سرّ الخطوط الجميلة وجوهرها، فهي تعلب دورا ملموسا في تحسين الخط وإجادته، وتؤثر تأثيرا أعمق في أشكال الخطوط والتماسك والتناسق فيما بين الحروف. وربما لذلك كان الخطاطون ولا يزالون يهتمون اهتماما بالغا بهذه الآلات ويضعونها في مكان الصدارة، بل صار لأكثرهم آلاته الخاصة التي رعوا بصناعتها حق الرعاية، فبالغوا في عنايتها، وزيّنوها بالزخارف، وزخرفوها بالخطوط الجميلة الرشيقة حتى صارت هي بذاتها تحفا فنية رائعة.

وإذا أراد الخطاط أو الكاتب أن يصبح خطه جميلا رائعًا خلّابًا فعليه أن يتأكد من أن تتوفر لديه أربعة مكونات؛ إذ أن الكتابة لا تستقيم إلا بها، وهي القلم والحبر والمحبرة والورق وهي تعدّ من أهم أدوات الخط وآلاته. وقد ارتبط تطور الخط العربي بتطور هذه الأدوات وإتقان صناعتها، حتى أصبحت اليوم تُزخرف متاحف العالم بالخطوط الباهرة حتى وصفها الفنانون والمؤرخون من روائع الحضارة العربية التي أسهمت في إغناء التراث العالمي. وقد ذكرت كل من هذه الأدوات فيما يلي.

القلم: لعلّ المكانة الخاصة التي حظي بها القلم لدى الخطاطين، هي الدافع المهم لتطوير الخط وتحسينه. وقد دَبَج عدد من المصنفين عدة فصول في مؤلفاتهم ليتناولوا القلم ويناقشوا جوانبه ويبينوا كيفية استخدامه ويذكروا الشروط التي تحدد إتقانه وجودته وتأثيره على نوع الخط وجودة الكتابة.

والقلم هو الأداة التي يُكتب بها، وقد تطور القلم أيضا بتطور الكتابة على مرّ العصور. ففي البداية، كان القلم عبارة عن آلة مثل الإسفين أو القصب يكتب به الإنسان القديم في الطين والجلد وورق البردي وما شابه ذلك. أما في العصور المتأخرة نسبيا، فقد تطور القلم وكثرت أنواعه.

وقد سمي القلم قلما لقلم رأسه، ولا يسمى القلم قلما حتى يُبرى وإلا فهو قَصَبة[1].

---

[1] سورة الطور، الآية رقم: 3-1.
[2] سورة الأنعام، الآية رقم: 7.
[3] سورة النجم، الآية رقم: 36.
[4] سورة الأعلى، الآية رقم: 19-18.

ويعتبر القلم أشرف آلات الكتابة وأعلاها رتبة إذ ينطلق منه فكر الكاتب ويأخذ شكل الألفاظ على الورق مباشرة دون غيره من آلات الكتابة.

وكما قال عبد الحميد: "القلم شجرة ثمرها الألفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة وفيه رِيّ العقول الكامنة"[2].

وعادةً ما يُصنع القلم من السَعَف والعود والقصب. وكما أن جودة الخط تعتمد كليًا على جودة بَرى القلم وحسن قطعه؛ فلذلك تسابق الخطاطون في حسن البرى وجودته حتى قالوا: "تعليم البِراية أكبر من تعليم الخط"[3]. ومن لا يحسن البرى لا يحسن الخط.

وقال ابن مقلة في مساحة الأقلام: "خير الأقلام ماكان طوله من ستة عشر إصبعا إلى اثني عشر، وامتلاؤه ما بين غِلَظ السبّابة إلى الخنصر. وهذا وصفٌ جامع لسائر أنواع الأقلام على اختلافها"[4].

وقال أيضا: "اعلم أن للقلم وجها وصدرا وعرضا؛ فأما وجهه فحيث تضع السكين وأنت تريد قطه، وهو ما يلي لحمة القلم؛ وأما صدره فهو ما يلي قشرته؛ وأما عرضه فهو نزولك فيه على تحريفه"[5].

وفي معظم الأحيان يحمل الخطاط معه مِقلمة، وهي وعاء توضع فيه الأقلام لصيانتها، وتكون على شكل دائري أو مربّع وفي بعض الأحيان تكون مزخرفة.

المداد والحبر: هو سائل يحتوي على مكونات صبغية وخلائط كيماوية يستخدم في الكتابة لإبراز نصوص الكتابة. والمِداد بالكسر؛ النِّقس وهو الذي يكتب به. وسمي المداد مدادا لإمداده الكاتب[6]. وأما الحبر فأصله اللون، يقال فلان ناصع الحبر، يراد به اللون الخالص الصافي من كل شيء.

وقد صنع العرب المسلمون الحبر من مسحوق الفحم والهَباب المذاب بسائل لزج ومن بذور الفُجْل والكتان وغيرها من المواد الصبغية. كما برعوا في صناعة الحبر إلى الحد الذي تمكنوا فيه من صناعة أحبار سرية، لا يمكن رؤيتها إلا بتقريب الورقة المكتوبة إلى النار.

---

[1] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج2، ص: 450.
[2] نفس المصدر، ص: 445.
[3] نفس المصدر، ص: 456.
[4] نفس المصدر، ص: 454.
[5] نفس المصدر، ص: 465.
[6] محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج9، باب الدال، مادة مدد، ص: 157.

وتوجد هناك أنواع كثيرة للحبر والمداد، والكتّاب قديما كانوا يستخدمون اللونين الأسود والأحمر بغرض الكتابة. ثم تنوعت ألوان الأحبار بالمخطوطات القديمة وخاصة بالمخطوطات الإسلامية، فهناك الحبر الأسود والأحمر والأزرق والأبيض والأخضر والأصفر والذهبي والفضي وما إلى ذلك من الألوان الزاهية.

وأقدم أنواع الحبر هو ما كان يصنع من السِنَاج أو فحم الخشب مخلوطا بالماء والصمغ. وكان أجود بكثير من الحبر الذي نستعمله اليوم. وهذا بالإضافة إلى الأحبار التي تصنع من مختلف المواد الطبيعية مثل ثمر التوت ولحاء الشجر وبذر الكتان. وقد صنع العرب الألوان من المواد المختلفة، منها ما هو من مصادر نباتية، كالحناء واللبن والرز والورد والأزهار، ومنها ما هو مصنوع من الأحجار الكريمة والمعادن. كما عطّر بعض الخطاطين أحبارهم بالمسك وطيّبوها بماء الورد.

المحبرة والدواة: المحبرة هي المكان الذي يجتمع فيه الحبر، وهي عبارة عن وعاء صغير يحمل فيه الكاتب الأحبار التي يحتاجها للكتابة. وهي تصنع في غالب الأحيان من الزجاج والخَزَف والذهب والفضة أو غيرها من المواد الأخرى. ولا يستطيع كل شخص أن يقوم بصناعة المحبرة الرائعة؛ إذ أنها تتطلب ممارسة جادة وذوقا جميلا لكل من يضطلع بمهامها. فالصانع يستخدم فيها ألوانا زاهية جميلة تبدو كأنها قطعة فنية نفيسة. كما يصنع لها الصانع في بعض الأحيان صندوقا أسطوانيا صغيرا من الأبنوس أو غيره من المواد مزيّنًا إياه بالترصيعات الفضية أو الذهبية.

والدواة هي الأداة التي تستخدم لحفظ الحبر وأدوات الكتابة. وفي اللغة هي ما يكتب منه، وجمعها دَوَيات ودُوِىّ ودِوِيّ[1]. ويقال دواة ودَوَيات لأدنى العدد ودُوِيّ في الكثير[2].

والدواة أكبر من المحبرة حجمًا، وهي غالبا ما تُصنع من مواد مثل النحاس والفولاذ والآبنوس والساسم والصندل، وقد بلغت صناعتها في الدولة الفاطمية غاية الإتقان والجودة، ووصلت إلى أعلى قمتها. وبالإضافة إلى اعتناء الخطاطين بالدواة، فقد اعتنى بها الخلفاء والأمراء أيضا حتى اتخذ بعضهم لنفسه دواة مرصّعة بالذهب والفضة والمرجان وتمادوا في العناية بها. وتوجد هناك الكثير من الدَوَيات المزيّنة بزخارف متنوعة حيوانية ونباتية في متاحف العالم.

[1] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج2، ص: 441.
[2] محمد بن يحيى الصولي، أدب الكتّاب، ص: 98.

وقد قال بعض الكتّاب: حكم الدواة أن تكون متوسطة في قدرها، نصفا في قدها، لا باللطيفة جدا فتقصر أقلامها، ولا بالكبيرة فيثقل حملها[1].

أما الآلات التي تشتمل عليها الدواة فهي سبع عشرة آلة، وأول كل آلة منها حرف الميم. وقد ذكر أحمد بن علي القلقشندي جميع هذه الآلات في كتابه "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"، وهي كما يلي[2]: (انظر شكل رقم 1، 2، 3)

1. الآلة الأولى المزبر؛ وهو القلم، وهو مأخوذ من قول العرب زبرت الكتاب إذا أتقنت كتابته. وقد تسمّى الكتب زُبرا كما في قوله تعالى: "**وإنه لفي زُبر الأولين**"[3].
2. الآلة الثانية المِقلمة؛ وهي المِحفظة التي توضع فيها الأقلام، كما يحفظ فيها الكاتب فِرجَوْنه وحبره. وتكون مستطيلة ورقيقة مصنوعة من الخشب، بها مجرى للقلم وفجوتان أو أكثر للحبر[4]. وقد لا تعد من الآلات لكونها من جملة أجزاء الدواة غالبا.
3. والآلة الثالثة المدية بضم الميم؛ وهي الشفرة التي تعني السكين، وجمعها مِدًى ومُدًى. وسميت سكينا لأنها تُسكّن حركة الحيوان بالموت. وينبغي أن تكون من أجود الفولاذ وأحدِّه، وأعتقِه في الجودة، ويكون وسطها أبرق من صدرها[5]. وللسكين أو المدية دور كبير في بري الأقلام، فقد قال الوزير أبو علي بن مقلة: واستحد بالسكين حدا ولتكن ماضية جدا، فإنها إذا كانت كآلة، جاء الخط رديئا مضطربا.
4. والآلة الرابعة المِقَطّ بكسر الميم؛ وهو موضع يقط الكاتب عليه أقلامه، قال الشيخ عماد الدين بن العفيف: ويتعين أن يكون المقط من عود صلب كالآبنوس والعاج ويكون مسطَّح الوجه الذي يُقطّ عليه، ولا يكون مستديرا لأنه إذا كان مستديرا تشظّى القلم.
5. والآلة الخامسة المِحبرة؛ وهي الدواة، وتشتمل على ثلاثة أصناف: الصنف الأول الجونة وهي الظرف الذي فيه اللِّيقة والحبر. وقال بعض فضلاء الكتّاب: وينبغي أن تكون شكلا مدوّر الرأس يجتمع على زاويتين قائمتين يوقدهما خط ولا يكون مربّعا على أي حال؛ لأنه إذا كان

[1] محمد بن يحيى الصولي، أدب الكتّاب، ص: 96.
[2] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج2، ص: 483-444.
[3] سورة الشعراء، الآية رقم: 196.
[4] سفند دال، تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى العصر الحاضر، ترجمة: محمد صلاح الدين حلمي، ص: 6-5.
[5] المعز بن باديس التميمي، عمدة الكتّاب وعُدّة ذوي الألباب، ص: 30.

مربعا يتكاثف المداد في زواياه فيفسُد، فإذا كان مستديرا كان أبقى للمداد وأسعد في الاستمداد. والصنف الثاني اللِّيقة، وتسميها العرب الكرسف تسمية لها باسم القطن الذي تتخذ منه. وهي تتخذ من الحرير والصوف والقطن، والأولى أن تكون من الحرير الخشن؛ لأن انتفاشها في المحبرة وعدم تلبّدها أعون على الكتابة. والصنف الثالث المداد والحبر وما ضاهاهما. وينبغي أن تكون مقدار الدواة طول الذراع وأقل قليلا، وتكون واسعة البطن مما تسع خمسة أقلام للكتابة[1].

6. والآلة السادسة المِلواق بكسر الميم؛ وهو ما تلاق به الدواة أي تحرك به الليقة. وقال بعض الكتاب وأحسن ما يكون من الآبنوس لئلا يغيّره لون المداد. ويقال للصوفة والقطنة التي تكون في الدواة ليقة، وجمعها ألياقا، وإنما سميت بالليقة لأنها تحبس ما جعل فيها من السواد وتمسكه[2].
7. والآلة السابعة المِرملة؛ واسمها القديم المِتربة، وهي أداة بشكل دواة، يجعل فيها الرمل الذي يرشه الكاتب ليمتص فضلة الحبر منه. وهي تشتمل على شيئين؛ الأول الظرف الذي يجعل فيه الرمل، ومحلها من الدواة ما يلي الكاتب مما بين المحبرة وباطن الدواة. ويكون في فمها شبّاك يمنع من وصول الرمل الخشن إلى باطنها. والثاني الرمل؛ والكاتب يختار لذلك الرمل الأحمر دون غيره لأنه يكسو الخط الأسود من البهجة ما لا يكسوه غيره من أصناف الرمل، وخيره ما كان دقيقا.
8. والآلة الثامنة المِنْشاة؛ وهي تشتمل أيضا على شيئين؛ الأول الظرف وحاله كحال المرملة في الهيئة، ومحلها من الدواة من جهة الغطاء إلا أنه لا شباك في فمه. والثاني اللِصاق؛ وينبغي أن يستعمل في اللصاق الماءورد والكافور لتطييب رائحته.
9. والآلة التاسعة المِنْفَذ؛ وهي آلة تشبه المِخْرَز تتخذ لخرم الورق، وينبغي أن يكون محل الحاجة منها متساويا في الدقّة والغِلَظ وأعلاه وأسفله سواء؛ لئلا تختلف أثقاب الورق في الضيق والسعة خلا أن يكون ذبابه دقيقا ليكون أسرع وأبلغ في المقصود.
10. والآلة العاشرة المِلزمة؛ وهي آلة تتخذ من النحاس ونحوه ذات دفتين يلتقيان على رأس الدرج عند الكتابة، ليمنع الدرج من الرجوع على الكاتب ويحبس بمحبس على الدَفّتين.
11. والآلة الحادية عشرة المِفرَشَة؛ وهي آلة تتخذ من خِرَق كتّان: بطانةً وظهارةً أو من صوف ونحوه، وتفرش تحت الأقلام مما يكون في بطن الدواة.

[1] المعز بن باديس التميمي، عمدة الكتّاب وعُدّة ذوي الألباب، ص: 31.
[2] رسالة الخط والقلم المنسوبة إلى ابن قتيبة، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ص: 17.

12. والآلة الثانية عشرة المِمْسَحَة؛ وتسمى الدفتر أيضا وهي آلة تتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين ملونين من صوف أو حرير أو غير ذلك من نفيس القُماش. يمسح القلم بباطنها عند الفراغ من الكتابة لئلا يجف عليه الحبر فيفسد، ويكون مقدارها على قدر سعة الدواة.
13. والآلة الثالثة عشرة المِسقاة؛ وهي آلة تتخذ لصبّ الماء في المحبرة، وتسمى الماوردية أيضا، ويوضع فيها ماء الورد بدلًا من الماء العادي في بعض الأحيان لتطييب رائحة الحبر. وتكون هذه الآلة غالبا من الحَلَزون الذي يخرج من البحر الملح وربما كانت من النحاس ونحوه.
14. والآلة الرابعة عشرة المِسطرة؛ وهي آلة من خشب مستقيمة الجنبين يسطر عليها ما يحتاج إلى تسطيره من الكتابة ومتعلقاتها.
15. والآلة الخامسة عشرة المِصقلة؛ وهي التي يصقل بها الذهب بعد الكتابة، وهي من آلات الكتابة لا محالة.
16. والآلة السادسة عشرة المِهرَق بضم الميم وفتح الراء؛ وهو القرطاس الذي يكتب فيه، وجمعه مهارق.
17. والآلة السابعة عشرة المِسَنّ؛ وهي مِشْحَذَة تتخذ لإحداد السكين.

(شكل رقم 1)[1]

(آلات الخط والكتابة بما فيها القلم والمحبرة والمدية والمقص وما إلى ذلك من الآلات الأخرى)

[1] المصدر: عفيف البهنسي، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين.

(شكل رقم 2) المصدر: منتدى الخط العربي، (2015)، "أقلام الخط العربي"[1]

(آلات الخطاط والأقلام المتنوعة)

(شكل رقم 3)[2]

(نموذج من أقلام الخط العربي)

[1] http://alkhdalarbe.7olm.org/t10-topic

[2] Ibid.

الباب الثاني

تطور الخط العربي في القرنين السابع والثامن الميلادي

الفصل الأول: الخط العربي في عصر ما قبل الإسلام

الفصل الثاني: الخط العربي في العصر الإسلامي

الفصل الثالث: الخط العربي في العصر الأموي وبداية العصر العباسي

الفصل الرابع: اللوحات والمصاحف الخطية

الفصل الأول

الخط العربي في عصر ما قبل الإسلام

تطور الخط العربي منذ القرن السابع وحتى القرن الثامن الميلادي بعدة مراحل زمنية، تشكّل فيها بعدة أشكال وأنواع، وبلغ في هذه الفترة الزمنية إلى أعلى قمته حتى وصل خارج البلدان العربية مثل إيران والهند وإفريقيا والأندلس وغيرها من البلدان العالمية الأخرى. ويعتبر هذان القرنان من أهم القرون التي مهدت له الطريق إلى النضج والإتقان. وكما نعرف جيدا أن هذين القرنين يشتملان بشكل رئيسي على عصر ما قبل الإسلام أى على العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعصر الأموي وبداية العصر العباسي.

وللتعرف على تطور الخط العربي في عصر ما قبل الإسلام، يجدر بنا أن نتصفح أوراق تاريخ الكتابة العربية ونرجع إلى أصلها، حتى نعرف كيف بدأت وتطورت وتنوعت بأنواع مختلفة؟ وقد سبق أن رأينا في الفصل الثاني من الباب الأول أن الخط العربي يرجع أصله إلى الخط النبطي أو الخط المسند حسب تضارب آراء العلماء وأقوال الأدباء فيه. وقد اعتمدنا في ذلك على الروايات التاريخية العديدة والمكتشفات الأثرية في مواقع مختلفة من البلدان العربية.

وقبل الخوض في دراسة الخط العربي وتطوره في عصر ما قبل الإسلام، علينا أن نعرف الخطوط العربية الأخرى التي كانت منتشرة في بلاد العرب آنذاك. وكما كانت الخطوط العربية في الجاهلية تعرف بأسماء خاصة، وتتميز بعضها ببعض، فإن الخط العربي الذي نحن بصدده يطرح عدة تساؤلات يجب دراستها، وهذه الأسئلة تتعلق بأصله واشتقاقه ونشأته وتطوره. وسنحاول في السطور التالية الكشف عما يكتنفه من غموض، حتى يبرز تاريخ الخط العربي ومصدر اشتقاقه وأصله.

أصل الخط العربي: تعتبر الكتابة العربية من أهم الكتابات السامية التي تفرعت منها عدة خطوط بارزة. وقد اعتنى بها العلماء والمؤرخون الذين لهم باع طويل ومعرفة واسعة باللغات السامية. ونتيجةً لهذه المساعي الكبيرة التي بذلها الباحثون في رعاية الكتابات السامية منذ القرن التاسع عشر، قد تعرفنا على أن الساميين القدماء كتبوا بالخط المسند الحميري الجنوبي، وبالخط الآرامي الشمالي، وكلاهما أبجدية رتبت حروفها حسب أقدم أبجدية عرفت بمدينة "أوغاريت" في سوريا، وهي: أبجد، هوّز، حطّي، كلمن، سعفص، قرشت. ولعلها من أبرز الأسباب التي أدت إلى اختلاف الأقوال وتضارب الآراء تجاه أصل

الخط العربي واشتقاقه. وفيما يلي نستعرض آراء الفريق الذي يؤكد أن الخط العربي مشتق من الخط المسند.

إن الخط العربي يرجع أصله إلى الخط المسند الحميري الذي استخدمه أهل اليمن في الجنوب. وقد عثر عليه في التنقيبات الأثرية في شبه جزيرة العرب وغيرها من الأماكن المختلفة. ولذلك اعتبره بعض الباحثين والمؤرخين الخط العربي الأصيل. وهكذا يعتبر الخط المسند محورا لعديد من الخطوط الأخرى حيث تفرع عنها: الخط الثمودي والخط اللحياني والخط الصفوي. وقد وجدت الكثير من اللوحات التي نقشت عليها كتابات تمثل هذه الخطوط. ويعتبر الخط الصفوي من أكثر هذه الخطوط انتشارا في سوريا الجنوبية والأردن، وخاصة في البادية منذ عهود ما قبل الميلاد وحتى قبل الإسلام.

ويعدّ الخط المسند من الخطوط القديمة، بل هو أقدم من الخط النبطي المتأخر وأعتق من الخطوط التي عرفت في جزيرة العرب حتى الآن. وقد أفادت الاكتشافات الحديثة بأن استعماله لم يكن قاصرا على اليمن فحسب، وإنما انتشر وأصبح شعبيا في معظم أنحاء بلاد العرب. وقد عثرت على عدة كتابات بالخط المسند في مختلف أقاليم العرب، وهي توحي تماما بأنها كتابة موغلة في القدم، لها أهمية كبيرة للغاية، كما هي تشير إلى الروابط الثقافية التي كانت بين اليمن والبلدان العربية الأخرى.

ويتألف الخط المسند من تسعة وعشرين حرفًا، وتشابه أبجديته بالأبجديات السامية الأخرى من حيث أنها تتميز بالحروف الصامتة، كما لا توجد فيها حركة في الكتابة ولا ضبط في أواخر الكلمات، فضلا عن كونها خالية من السكون أو التشديد. ويفصل بين الكلمة والكلمة التي تليها بخط مستقيم عمودي، وقد يكتب الحرف المشدّد مرتين كما في اللغات الأوربية.[1]

هذا، وقد كشف المستشرقون النقاب عن الخطوط الأخرى في القرن التاسع عشر وما بعده، وهي الخط الثمودي والخط الصفوي والخط اللحياني. وهذه الخطوط كلها مشتقة من الخط المسند، إلا أنها متأخرة جدا منه. وعلى هذا فإن الكتابات الثمودية قد تم العثور عليها في سوريا والأردن والحجاز واليمن مما يدل على انتشار الثموديين في مناطق واسعة من جزيرة العرب، كما عثر على الخط الصفوي في الشام وبادية العراق والمملكة الأردنية الهاشمية. وهذا لا يعني أن هنالك قبائل كانت تسمى بالصفوية، وإنما سمّي هذا

[1] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص: 209.

الخط به نسبة إلى جبل الصفا من جبال حوران جنوبي دمشق[1]. وأما ما يتعلق بالخط اللحياني فموطنه الرئيسي هو منطقة "العُلا" حيث عثرت على مئات من الكتابات اللحيانية التي تعود إلى شعب لحيان.[2]

وفيما يلي نورد ذكر جميع هذه الخطوط المتفرعة من الخط المسند لما لها أهمية كبيرة في تطور الخط العربي في عصر ما قبل الإسلام، وذلك بشكل وجيز.

الخط الثمودي: يرجع أصل هذا الخط إلى الخط العربي الجنوبي أي الخط المسند، وسمي بذلك نسبة إلى ثمود سكان مدائن صالح[3]. وهو خال من الشكل ومن التشديد والإشباع ومن علامات الحركات مثل الخط المسند والخط الصفوي والخط اللحياني. ولهذا يواجه قارئه صعوبة في القراءة. فمثلا كلمة (بت) يمكن أن تقرأ لطرق متعددة مثل (بات) فعلا ماضيا، و(بيت) اسمًا.

ويتسم الخط الثمودي بأنه لم يتقيد باستعمال الخطوط العمودية للفصل بين الكلمات، ولهذا نجد الحروف والكلمات تتصل بعضها ببعض في كثير من الكتابات. كما نجدها في بعض الأحيان تستخدم بعض العلامات مثل النقط أو الخطوط الصغيرة لتحديد الجمل. ومن خواصه أيضا أنه يتجه تارة في الكتابة من اليمين إلى اليسار، وتارة أخرى يتجه من اليسار إلى اليمين، وأحيانا من أعلى إلى أسفل، وأحيانا أخرى من أسفل إلى أعلى.[4]

الخط الصفوي: يرجع أصل هذا الخط أيضا إلى الخط المسند، وهو يشتمل على ثمانية وعشرين حرفًا، إلا أن كتّاب هذا الخط قد قاموا ببعض التعديل فيه، حتى تغيّر شكله، وتشكّل بشكل يختلف عن أصله. كما أخذ الحرف الواحد أشكالا متعددة، تعسّر على القارئ قراءة النص الصحيحة. وتتميز أبجدية الصفوية بكونها خالية من الشكل ومن التشديد ومن حروف العلة في معظم الأحيان ومن المقاطع أيضا، فلا يمكن التفريق في الكتابة بين الفعل والفاعل والإسم والمفعول به.

والكاتب بهذا الخط حرّ في اختيار الجهة التي يبدأ بها الكتابة، فهو تارة يكتب من اليمين إلى اليسار، وتارة أخرى من اليسار إلى اليمين، وله أن يمزج بين الطريقتين، وأحيانًا يكتب من الأعلى إلى الأسفل

[1] أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، ص: 30
[2] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص: 212-211.
[3] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 36.
[4] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص: 236-235.

وأحيانا أخرى من الأسفل إلى الأعلى، حتى تبدو الخطوط الصفوية في بعض الأحيان كأنها خيوط متداخلة.[1]

الخط اللحياني: لقد سمّي هذا الخط بالخط اللحياني نسبة إلى بني لحيان من سكان شمالي جزيرة العرب[2]. وهو أيضا مشتق من الخط المسند، وهو خال مثله من الشكل والرموز التي تشير إلى المدّ أو التشديد أو الإشباع أو الإمالة وما شابه ذلك. وقد يواجه من يقرأ هذه الخطوط مشاكل كثيرة في فهمها وفي ضبط الكلمات والأسماء فيها. والكتابات اللحيانية غير مقيّدة بكتابة الفواصل العمودية التي تستخدم للفصل بين الكلمات أو الكتابات، إلا أن كتّاب هذه الخطوط لم يلتزموا بهذه القاعدة، فهم يخالفون أحيانًا، فيفصلون الألفاظ بفواصل تارةً، ويتركونها تارة أخرى.

وعلى الرغم من أن حروف هذه الأبجديات قد بقيت محافظة على استقلالها، إلا أنها اتخذت صورا متعددة، كما أنها لم تتقيد بما تقيّد به المسند في نظامه من اختيار جهة الكتابة، بل خرجت على هذا النظام، فكتبت بصورة غير منتظمة مثل صورة هلال أو كرة أو نسيج العنكبوت، مما يجعل من الصعب على القارئ فهم الكتابة.

وكما تفرعت جميع هذه الخطوط على امتداد العصور من الخط المسند، فإنها كتبت بخطه أيضا، وتدل على ذلك النقوش التي عثرت عليها في المناطق المختلفة، ويرجع تاريخ بعضها إلى القرون الأولى قبل الميلاد، بينما يرجع البعض الآخر إلى القرون الأولى بعد الميلاد. وكلها كانت لهجة عربية قديمة، خصائصها اللغوية تشابه إلى قدر ما خصائص اللغة العربية التي نزل بها القرآن، إلا أنها تختلف عنها في أداة التعريف، فقد استخدموا "ها" أداةً للتعريف بدلا من "أل". (انظر شكل رقم 1)

يقول شوقي ضيف:

> "وهذه النقوش الصفوية والثمودية واللحيانية عربية برغم أنها كتبت بالخط المعيني الجنوبي، فخصائصها اللغوية قريبة من خصائص العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وإن اختلفت عنها في أداة التعريف وفي بعض الصفات اللغوية،

[1] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص: 238-237.
[2] أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، ص: 30.

إلا أنها على كل حال تصوّر طورا من أطوار اللغة العربية الشمالية، وقد احتوت على كثير من أسماء الرجال وأسماء الآلهة والأصنام"[1].

وأما ما يتعلق باشتقاق الخط العربي من الخط النبطي فقد ذهب معظم العلماء والباحثين والمؤرخين إلى أن الخط العربي في عصر ما قبل الإسلام قد تطور بعدة مراحل زمنية حتى وصل إلى ما هو عليه الآن. كما ذهب هؤلاء العلماء إلى أن الخط العربي قد اشتق من الخط النبطي الذي استخدمه العرب الأنباط. والأنباط هم من الأقوام العربية، هاجروا من قلب الجزيرة العربية إلى شمالها منذ أكثر من ألفي عام. وكوّنوا هناك مملكة قوية عاصمتها مدينة "البتراء" وهي تقع الآن في الأردن. وكان أول ملك نبطي هو الحارثة الأول الذي حكم سنة 169 قبل الميلاد. واتسع نفوذ الأنباط في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، إلا أن الرومان قد استولوا على مملكة البتراء سنة 106 الميلادي[2].

لقد تأثر الأنباط بجيرانهم "الآراميين" وأخذوا عنهم خطهم، وطوّروه، وكتبوا به لغتهم العربية التي كانوا يتحدثون بها، وسرعان ما انتشر الخط العربي النبطي بين القبائل العربية الأخرى. (انظر شكل رقم 2) وقد كان وراء اكتشاف هذه الحقيقة قصة مثيرة تفيد بالمعلومات عن النقوش النبطية المكتشفة في الحفريات. وهذه النقوش أقلّ تأثرا باللغة الآرامية، وأقرب إلى العربية الباقية في المفردات والتراكيب. وقد ظهرت في هذه النقوش أسماء ملوكهم وآلهتهم وأسماء كبار الشخصيات.

وقد تنبه المؤرخون وعلماء الآثار لهذا التشابه بين الخط العربي القديم والخط النبطي المتأخر عندما عثرت النقوش العديدة في المكتشفات الأثرية التي تفيدنا بالمعلومات عن تطور الخط العربي وتاريخه المجيد. وقد اتضح بعد المقارنة بين أقلام هذه النقوش وهي (نقش أم الجمال، ونقش النمّارة، ونقش حران، ونقش زبد، ونقش أسيس) وبين أقلام النبط المتأخرة، أن الخط العربي قريب من الخط النبطي المتأخر الذي اكتشف في بطراء الواقعة الآن في الأردن.

ففي عام 1901م قام فريق من علماء التاريخ والآثار بالبحث والتنقيب في المنطقة الواقعة في شمال الجزيرة العربية، حيث قامت حضارة الأنباط القديمة؛ لاكتشاف أدلة تاريخية جديدة تمكنّهم من التعرف على هذه الحضارة الرائعة. وفي منطقة "النمّارة" بجوار جبل الدُّروز وَجد العالمان الفرنسيان "دوسو" و"ماكلر"[3]

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص: 33.
[2] كريم زكي حسام الدين، العربية تطور وتاريخ، ص: 85.
[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص: 35.

حجرا عليه نقوش غريبة وغامضة، تعجّب العلماء من هذه النقوش وظلوا يتساءلون عن حقيقتها، ولكنهم عندما دقّقوا النظر إليها، وجدوها قريبة الشبه بالخط الكوفي العربي. ثم استطاعوا قراءة هذه النقوش، فكانت هي شاهد قبر لامرئ القيس بن عمرو أحد الملوك العرب، ويعود تاريخ كتابتها إلى سنة 328م[1].

ثم تتابعت اكتشافات العلماء، فوجدوا نقشًا في منطقة "زَبد" بالقرب من حلب، وهو مكتوب بثلاث لغات بالسريانية واليونانية والعربية، ويرجع تاريخه إلى سنة 512م[2]، وفي هذا النقش كانت الكتابة العربية قد بدأت تتضح معالمها. كما وجد العلماء نقشًا آخر على حجر فوق باب كنيسة قديمة في منطقة "حران" شمال جبل الدروز، كتب باللغتين العربية واليونانية، ويعود تاريخ كتابته إلى سنة 568م[3]، وكانت صورة الكتابة العربية فيه تكاملت تقريبًا.

وفي عام 1905م اكتشف المستشرق الألماني "ليتمان" نقشا آخر في قرية "أم الجمال" إلا أن هذا النقش غير المؤرخ، يمكن أن يعود تاريخه لأواخر القرن السادس الميلادي[4]. ويظهر النص العربي فيه بوضوح أكثر، استطاع العلماء قراءته بسهولة. وهكذا، عثرت بعثة ألمانية على نقش آخر في جبل "أسيس" الذي يقع على بعد 105 كم جنوب شرق دمشق في يونيو 1965م. وهو يتضمن نصا عربيا يتألف من أربعة أسطر[5].

ويحسن بنا أن نستعرض هنا نقشين من النقوش الخمسة، وهما نقش النمّارة ونقش الزبد، ليكتشف بذلك ما فيه من علاقة له بالخط العربي.

نقش النمّارة: يعتبر هذا النقش شاهدا لقبر ملك من ملوك اللخميين، وهو ثاني ملوك الحيرة، اسمه امرؤ القيس بن عمرو وهو غير امرئ القيس الشاعر الجاهلي المعروف. ويشتمل هذا النقش على خمسة أسطر وهي كما يلي: (انظر شكل رقم 3)

1. تي نقش مر القيس بر عمرو وملك العرب كله ذو أسر التج

[1] كريم زكي حسام الدين، العربية تطور وتاريخ، ص: 90.
[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص: 37.
[3] إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص: 192.
[4] كريم زكي حسام الدين، العربية تطور وتاريخ، ص: 96.
[5] نفس المصدر، ص: 97.

2. وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجا
3. بزجى في حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه
4. الشعوب ووكلهن لروم فلم يبلغ ملك مبلغه
5. عكدي هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول بلسعد ذو ولده

ويمكن إعادة كتابتها إلى اللغة العربية كما يلي:

1. هذه نقش (قبر) امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلها الذي عقد التاج
2. وملك قبيلتي أسد ونزار، وملوكهم وشتت مذحجا بالقوة وجاء
3. باندفاع في مشارف نجران مدينة شمر وملك معدا ووولي بنيه
4. الشعوب، ووكله الفرس والروم، فلم يبلغ ملك مبلغه
5. في القوة، هلك سنة 223 يوم 7 من أكسلول ليسعد الذي ولده[1]

يمثل هذا النص طورا من أطوار اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، ويمكن أن يعتبر بداية لتكوين العربية الفصحى ويُعدّ مقدمة للخط العربي. كما استعمل هذا النص الأسماء والأفعال العربية، ما عدا كلمة بر بمعنى ابن، وهي آرامية، ونلاحظ في هذا النص أيضا استعمال أداة التعريف "أل" العربية، كما نجد في هذا النقش كلمات عربية، مثل: جاء، هرب، وكل، الشعوب، ملك العرب كلها[2].

وكما يقول بعض الدارسين: إن هذه الكتابة تعدّ أول وأقدم كتابة عثر عليها حتى الآن مدونة باللهجة العربية الشمالية القريبة من لهجة القرآن، وإن كتبت بالخط النبطي المتأثر بالآرامية[3].

نقش زبد: اكتشفه العلماء في منطقة "زبد" بالقرب من حلب وهو مؤرخ بسنة 512م. وفي هذا النقش كانت الكتابة العربية قد بدأت تتضح معالمها. والكتابة تنص كما يلي:

1. .. م الإله سرحو بر امت منفو وهنى برمو القيس.
2. وسرحو بر سعدو وسترو وشريحو بتميمي.

[1] كريم زكي حسام الدين، العربية تطور وتاريخ، ص: 92.
[2] إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص: 190. وشوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص: 38-37.
[3] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص: 176.

ويمكن ترجمة النص كما يلي:

1. باسم الإله أو بنصر الإله (كما قرأ البعض الآخرون) سرحو بن امت منفو وهنيء بن امرئ القيس.
2. وسرحو بن سعدو، وستر (ستار) (ساتر) وشريح أتمّوا.[1]

نجد في هذه الكتابة (نقش زبد) الحروف العربية مثل الراء والسين والهاء والألف والميم والتاء والحاء والقاف والعين قد رسمت في نص لا يختلف عن أي نص عربي بعد الإسلام. (انظر شكل رقم 4)

وخلال هذه الفترة الطويلة أي من 328م إلى 512م، لم يعثر على أي نقش آخر بين عهد نقش النمارة وعهد نقش الزبد، لذلك نستطيع أن نقول إن الخط العربي قد نشأ وتطور بين عهد نقش النمّارة وعهد نقش الزبد أي في القرن الرابع وبداية القرن السادس الميلادي.

وبدراسة هذه النقوش استطاع الباحثون وعلماء الآثار إثبات استخدام العرب للخط النبطي كأساس للخط العربي. كما تتجلى في هذه النقوش وخاصة في نقش النمارة بشكل واضح الظواهر اللغوية التي عرفتها العربية في ذلك الوقت، إلا أنه يفتقر إلى مادة لغوية. وفيما يلي بعض السمات التي تميزت بها الكتابة النبطية المتأخرة.

1. إنها تربط الحروف ببعضها البعض في كلمة واحدة، سوى الحروف التي تكون دائما منفصلة عن ما بعدها، مثل الدال والواو والزاء.
2. إن حروفها خالية من الإعجام.
3. لا تكتب تاء التأنيث فيها بالهاء بل بالتاء المبسوطة. مثل سنت = سنة.
4. والفتحة الممدودة لا ترسم ألفا في الكتابة، مثل ظلموا = ظا لم.[2]

ويتضح مما سبق ذكره أن الخط العربي يرتبط بالخط النبطي المشتق من الخط الآرامي ارتباطا وثيقا، فالأنباط خلال وجودهم الحضاري احتكّوا بالأقوام الآرامية وتأثروا بهم واستخدموا حروفهم الآرامية في الكتابة في أول الأمر، ثم طوّروها وكتبوا بها لغتهم العربية، وسرعان ما انتشر الخط النبطي العربي بين القبائل العربية الأخرى. وهذا الرأي هو الأرجح يستند إليه معظم الكتاب والباحثين وعلماء الآثار واللغة. كما يقول شوقي ضيف:

[1] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص: 177.
[2] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 19، 22.

"ومعنى هذا كله أن الخط العربي نشأ وتطور شمالى الحجاز وأنه لا يرجع في نشأته وتطوره إلى بلاد العراق. فتلك الوثائق السابقة دليل لا يرقى إليه الشك في أنه نشأ من الخط النبطي وتطور حتى أخذ صيغته النهائية في أوائل القرن السادس الميلادي في تلك البيئة الوثنية العربية الخالصة"[1].

ويقول الكسندر ستيبتشفيتش:

"لقد تطور الخط العربي عن الخط النبطي، الذي كان يستعمل منذ بداية القرن الأول الميلادي في شرق الأردن. وقد كان هذا الخط يستعمل قبل ظهور الإسلام للأغراض الإدارية إلا أنه أخذ سمة مقدسة عندما شرع العرب يدوّنون كتابهم المقدس"[2].

وعلى الرغم من الشواهد والأدلة المقدّمة من قبل الفريقين لإثبات دعواهم وتأييد أقوالهم، إلا أن الاختلاف لايزال قائما بين اشتقاق الخط العربي من الخط المسند واشتقاقه من الخط النبطي. وللتغلب على هذه المشكلة وللإثبات من قول الفريقين، يمكن تقسيم الخط العربي في عصر ما قبل الإسلام إلى اللهجات العربية البائدة واللهجات العربية الباقية. وهذا التقسيم للخط العربي أفضل وأجدر من تقسيمه إلى اللهجات العربية الشمالية واللهجات العربية الجنوبية. وذلك لأن هذه اللهجات قد كثرت وتنوعت في القبائل العربية المختلفة، بعضها سادت وبعضها انقرضت بسبب اختلاط بعضهم البعض.

وكما يتبين من دراسة النصوص الجاهلية أن العرب كانوا يسجّلون أفكارهم قبل الإسلام بخط يسمى الخط المسند أو الخط الحميري. وهو خط يختلف عن الخط الذي نكتب به الآن، إلا أنهم تركوا هذا الخط وبدأوا يكتبون بخط آخر، كان ألين وأسهل في الكتابة من الخط المسند، وهو خط أخذوه من الخط النبطي المتأخر، وذلك قبيل الإسلام على ما يبدو. ويتبين من الكتابات المدونة التي تم العثور عليها في المكتشفات الأثرية في مواضع عديدة من جزيرة العرب، أن الخط المسند هو الخط العربي الأصيل والأول عند العرب، غير أن التبشير بالنصرانية الذي دخل جزيرة العرب وانتشر في مختلف المناطق، أدخل معه الخط الآرامي المتأخر، وأخذ ينشره بين الناس لأنه كان خطه المقدس الذي يكتب به رجال الدين. ولما كان هذا الخط أسهل في الكتابة من الخط المسند، كثر استخدامه وشاع فيما بين الناس. وبالرغم من

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص: 37.
[2] الكسندر ستيبتشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة: محمد م. الأرناؤوط، القسم الأول، ص: 219.

انتشاره بشكل كبير، إلا أنه لم يتمكن من القضاء على الخط المسند إذ بقي الناس يكتبون به أيضا. فلما جاء الإسلام، وكتب كتبة الوحي بخط أهل مكة، صار خط مكة هو الخط الرسمي للمسلمين، وانقرض الخط المسند عندئذٍ.[1]

وليس من المستبعد أن العرب الأنباط قد اختلطوا بالآراميين عندما هاجروا من قلب الجزيرة العربية إلى شمالها، وكوّنوا هناك مملكة قوية. وكان من نتائج هذا الاحتكاك تأثرهم بثقافة الآراميين، كما أنهم كتبوا بخطهم الآرامي عندما أحسوا بضرورة التجارة، وظلوا يتكلمون لهجة من لهجات العربية أو صوّروا الحروف الآرامية في بداية الأمر، ولكن عندما تحضروا، بدأوا يطوّرون الخط الآرامي، حتى خرج منه خط عرف بالخط النبطي. وظلّ الأمر هكذا حتى تحسن وضع هذا الخط وصار له ميزاته الخاصة، فهو يشبه الآرامية لما فيه من تربيع، ويبتعد عنها لما ظهر فيه من ميل إلى الاستدارة. وقد أدى هذا الاستمرار في تطور الخط النبطي إلى ابتعاده عن الخط الآرامي شيئا فشيئا حتى فقد صلته بالخط الآرامي، وتشكّل بشكل الخط العربي الجاهلي الذي ظهر فيما بعد، كما تدل على ذلك النقوش المتواجدة في أم الجمال والنمارة وحران وزبد، والتي يمتد تاريخها إلى أربعة قرون. وهكذا، فإن الشكل الأول للخط العربي الجاهلي لا يبتعد كثيرا عن شكل الخط النبطي في أواخر مراحله.

ويقول صلاح الدين المنجّد في كتابه "دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي":

> "وقد كان من الطبيعي أن يأخذ عرب الحجاز الخط النبطي، ويطوّروه، ذلك لأن الأنباط كانوا أكثر حضارة من عرب الحجاز، فأثّروا في هؤلاء، واقتبس عرب الحجاز خطهم من أولئك، نظرا للاتصال المباشر بهم، أثناء رحلاتهم الدائمة المتواصلة إلى الشام، فقد كانوا يمرّون دائما على ديارهم. ولم يكن للشام طريق أخرى توصلهم إليها. فهذا الاتصال الحضاري الدائم بين عرب الحجاز، وعرب الأنباط كان أكبر مساعد على أخذ عرب الحجاز خطهم من الأنباط، فضلا عن تشاركهم في كثير من الأمور: في اللغة وفي المعتقدات. فقد

[1] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص: 153.

كان عند الأنباط إلهة تسمى اللات، كما كان عند عرب الحجاز، وغير ذلك"[1].

وكما نعرف جيدا أن العرب وخاصة أهل الحجاز كانوا أمة بدوية، لا يعرفون القراءة والكتابة إلا قليل منهم، ولعل ذلك من أبرز الأسباب لعدم شيوع الخط العربي فيما بين العرب. وبالإضافة إلى ذلك، كانوا يعيشون حياة بسيطة، لا يحتاجون كثيرا إلى الكتابة لبساطة حياتهم في البادية، إلا أن بعض قوافل التجار تستخدم في بعض الأحيان الكتابة، فانتشرت في المدن التجارية مثل مكة، ويثرب.

وقد عبّر عن هذه الفكرة عبد الفتاح عبادة:

"والعرب ونخص بالذكر منهم أهل الحجاز كانوا قبل الإسلام أمة بدوية لا تقتضي معيشتهم انتشار الكتابة والقراءة وليس في آثارهم بالحجاز ما يدل على أنهم كانوا يعرفون الكتابة والقراءة إلا قبيل الإسلام، مع أنهم كانوا محاطين شمالا وجنوبا بأمم ممدنة من العرب خلفوا نقوشا كتابية كثيرة، وأشهر تلك الأمم الأنباط في الشمال كتبوا بالحرف النبطي، وحمير في اليمن كتبوا بالحرف المسند، فلم يوجد فيهم من يقرأ ويكتب إلا بعد أن رحل بعضهم إلى بلاد الشام أو العراق وتخلق بأخلاق الحضر فاقتبس منهم الكتابة"[2].

وبالإضافة إلى ذلك هناك عوامل أخرى أدت اللهجات العربية القديمة إلى الفناء والانقراض، أهمها: الحروب والهجرة، والتنقل والتبادل الثقافي وامتزاج قوم في آخر. فاللغة العربية الموجودة الآن هي مزيج من لهجات كثيرة مختلفة نطقتها قبائل مختلفة، حتى اختلط بعضها ببعض وامتزج امتزاجا شديدا، فأصبحت لغة واحدة بعد أن باد أصحاب هذه اللهجات. ومما لاشك فيه أن هذا الامتزاج والاختلاط فيما بين اللهجات العربية القديمة لم يحدث مرة واحدة، بل يجب أن تستغرق هذه العملية أزمنة طويلة، وربما قرونا عديدة، حتى تندمج لهجة في لهجة أخرى وتصبح لغة واحدة.

وكما يعبّر اسرائيل ولفنسون عن هذا الرأي:

"وظاهر أن امتزاج هذه اللهجات وتدخلها بعضها في بعض لم يتم مرة واحدة أو في زمن واحد بل حدث شيئا فشيئا وسار ينتقل تدريجيا، فكانت الواحدة

[1] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 19.
[2] عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم العربي، ص: 7.

من اللهجات تبتلع الأخرى أولا، ثم تتكون من الإثنين لهجة جديدة لم تكن موجودة من قبل، وهذه اللهجات الجديدة تمتزج بلهجة أخرى، وهكذا ظلّ هذا التدرج ينتقل في أزمنة طويلة أثناء الجاهلية حتى ظهر الإسلام"[1].

كما توجد هناك باعثة قوية وراء هذا الاندماج والامتزاج، وهي أن اللهجات الشمالية العربية كانت قد اكتسبت في العصور ما قبل ظهور الإسلام مكانة مرموقة ونفوذا واسعة بين جميع اللهجات الأخرى. ونتيجةً لذلك، قد ابتلعت اللهجات الشمالية ذات النفوذ الواسعة اللهجات الجنوبية شيئا فشيئا، حتى أصبحت اللهجات الشمالية سائدة وصارت شعبية في أغلب مناطق الجزيرة العربية قبيل ظهور الإسلام بعد أن فقدت وبادت هوية اللهجات الجنوبية بسبب تدهور حضارتها.

يقول اسرائيل ولفنسون:

"في ذلك الحين أخذت اللهجات في بلاد اليمن تتدهور وتتلاشى حتى كادت تفنى في القرن السادس بعد الميلاد. وكان ذلك من جراء فقدان بلاد اليمن لحريتها واستقلالها السياسي، وكانت تئن تحت حكم الأحباش طورًا، والفرس تارةً أخرى. فأخذت حضارتها في التدهور والانحطاط، واللغات تتبع الحضارة صعودًا وهبوطًا، فتقلص ظل اللهجات اليمنية، وأفسحت المجال أمام الشمالية، كما تقلصت اللغات السامية الأخرى في سوريا والعراق وأطراف الشام أمام اللغة العربية الشمالية التي كانت تفيض قوةً وفتوةً"[2].

وتوجد هناك عوامل سياسية واجتماعية ودينية أدت الحضارة الجنوبية في اليمن إلى التدهور والانحطاط قبيل ظهور الإسلام، ونتيجةً لهذا التدهور في الحكم تقلصت اللهجات الجنوبية وحلت محلها اللغة الشمالية التي تسربت إليها، كما دخل النفوذ الشمالي في تلك البقاع. وبالرغم من كون اليمن ملتقى لتجار العرب الذين جابوا وتجولوا في كثير من بلاد المعمورة هدفا لتجارة السلع، إلا أن الاضطرابات والفتن قد جعلتها تفقد استقرارها السياسي، كما أغارت عليها الحبشة والفرس من الخارج حتى رثت قواها المادية والمعنوية وضعفت دعائم استقلالها وبواعث تأثيرها في الشمال، فأصبحت تتأثر بالشمال الذي تمتع بالحيوية والقوة والنشاط وانبعاث النهضة الفكرية والدينية في جميع بقاع الجزيرة العربية في القرن

[1] اسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص: 167.
[2] نفس المصدر، ص: 168.

السادس والسابع بعد الميلاد. وقضت الدعوة الإسلامية على تلك اللهجات الجنوبية القديمة دون أن تقاومها. وهكذا كان الأمر في سوريا التي أصابها اضمحلال في القرن الرابع والخامس بعد الميلاد، مما أدى إلى انقراض بعض اللهجات الآرامية، وجعل أصحابها يعتنقون اللغة العربية. كما بدأت اللغة العربية البدوية تجمع بين عناصر تلك اللهجات حتى اندمجت في لغة واحدة تمسكت بصيغتها القديمة وخضعت لبعض التغيير في المادة والنطق.

(شكل رقم 1)[1]

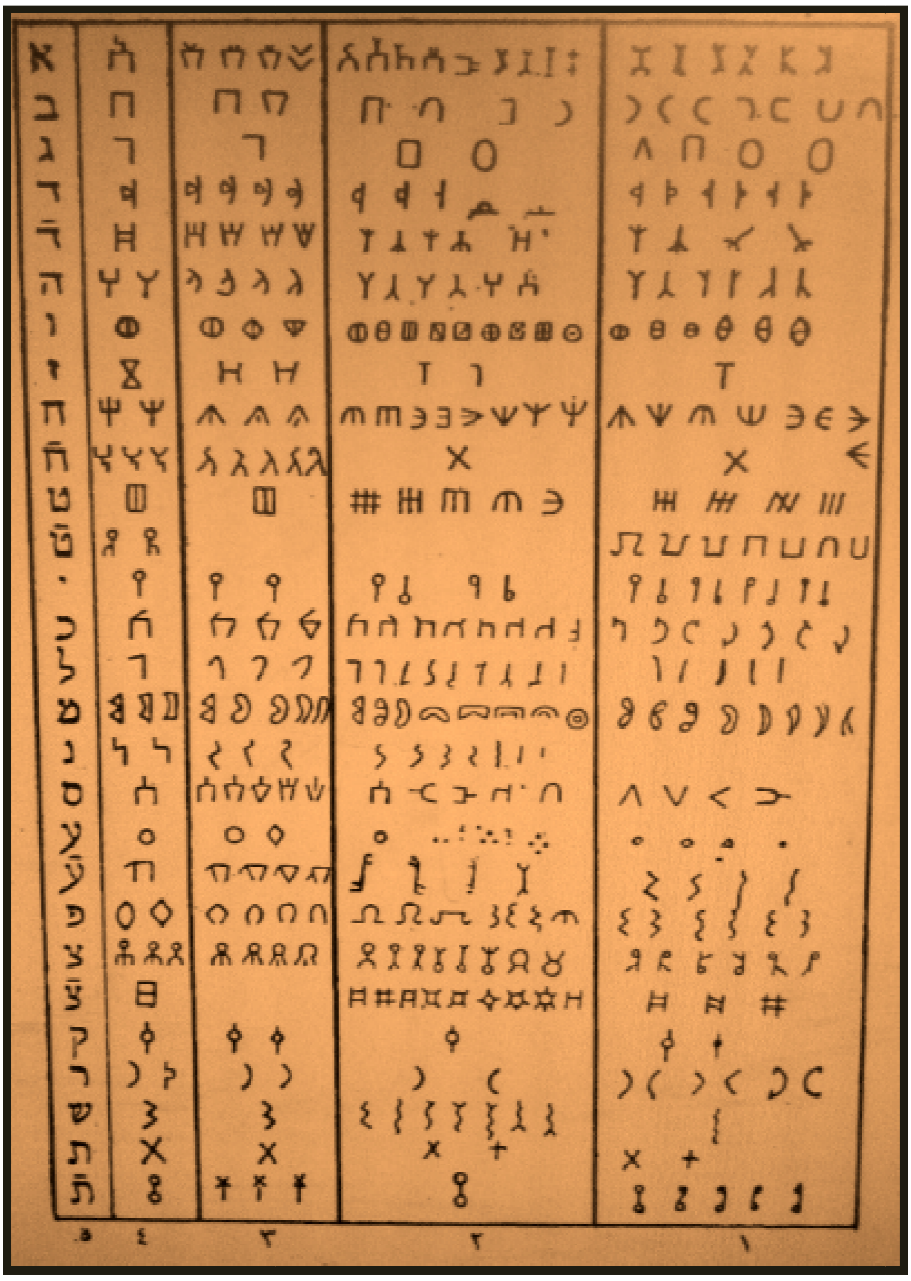

(أقلام مختلفة: 1. صفوي 2. ثمودي 3. لحياني 4. مسند 5. عبراني)

[1] المصدر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص: 241

(شكل رقم 2) المصدر: ليث شاكر، "نشأة الخط العربي..."[1]

(تطور الخط الآرامي إلى النبطي ثم العربي)

(شكل رقم 3) المصدر: عبد الغني، (2010)، "نقوش وكتابات..."[2]

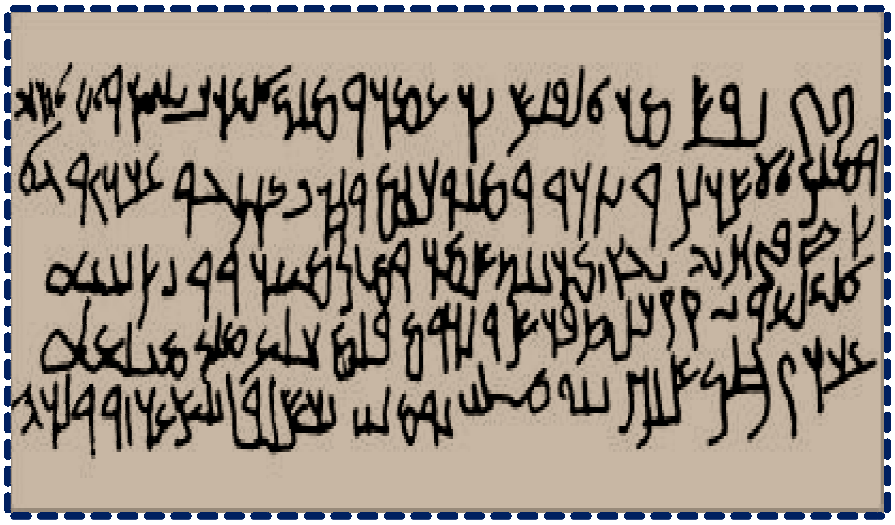

(نقش النمّارة)

[1] http://www.mesopot.com/default/index.php?option=com_content&view=article&id=226

[2] http://www.alraimedia.com/Articles.aspx?id=212982

(شكل رقم 4) المصدر: أرض الحضارات، "الخط العربي..."[1]

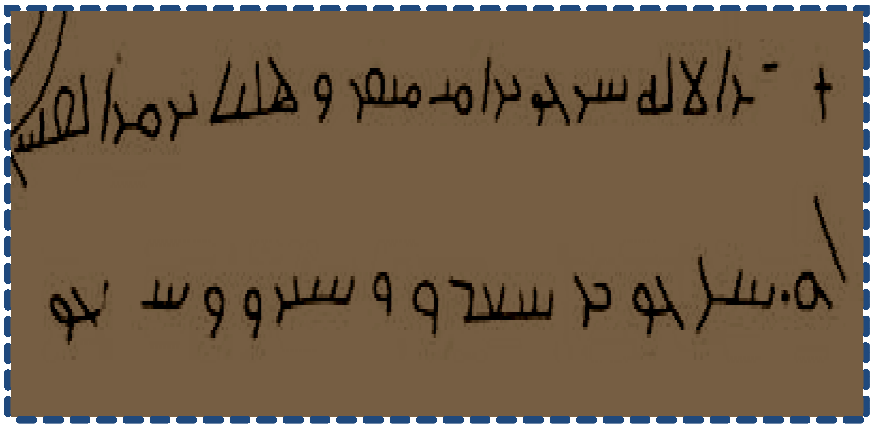

(نقش زيد)

[1] http://www.landcivi.com/new_page_234.htm

الفصل الثاني

الخط العربي في العصر الإسلامي

يعدّ العصر الإسلامي عصرا مهما بالنسبة للخط العربي حيث أن الكتابة في العصر الجاهلي لم تكن تستخدم على نطاق واسع بل كان يستخدمها بعض الأفراد في أغراض محدودة مثل التجارة وكتابة المواثيق والعهود وما إلى ذلك. فلما جاء الإسلام وانتشرت دعوته في الأماكن المختلفة، بدأ الناس يهتمون بالكتابة لما لها أهمية بالغة في تسجيل الآراء والأفكار ونشر التعاليم الدينية والأحكام الشرعية وتدوين المصاحف. والفضل في ذلك يرجع إلى الإسلام الذي يحثّ على القراءة والكتابة، فأول آية من القرآن نزلت في شأن القراءة والكتابة، كما قال تعالى في كلامه المجيد: "**إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم**"[1].

فقد وضع الإسلام أول لبنة يعتمد عليها أساس تطور الخط العربي في العصر الإسلامي، وهو من أهم العوامل التي مهدت له الطريق إلى الخروج من شبه جزيرة العرب حتى انتشر في العديد من البلدان العالمية الأخرى المعروفة آنذاك مع انتشار الإسلام فيها. وعلى هذا، فإن الخط العربي قد تطور في هذا العصر وأصبح شعبيا، تداوله الناس واستخدموه لأغراضهم التجارية وتدوين كتاباتهم على اختلاف أنواعها.

يقول محمد طاهر الكردي في كتابه "تاريخ الخط العربي وآدابه":

> "ظهر الإسلام والخط العربي معروف في الحجاز ولكنه لم يكن شائعا فيه بل كان محصورا في فئة قليلة من الصحابة وبعض أهل الذمة، ولما عمّ الإسلام جزيرة العرب كلها، انتشرت معه اللغة العربية بين المسلمين وغيرهم من أهل هذه البلدان وانتشر معها الخط العربي في كل بقعة من هذه البقاع"[2].

وقبل الخوض في دراسة تطور الخط العربي في العصر الإسلامي، يحسن بنا أن نبيّن مدّة هذا العصر، فهو يبتدأ ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته إلى الإسلام عام 610م، وينتهي بانتهاء عصر الخلفاء

[1] سورة العلق، الآية رقم: 5-1.
[2] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 54.

الراشدين وقيام دولة بني أمية على يد معاوية بن أبي سفيان عام 41هـ، ومدته ثلاثة وخمسون عاما هجريا.[1]

وقد سبق أن رأينا في الفصل الأول من هذا الباب كيفية نشأة الخط العربي وتطوره في عصر ما قبل الإسلام حتى وصل إلى العصر الإسلامي، إلا أن وضعه في هذا العصر لم يتحسن إلى قدر كبير بل كان على وضعه القديم. وقد انتشر الخط العربي في هذا العصر مع بداية ظهور الدعوة الإسلامية على يد الرسول صلى الله عليه وسلم. ولما كانت الدعوة الإسلامية تتطلب إلى طلب العلم وتعلم الكتابة، فكان من الضروري أن يهتم بها الصحابة الذين حملوا لواء الإسلام ونشروا الدعوة الإسلامية في المناطق العربية وخارجها. ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لأسرى قريش في معركة بدر أن منهم من لا يستطيع أن يفدي نفسه بالمال، عليه أن يعلّم الكتابة لأولاد الأنصار[2]. وهذا دليل واضح على أن الخط العربي كان معروفا في المدينة آنذاك.

وبالإضافة إلى ذلك، تدلّ الرسائل التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى العديد من الرؤساء والملوك على أن الخط العربي كان شائعا في العصر الإسلامي، وقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم لكتابتها أحسن الكتّاب خطًا وأجود منهم كتابةً. وكان بعض هؤلاء الكتاب من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم، مثل الخلفاء الراشدين الأربعة وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان، إلا أن زيد بن ثابت أطلِق عليه كاتب النبي صلى الله عليه وسلم لكثرة كتابته الوحي.[3]

وقد ذكر أبو عبد الله الزنجاني في كتابه "تاريخ القرآن" ثلاثة وأربعين كاتبا للنبي صلى الله عليه وسلم، فهو يقول:

> "وكان للنبي صلى الله عليه وسلم كتّاب يكتبون الوحي بالخط المقور وهو النسخي، وهم ثلاثة وأربعون، أشهرهم: الخلفاء الأربعة، وأبو سفيان وابناه: معاوية ويزيد، وسعيد بن العاص وابناه: أبان وخالد، وزيد بن ثابت، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعامر بن فهيرة، وعبد الله

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، ص: 8.
[2] محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، كتاب الجهاد والسير، ج5، ص:66.
[3] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 62.

بن الأرقم، وعبد الله بن رواحة ...الخ، وكان ألزمهم للنبي صلى الله عليه وسلم وأكثرهم كتابة له زيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب"[1].

هذا، وقد كانت الكتابة شائعة في مكة في عصر ما قبل الإسلام، لأنها كانت مركزا تجاريا يفد إليها التجار من مناطق عربية قريبة ونائية، كما كانت ثقافتها وحضارتها أوسع مما حولها. ويؤكد هذا الرأي البلاذري في كتابه "فتوح البلدان"، فهو يقول:

"دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب، منهم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح، وطلحة، ويزيد بن أبي سفيان ...إلخ، أما النساء اللواتي كن يكتبن فمنهن: الشفاء بنت عبد الله العدوية من رهط عمر بن الخطاب، وحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأم كلثوم بنت عقبة إلخ"[2].

ومهما يكن من الأمر، فإن الخط العربي لم يكن في بداية الإسلام متقنًا، ولم يتحسن وضعه أكثر مما كان عليه في عصر ما قبل الإسلام، بل كان على حالته القديمة حتى في زمن الخلفاء الراشدين أيضا، وذلك لأن المسلمين قد اشتغلوا بالحروب وبالمهام الدينية الأخرى، كما أن معظم العرب كانوا يعيشون حياة بدوية بعيدا عن الحضارة.

ويقول ابن خلدون: "كان الخط العربي لأول الإسلام غيرَ بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط، لمكان العرب من البداوة والتوحش وبُعدهم عن الصنائع"[3].

وعلى هذا، فإن الخط العربي وإن لم يكن في بداية العصر الإسلامي في غاية من الإتقان والإجادة، إلا أن هذا العصر يعتبر عصرا ذهبيا بالنسبة لتطور الخط العربي، إذ وضعت في هذه المرحلة القاعدة التي أرسى عليها الخط دعائمه للمرحلة التي تليها. ويدلّ على ذلك اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالكتابة وملازمة كتّاب الوحي له، كما حضّ الإسلام على تعلمه وتعليمه لما له أهمية في تدوين القرآن الكريم وكتابة العهود والوثائق التجارية وتوثيق المعاهدات والاتفاقيات وما إلى ذلك من أمور المسلمين الأخرى،

[1] أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، ص: 48.
[2] البلاذري، فتوح البلدان، ص: 661-660.
[3] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص: 419.

حيث يقول تعالى في كلامه المجيد: "**يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمّى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل**"[1].

وبالإضافة إلى ذلك، كان هناك بعض الصحابة الذين قد أتيح لهم أن يكتبوا حوائج النبي صلى الله عليه وسلم، كما كتب البعض الآخرون في المدينة وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء. وهكذا استمرت الكتابة في الانتشار في عصر الخلفاء الراشدين، حتى صارت منصبا من مناصب الحكومة التي لا مفرّ منها. فكان بعض منهم يكتب للبعض الآخر.

يقول جرجي زيدان:

> "ولما تولى أبو بكر كان عثمان بن عفان كاتبه يكتب له الكتب إلى العمّال والقواد، وصارت الكتابة منصبا من مناصب الحكومة لا يستغنى عنه. فلما تولى عمر كتب له أولا زيد بن ثابت ثم حلّ محلّه غيره، ولما فتحت الأمصار وتدوّنت الدواوين عيّن عمر كاتبا لكل ولاية يكتب في ديوانها، وكان الكاتب يكتب في أول الأمر لديوان الجند وبيت المال، فتولى عثمان وعلي وانقضت دولة الخلفاء الراشدين والكتابة منحصرة في واحد يضبط حساب الديوان من أعطيات الجند وأسمائهم ويكتب المراسلات"[2].

ويعتبر الخط الكوفي أقدم الخطوط في بلاد العرب، وأكثرها تنوعًا وأوسعها انتشارًا. وقد نشأ الخط الكوفي أولا في الحجاز، وذلك لأن القرآن الكريم قد كتب على مواد مختلفة مثل اللِخاف (الحجر الرقيق) والعَسيب (جريد النخل) وما شابههما من المواد المعروفة آنذاك في العصر الإسلامي، بالخط الكوفي في المدينة قبل بناء الكوفة، كما اعتبر هذا الخط مناسبًا ومفضّلا لكتابة آيات القرآن الكريم، فكتبها كتبة الوحي بالخط الكوفي على المواد الميسرة في ذلك العصر. وتعدّ فكرة جمع القرآن على يد الخليفة الثاني عثمان بن عفان رضي الله عنه نقطة مهمة لانتشار القرآن الكريم في البلدان الإسلامية بالخط الكوفي المفضّل. ويشهد بذلك المصحفان المنسوبان إلى عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، كما يحفظ هذان المصحفان في متحف "طوب قبو" في استامبول، وقد وقع ذلك قبل تحول مركز الخلافة إلى الكوفة. وعندما تحولت الخلافة إلى الكوفة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، توسع نطاق الخط

[1] سورة البقرة، الآية رقم: 282.
[2] جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، ص: 260.

الكوفي واستمر في الانتشار، وبدأت العناية بتجويده، حتى تأقلم بأشكال الأقاليم التي امتدت ما بين وراء النهر شرقًا إلى الشمال الإفريقي غربًا. هذا، وقد طوّر أهل الكوفة أسلوب كتابة الحروف الكوفية وقاموا بتحسين أشكالها، حتى أصبح الخط الكوفي متميزا بأهل الكوفة عن غيره من الخطوط الأخرى.

وسرعان ما انتشر الخط العربي مع الفتوحات الإسلامية في العديد من البلدان، وبدأ الخط يتغلغل في مصر والعراق وسوريا التي فتحها المسلمون، حتى أخذ أشكالا جديدة وأنواعا عديدة لما لها أهمية كبرى في شؤون الحياة اليومية للمسلمين مثل الكتابة التجارية وتدوين الوثائق والآداب. يذكر ابن خلدون في مقدمته:

> "ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الأمصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة، واحتاجت الدولة إلى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلُّمه وتداولوه، فترقت الإجادة فيه واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان، إلا أنها كانت دون الغاية"[1].

ويفيد مؤرخو الخط العربي والمتخصصون فيه بأنه يوجد هناك شكلان من الخط العربي القديم منذ بداية القرن الأول للهجرة، وهما: الخط اليابس والخط الليّن. ويتسم الخط اليابس عن غيره من الخطوط باستقامة حروفه وتناسق أجزائه، كما يتميز بأن عَراقات* حروفه مبسوطة، ولذلك يسمّى في بعض الأحيان بالخط المبسوط. وهذا النوع من الخط يستخدم في النقش على المباني وكتابة المصاحف، وأصبح هذا الخط يعرف فيما بعد بالخط الكوفي. أما الخط الليّن فهو يتميّز باستدارة زواياه وانخساف عَراقاته، وقد يسمى بالخط المقوّر أيضًا. وهذا الخط يناسب الكتابة اليدوية بشكل سريع، ويستخدم في المراسلات والكتابات العامة، وأصبحت له ألقاب عديدة فيما بعد، أشهرها الثلث والنسخ.[2]

وقد استخدم الخط الكوفي في الحجاز على شكلين، وهما الشكل المقوّر، والشكل المبسوط[3]، ويسمّى الشكل المقوّر بالليّن وبالنسخي، وهو خط كثر استعماله في المراسلات والكتابات الاعتيادية والرقاع. أما الشكل المبسوط وهو ما يسمّى باليابس، فقد استخدم في معظم الأحيان في كتابة المصاحف الكبيرة وفي

---

[1] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص: 420-419.

* عراقة الحرف: أي ذيله الهابط كحرف الجيم والعين.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص: 11. وحفني ناصف، حياة اللغة العربية، ص: 77.

[3] حسن قاسم حبش، نفائس الخط العربي، ص: 21 (نقلا عن: حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ص: 14).

النقش على المحاريب وأبواب المساجد والمعابد وجدران المباني الواسعة. والهدف من استعمال هذا الخط المبسوط أو اليابس تزيين الأبواب والجدران وزينتها.

وتقسيم الخط الكوفي إلى المقوّر والمبسوط يعتمد على أساس كتابة الخطوط الكوفية على شكل مخصوص، وإلا فتوجد هناك أنواع عديدة للخط الكوفي منها ما نسب إلى المدن التي نشأ بها مثل المكي والمدني والأندلسي والعراقي والشامي والمصري وما إلى ذلك. وذلك لأهمية هذه المدن التجارية والأدبية والفكرية والدينية.

أما الكتّاب الذين اشتغلوا بكتابة الوحي وآيات القرآن في العصر الإسلامي فكانوا يكتبون بالخط المقوّر أو النسخي. وقد كتب بهذا الخط المقور زيد بن ثابت رضي الله عنه صحف القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه. أما الرسائل وغيرها من الكتابات العادية فكانوا يكتبونها بنوع آخر. فمثلا عندما ننظر إلى صورة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم التي بعث بها إلى المقوقس في مصر وهي محفوظة في دار الآثار النبوية في الآستانة، وقد عثر عليه عالم فرنسي في دير بمصر، والرسالة التي بعث بها إلى المنذر بن ساوي ملك البحرين وهي أيضا محفوظة في مكتبة فينا عاصمة النمسا،[1] (انظر شكل رقم 1 و 2) وننظر إلى صورة بعض المصاحف التي كتبها الصحابة (انظر شكل رقم 3 و 4) نجد هناك فروقا واضحة في الخط المستخدم في كتابة القرآن وكتابة الرسائل. وهكذا عندما أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه بكتابة المصاحف في المدينة، تنافس الناس في كتابتها، وبدأوا يكتبونها على أشكال مختلفة وأوضاع متنوعة، كما أبدعوا في إجادة تنميقها، حتى اتخذ كل كاتب له طريقته الخاصة التي تميّزت واتسمت باسم خاص[2]. أما عدد هذه المصاحف ففيه خلاف، وأكثر العلماء متفقون على أن عثمان بن عفان جعل المصحف على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية واحدا: الكوفة، والبصرة، والشام، وأبقى عنده واحدا. وقيل إنه جعل سبع نسخ، وزاد إلى مكة، واليمن، والبحرين، ولكن الإجماع على أربعة مصاحف[3].

وتوجد هناك العديد من النماذج للخطوط العربية المبكرة في العصر الإسلامي، وهي تمثل انتشار الخطوط العربية وتطورها في العديد من المناطق العربية. وقد تم العثور على هذه النماذج الخطية في المكتشفات

[1] أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، ص: 34.
[2] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 68-67.
[3] يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص: 68.

الأثرية، وكانت هي مكتوبة على الأحجار والرقوق وأوراق البردي وما إلى ذلك من المواد الأخرى المعروفة. وكما عبر عن هذه الفكرة عادل الألوسي في كتابه "الخط العربي نشأته وتطوره"، فهو يقول:

> "أما الخطوط المبكرة الأولى لصدر الإسلام، فقد وصلت إلينا منها نماذج محدودة، منها ما هو على الحجر، ومنها ما هو على البردي، ومنها ما هو على الرقّ. ومن النماذج التي عثرت عليها محفورة على الحجر: شواهد بعض القبور، ومنها شاهد عثر عليه في أسوان بمصر يعود تاريخه إلى عام 31هـ"[1].

الكتابة في الحجاز: وقد سبق أن رأينا أن معظم العرب لا يعرفون القراءة والكتابة، كما صرفهم عن الخط والكتابة اشتغالهم بالحروب والغارات وعدم حبهم لقيودات الحضارة والمدنية. فقد تعلم بعضهم الكتابة عن طريق القوافل التجارية التي كانت تمرّ باليمن أو العراق أو الشام.

وقد وصل الخط إلى الحجاز عن طريق الحيرة والأنبار، كما وصل الخط إلى الحيرة والأنبار من اليمن بواسطة كندة والنبط، لأن أهل الحيرة والأنبار كانوا يتقارضون التعليم، فيتعلم بعضهم من بعض ما يريد أن يتعلمه. وتوجد هناك آراء وأقوال في أول من أدخل الخط العربي أو الكتابة العربية في الحجاز، فقيل حرب بن أمية القرشي (جدّ معاوية بن أبي سفيان)، وقيل سفيان بن أمية، وقيل قيس بن عبد مناف بن زهرة، وقيل غير ذلك، إلا أن المؤرخين يتفقون على أن أول من أدخل الخط العربي في مكة المكرمة هو حرب بن أمية بن عبد شمس، وكان قد تعلّمه في رحلاته من عدة أشخاص، منهم بشر بن عبد الملك، وكان بشر بن عبد الملك قد تعلّم الخط من الأنبار. وقد تعلّم منهما أي حرب بن أمية وبشر بن عبد الملك الخط جماعة من الرجال والنساء؛ فمن الرجال عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله وغيرهم، ومن النساء الشفاء بنت عبد الله العدوية التي علّمت حفصة أم المؤمنين بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم.[2] كما تعلمت الكتابة كريمة بنت المقداد، وعائشة بنت سعد، وأم كلثوم بنت عقبة وغيرهن. وهكذا، أصبحت الكتابة أمرا ضروريًا تعتمد عليه الدولة الجديدة وانتشرت حتى أصبحت ظاهرة حضارية، فكان اهتمام الإسلام بالكتابة إشارةً للناس لكي يتعلموا الخط.

وأما ما يتعلق بدخول الخط العربي في المدينة، فجميع الأدباء والمؤرخين يوافقون على أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المدينة وفيها يهودي يعلّم الصبيان الكتابة، كما كان فيها بضعة عشر من الرجال كلهم

[1] عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص: 31.
[2] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 60-58.

يعرفون الكتابة العربية، منهم سعيد بن زرارة، والمنذر بن عمرو، وزيد بن ثابت وغيرهم، وكانوا يعرفون الخط الحجازي. وإضافةً إلى هؤلاء الكتّاب، توجد هناك أيضا بعض القبائل التي اشتهر أفرادها بالكتابة، منها الأوس والخزرج اللذين ذاع صيتهما في الكتابة، وكذلك ثقيف. كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سعيد بن العاص بأن يعلّم الناس الكتابة بالمدينة، لأنه كان كاتبًا محسنًا.

وكما أن الخط الحجازي كان شائعا في المدينة فيما بين الكتّاب من الصحابة واليهود وأهل الذمة، فهو ينقسم إلى قسمين: أحدهما النسخي الذي يستعمل في الوثائق والمكاتبات، وثانيهما الكوفي نسبة إلى الكوفة بعد بنائها، لأن الخط الحجازي قد هذبت قواعده وصور حروفه فيها ولذلك سمّي بالخط الكوفي نسبة إلى الكوفة.[1]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول من نشر الخط العربي بالمدينة بطريقة عامة بعد مهاجرته إليها. إنه حثّ جميع من يعلم الكتابة على تعليمها وترويجها حتى راجت سوق الكتابة في زمنه وتطور الخط بشكل تدريجي من ذلك الوقت في المدينة وغيرها من الأمصار التي دخلها الإسلام. وهذا دليل واضح على ما كان للخط العربي من مكانة مرموقة عندهم، وبهذه الطريقة بدأ الناس يتنافسون في إجادة الخط العربي وإتقانه، حتى أصبحت هذا الخط فنًا جميلا.[2]

وعلي الرغم من قلة النماذج الخطية التي تم العثور عليها في المكتشفات الأثرية، إلا أنها توجد هناك بعض الكتابات التي نقشت على الحجر، كما كتبت بعضها على الرقوق، ويرجع تاريخها إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. وهي تعدّ من أروع النماذج الخطية التي كانت شائعة في العصر الإسلامي وخاصة في مكة والمدينة، ويمكن أن نسميها بالخط المكي والمدني.

وقد نشر المستشرق الإيطالي الأستاذ "ليفي دلافيدا" نموذج هذا الخط المكي والمدني المائل وكتب عنه، وهو محفوظ في مكتبة الفاتيكان، يرجع تاريخه إلى القرن الأول من الهجرة، وفيه قطعة من سورة هود، ولعلّه من أقدم المصاحف المكتوبة على الرقّ الموجودة في العالم. (انظر شكل 5) أما النموذج الثاني من

[1] أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، ص: 34.
[2] نفس المصدر، ص: 34-33. ومحمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 61.

الخط المائل فهو موجود في المتحف البريطاني، وهو نموذج القرآن الكريم المكتوب على الرقّ، يرجع تاريخه إلى أواخر العصر الأموي، ويتألف من 112 ورقة، ويبدأ بسورة الأعراف.[1] (انظر شكل رقم 6)

والكتابة التي وجدت على الحجر، فقد كشفها محمد حميد الله في جبل سلع، بجوار المدينة، يرجع تاريخها إلى أوائل الإسلام، ربما إلى السنة الرابعة للهجرة. وهذه الكتابة تشتمل على عبارات مثل: أمسى وأصبح عمر وأبوبكر يتوبان إلى الله من كل ما يكره.[2] (انظر شكل رقم 7)

وهكذا، فإن الخط العربي قد استمر في الانتشار والتطور منذ بداية دخوله بلاد العرب، إلا أن أوضاعه لم تتحسن إلا في الفترات المتأخرة من العصر الإسلامي. فعندما تطور المجتمع العربي الإسلامي في عصر الخلفاء الراشدين وتوسع نطاق دائرة الإسلام بسبب الفتوحات الإسلامية، نتجت عن ذلك أوضاع تختلف عن تلك التي كانت عند ظهور الإسلام. فكثرت الفتوحات وتنوعت الاحتياجات اليومية وعظمت الأمور الدينية والسياسية مما خلفت ثورة كبيرة في الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وفي مثل هذه الظروف المواتية للتطور والتقدم، يجب أن يكون هناك استقرار في الحياة وثقة بالشؤون الدولية. فكان من الضروري أن يحتل الخط العربي مكانة بارزة في عصر الخلفاء الراشدين لتدوين المكاتبات ولتسجيل الآراء والأفكار وكتابة الدواوين وما إلى ذلك من الأمور المهمة. وقد سبق أن رأينا أن القرآن الكريم قد جمع في دفة واحدة في العصر الإسلامي، وليس شك في أنهم كتبوا القرآن بأيديهم على طريقتهم الخاصة بالكتابة. وهذا دليل واضح على ممارستهم الكتابة وإجادتهم بها. ولا نبالغ إذا نقول إن نهضة الخط العربي قد بدأت في زمن الخلفاء الراشدين، وبدأت هذه النهضة والتطور في ظل الظروف التي غيّرت العرب من حالة إلى أخرى.

أما الخط العربي أو الكتابة العربية التي تم العثور عليها من زمن الخلفاء الراشدين، فهي مختلفة ومتعددة ومكتوبة على أوراق البردي والأحجار. فالكتابة الموجودة على ورق البردي يرجع تاريخها إلى سنة 22هـ/643م، أي في عهد عمر، وهي وثيقة كتبت بالخط الليّن، وهي محفوظة في المكتبة الوطنية في "فينا". وقد عثرت عليها في بلدة "أهنس" في مصر، وحروفها مدورة ومتأثرة بالخط المدني.[3] (انظر شكل رقم 8)

[1] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 26-24.
[2] نفس المصدر، ص: 29.
[3] نفس المصدر، ص: 37.

وهي تنص كما يلي:

1. "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أخذ عبد الله
2. ابن جبير واصحبه من الجزر من أهنس أخذنا
3. من خليفة تذرق ابن ابو قير الاصغر، ومن خليفة اصطفن ابن ابو قير الاكبر خمسين شاة
4. من الجزر. وخمسة عشر شاة اخرى اجزرها اصحب سفنة وكتبه وثقلاه في
5. شهر جمدى الاول من سنة اثنتين وعشرين. وكتب ابن حديده".[1]

والكتابة التي نقشت على الأحجار، ويمكن أن نسميها بالكتابة الحجرية، يرجع تاريخها إلى سنة 31هـ، أي في خلافة عثمان بن عفان، وهي شاهد قبر عبد الرحمن بن خير. وهذه الكتابة محفوظة في القاهرة في متحف الآثار الإسلامية، كما هي منقوشة بالخط اليابس، لأنه يناسب للكتابة على الأحجار. والخط فيها مستقيم وغليظ، وتبدو عليه آثار البداوة، كما لا تظهر عليه آثار الصبغة الفنية. والحروف خالية أيضا من الإعجام، كما لا تشبه الألفات في هذه الكتابة ألفات الخط المدني والمكي. (انظر شكل رقم 9)

والكتابة تنص:

1. بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر
2. لعبد الرحمن بن خير الحجري اللهم اغفر له
3. وادخله في رحمة منك واينا معه
4. استغفر له إذا قرأ هذا الكتب
5. وقل امين وكتب هذا
6. الكتب في جمدى الآ
7. خر من سنت احدى و
8. ثلاثين.[2]

[1] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 37
[2] نفس المصدر، ص: 41-40.

(شكل رقم 1) المصدر: معتز، (2012)، "متحف..."[1]

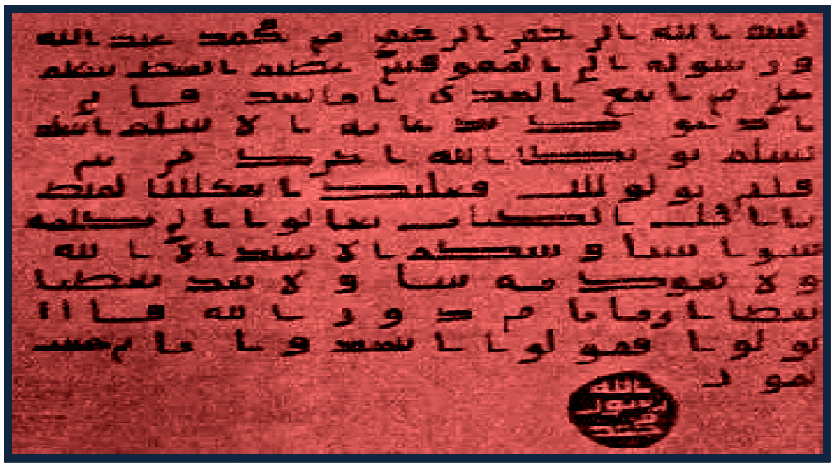

(رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط) ونصها كما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإن عليك إثم القبط. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ". (سورة آل عمران، الآية رقم: 64)

[1] http://www.shababadrar.net/vb/threads/59060

(شكل رقم 2) المصدر: أبو موسى أحمد، (2010)، "كتاب النبي..."[1]

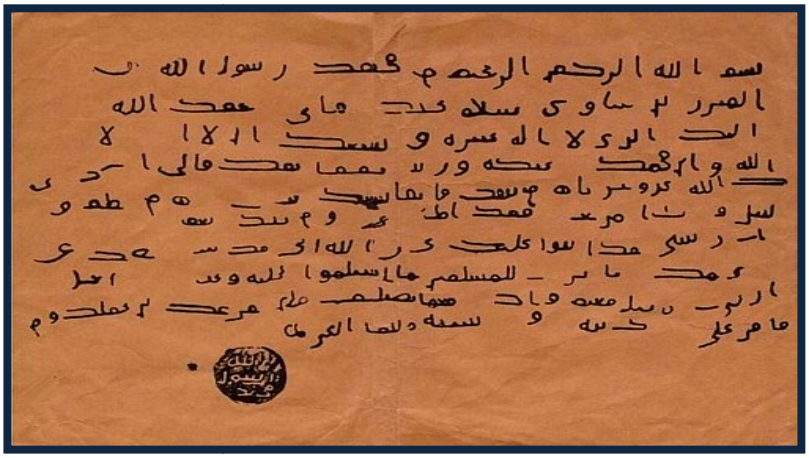

(رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوي ملك البحرين) ونصها كما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، ومن يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن ينصح لهم فقد نصح لي، وإنّ رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتُكَ في قومكَ، فاتركْ للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوتُ عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح، فلن نعزلكَ عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية".

[1] http://m-noor.com/showthread.php?p=7625

(شكل رقم 3 و 4) المصدر: حسام أبو الدهب، (2009)، "مسجد مولانا..."[1]

(مصحف الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو الآن محفوظ بالقاهرة بالمشهد الحسيني، ويعتبر أول مصحف في تاريخ الإسلام. كما هو مكتوب بالخط الكوفي الخالي من الشكل والإعجام، ويتكون من 1087 ورقة من الرقّ من القطع الكبير، وقياسها 57 سم x 68 سم، وعدد الأسطر 12 سطرا، وارتفاعه 40 سم، أما وزنه فيبلغ 80 كجم).

[1] http://rabah2010.3arabiyate.net/t235-topic

(شكل رقم 5) المصدر: ويكيبيديا (2010)، "خط مكي"[1]

(ورقة من مصحف قديم مكتوب بالخط المكي المائل على الرقّ، يرجع تاريخه إلى القرن الأول للهجرة. كتبت عليها الآيات الكريمة 4–12 من سورة هود).

[1] http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D8%B7_%D9%85%D9%83%D9%8A

(شكل رقم 6)[1]

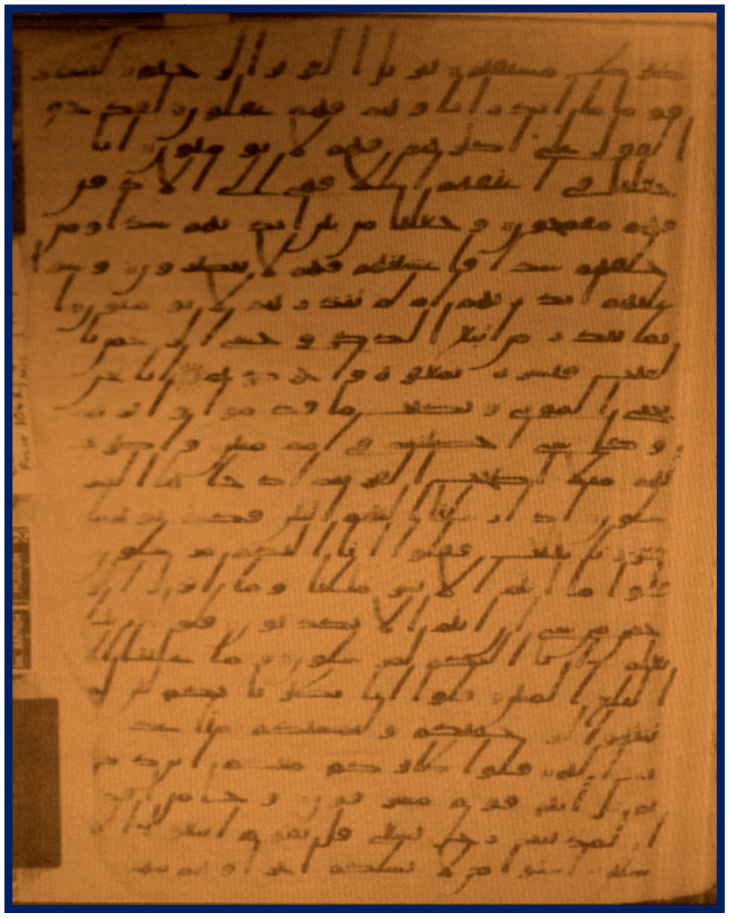

(ورقة من مصحف قديم مكتوب على الرق بالخط المائل يرجع تاريخه إلى أواخر الدولة الأموية، وهو محفوظ في المتحف البريطاني. وتبدأ هذه الورقة بالآية الرابعة من سورة يس إلى الآية 15.)

[1] المصدر: دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 27

(شكل رقم 7) المصدر: إيمان يحيى، (2009)، "نقوش جبل سلع"[1]

(الكتابة الحجرية في جبل سلع بالمدينة المنورة، يرجع تاريخها إلى السنة الرابعة للهجرة)

(شكل رقم 8) المصدر: سعد الدين أبو الحب، "جذور الكتابة العربية..."[2]

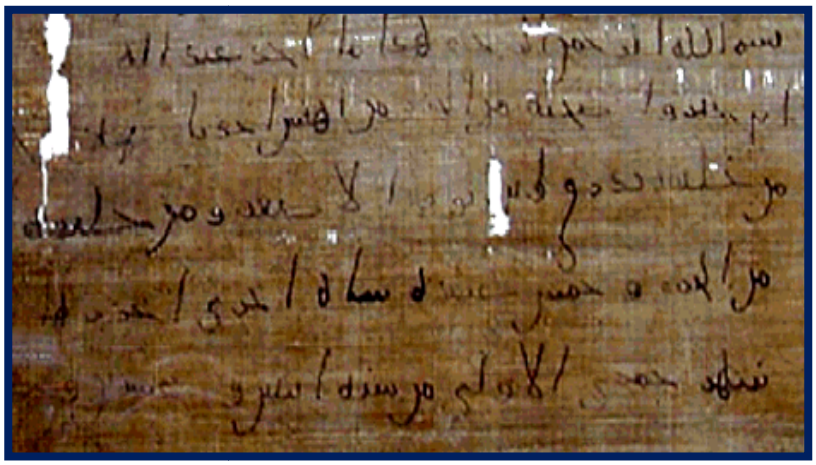

(الكتابة الموجودة على ورق البردي بالخط اللين)

[1] http://vb.tafsir.net/tafsir16028/#.VTaVrtKqqko

[2] http://arabetics.com/public/html/more/History%20of%20the%20Arabic%20Script_article_Arabic.htm

(شكل رقم 9) المصدر: مصر الخالد، (2005)، "شاهد قبر مبكر"[1]

(شاهد قبر عبد الرحمن بن خير، مؤرخ سنة 31هـ، عثر عليه في أسوان بمصر، وهو الآن محفوظ في متحف الآثار الإسلامية بالقاهرة).

[1] http://www.eternalegypt.org

الفصل الثالث

الخط العربي في العصر الأموي وبداية العصر العباسي

قد سبق أن رأينا في الفصل السابق من هذا الباب وضع الخط العربي في العصر الإسلامي وتطوره ومدى أهميته في كتابة المصاحف وتدوين الوثائق والمكاتبات التي جعلت العرب يتعلمون الخط والكتابة لما لها أهمية قصوى في الحفاظ على تراثهم وأيامهم ووقائعهم، إلا أن الخط العربي أو الكتابة العربية لم يتحسن وضعها بشكل كبير، وذلك لأن الخط العربي كان في بداية مرحلة تطوره حينذاك، واشتغل الصحابة بالحروب ونشر الدعوة الإسلامية. فعندما استقرت الدولة الإسلامية وتوسع نطاق الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي، تطور الخط العربي تطورا ملحوظا وانتشر في معظم البلدان العربية، فتناوله العرب واستخدموه على نطاق واسع في شئون دينهم ودنياهم معًا.

الخط العربي في العصر الأموي: يبتدأ العصر الأموي بقيام دولة بني أمية على يد معاوية بن أبي سفيان عام 41هـ، وينتهي بانتهاء الدولة عام 132هـ[1]. ويعتبر هذا العصر من أهم العصور التي تطور فيها الخط العربي تطورا ملموسا وأخذ أشكالا جديدة مختلفة عن تلك التي وجدت في عصر ما قبل الإسلام، حتى تعددت أغراض استخدامه وتنوعت مجالات استعماله وتوسعت دائرته بسبب الفتوحات الإسلامية. فكان هذا العصر نقطة تحول بدأ منها انتشار الخط العربي وتجويده وتطوير أدواته، كما كثرت أنواعه وتنوعت أشكال حروفه وهذّبت طريقة كتابته. وهكذا، تصدى معظم الخطاطين لهذا الفن الجميل وابتكروا أنواعا جديدة له، كما وضعوا له القواعد والأصول الفنية واشتهروا بكتاباتهم الإبداعية وخطوطهم الخلابة التي أينما ظهرت بهرت، فانتسبت هذه الخطوط إلى مبتكريها وعرفت بأسمائهم.

يقول محمد طاهر الكردي:

> "ثم لما جاء زمن بني أمية اشتغل كثير من الناس بالعربية وفي عهدهم أخذ الخط يسمو ويرتقي ويتحسن أكثر مما قبل، وفي أواخر أيامهم اشتهر بحسن الخط رجل يقال له "قُطْبة المحرر" وهو الذي بدأ في تحويل الخط العربي من الشكل الكوفي إلى مايقارب الشكل الذي هو عليه الآن. وكان أكتب أهل زمانه وهو

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، ص: 8.

> الذي اخترع القلم الطومار والقلم الجليل وهو ما نسميه الآن بالخط الجلي أي الكبير الواضح. واشتهر خالد بن الهيّاج بكتابة المصاحف وهو أول من أجاد كتابتها وكان منقطعا للكتابة للوليد بن عبد الملك، يكتب له المصاحف وأخبار العرب وأشعارهم"[1].

وفي هذا العصر انتقل مقرّ الخلافة من الكوفة إلى الشام، وكان من الطبيعي أن يتحول اهتمام الكتّاب وعناية الخطاطين بالخط العربي إلى الشام مع انتقال مركز الخلافة إليها. وعندما توسع نطاق الدولة الإسلامية وعظم أمر الإسلام وانتشرت الدعوة الإسلامية في العديد من البلدان الإسلامية العربية، كان من الضروري أن يهتم الخلفاء بالكتابة لأغراض دينية ودنيوية، وذلك لإدراكهم مكانتها في نشر الدعوة الإسلامية وخلق الوعي الديني والثقافي فيما بين المسلمين. فاعتنى خلفاء الدولة الأموية بالخط العربي، وأكرموا الخطاطين المبدعين وكافأوهم وجعلوهم في منزلة مقربة منهم كمنزلة الشعراء، كما كان الخليفة عبد الملك بن مروان خطاطا بارعًا[2].

وفي مثل هذه الأوضاع التي كثر فيها تدوين الآثار والأخبار وتنوعت كتابة المصاحف، أتيح لمعظم الكتّاب والخطاطين أن يستخدموا تجاربهم في إبداع الكتابة الخطية المرموقة، وأن يستعملوا مواهبهم الفنية في اختراع الأنواع الجديدة للخط العربي، على أن لا تخرج هذه الأنواع الجديدة عن القواعد الأصلية له. وبذلك بدأ الخط العربي يتجه نحو السمو والإرتقاء، ويشهد نماذج جديدة وأشكالا متنوعة جميلة في نهاية العصر الأموي. وبالإضافة إلى ذلك، ساعدت كثرة التأليف والترجمة وبناء المباني الفخمة والمساجد الجميلة والحرص على إخراج الكتب بشكل جميل على ذيوع الخط، حتى ان بعض المصاحف وكتب الحديث والسيرة بدأت تتسم بالزخرفة وتطلى بماء الذهب. كما زيّنوا بالخط واجهات المساجد والقصور والقطع الفنية من الخشب والزجاج والمعادن.

يقول أحمد شوحان:

> "وراح الخطاطون في العصر الأموي – ولأول مرة – يخطون خطوطا جميلة تزيّن القصور والمساجد والخانات، ويكتبون بهذه الخطوط في سجلات الدولة الفتية ودواوينها الحديثة، فنالوا حظوة لدى الأمراء والخلفاء، وجعلوهم في صدارة

[1] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 68
[2] محمد عبد القادر عبد الله، الخطوط العربية، ص: 6.

مجالسهم، واستعملوهم في دواوينهم. وأصبحنا نرى هذه الخطوط الحديثة الجميلة في هذا العصر تزيّن القِباب والمساجد والمآذن والقصور التي حلّيت بالفُسيفُساء والخشب المحفور والمطعّم بالفضة والمعادن والزجاج، ليس في عاصمة دمشق فحسب، بل في أبعد المدن القاصية عنها والثغور، وهذا ما نراه واضحا بعد أكثر من أربعة عشر قرنا في المسجد الأموي في دمشق، وقصر الحير الشرقي، وآثار رصافة هشام، ومحراب المسجد الأقصى وقبّته وغيرها"[1].

وقد برزت في العصر الأموي أقلام وأنواع عديدة للخط العربي في مختلف المناطق. ومن أبرز هذه الأقلام القلم الجليل وقلم الطومار. وقد ابتكرهما القطبة المحرّر الذي كان أكتب الناس على الأرض بالعربية في الدولة الأموية. وكان أول شخص أبدع في الخط العربي وطوّره ومهّد الطريق إلى التفنن فيه حتى اتبعه الخلفاء ومن جاء بعده من الخطاطين. كما توجد هناك بعض النصوص التي تدلّ على أن الخلفاء الأمويين قد استخدموا قلم الطومار في كتابة رسائلهم.

وعلى الرغم من ظهور أنواع جديدة للخط العربي الذي اشتهر به بعض الخطاطين والكتّاب، إلا أنه لم يعثر على أي نموذج من هذه الكتابات الخطية المنسوبة إلى الذين اشتهروا بجودة الخط في زمن الدولة الأموية، ومن أبرزهم قُطبة المحرّر ومالك بن دينار الذي كان يكتب المصاحف بخط جيّد، وكان من كبار الزاهدين. ولم تكن له حرفة يعيش بها إلا كتابة المصاحف[2]. كما اشتهر بالخط خالد بن الهيّاج الذي كان يكتب المصاحف والأخبار والشعر للوليد بن عبد الملك، إنه كتب أيضا في قبّة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة الآيات القرآنية من "والشمس وضحاها" إلى آخر القرآن بالذهب[3].

وقد ظهرت في هذا العصر أنواع جديدة من الخط الكوفي في المناطق المفتوحة والأقاليم التابعة للدولة الأموية. فعندما فتحت مصر سنة 22هـ في زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انتقل إليها الخط المدني وانتشر فيها بشكل ملحوظ، كما انتقل الخط الشامي الذي كان سائدا في الشام مع الفاتحين إلى مدينة القيروان التي أنشأها عقبة بن نافع سنة خمسين للهجرة، فاشتهر فيها الخط القيرواني. وانتقل الخط

[1] أحمد شوحان، رحلة الخط العربي من المسند... إلى الحديث، ص: 28
[2] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 68.
[3] نفس المصدر، ص: 82.

إلى شمال إفريقيا عن طريق المدينة أولا، والشام ثانيًا، وليس عن طريق بغداد، وذلك لأن الخط البغدادي والعراقي لم يجدا طريقهما إلى الظهور إلا في منتصف القرن الثاني بعد تأسيس بغداد.[1]

ونقدم فيما يلي بعض النماذج الخطية من العصر الأموي التي تم العثور عليها، والتي يرجع تاريخها إلى القرن الأول والثاني للهجرة. وهذه النماذج تتعلق بالمصاحف والكتابات الحجرية والبرديات.

المصاحف: أول من كتب المصاحف في الصدر الأول من الموصوفين بحسن الخط خالد بن أبي الهياج الذي كان مختصا بكتابة المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك.[2] وهو الذي كتب بالذهب على محراب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة سورة والشمس وضحاها وما بعدها من السور إلى آخر القرآن.

لقد اكتشفت عدة مصاحف في المناطق العربية المختلفة، وهي محفوظة الآن في المتاحف العالمية العديدة. وكتبت هذه المصاحف بخط ضخم، يمكن أن يكون بخط الطومار أو الخط الجليل. كما وجد مصحف يذكر أن حديج بن معاوية بن مسلمة الأنصاري قد كتبه للأمير عقبة بن نافع الفهري سنة تسع وأربعين من الهجرة. نجد في هذا المصحف نقطا وشكلا أحمر، كما جعل حول ورقاته إطار من الذهب عرضه 1.30 سم، وخطه أقرب إلى الخط النسخي المدوّر منه إلى الخط الكوفي، وتبرز في خطه خصائص واضحة تميّزه عن غيره من المصاحف. فحرف الألف يميل إلى اليمين وفي ذيله عطفة إلى اليمين، ولكن في رأسه خط يميل إلى اليسار، وهذا لا نجده في أي نموذج من نماذج القرن الأول على اختلاف أنواعها. أما رؤوس السور فقد كتبت بالخط الكوفي اليابس.[3] (انظر شكل رقم 1)

وبالإضافة إلى ذلك يوجد هناك أيضا مصحف في متحف الآثار الإسلامية الذي يقع في استامبول، وهو مكتوب على الرقّ، وحجمه كبير جدا، كما تتسع كل ورقة له إثني عشر سطرا، وكُتِب بخط ضخم لعله هو الخط الجليل، ويبدأ هذا المصحف من سورة البقرة بالآية رقم 248.

[1] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 82.
[2] حبيب زيات، الوراقة والوراقون في الإسلام، ص: 16
[3] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 83.

وهذا المصحف لا يتصف بالنقط والشكل، بل هو مجرد عنهما، إلا أننا نجد في أواخر الآيات علامات فضلا عن السلاسل المصورة في آخر السور. ويرجع تاريخه إلى آخر القرن الأول من العصر الأموي.[1] (انظر شكل رقم 2)

هذا، وقد حُفظ عدد كبير من أوراق المصاحف المتنوعة في متحف الآثار الإسلامية باستامبول، وقد كتبت بأنواع مختلفة من الخطوط، تظهر فيها صورة البسملة واضحة، فهي مكتوبة في سطر واحد منفصلة عن الآيات الأخرى.

وأما ما يتعلق بالخطوط التي كتبت بها المصاحف في عهد الخلفاء الراشدين والعصر الأموي، فهي: الخط المكي، والخط المدني، والخط البصري، والخط الكوفي، والخط المشق، والخط المائل.[2]

الكتابات الحجرية: تعتبر بلاد الشام أغنى البلدان الإسلامية في العصر الأموي بالنسبة للكتابة على الأحجار، ومع ذلك فإن الكتابة الحجرية المؤرخة من هذا العصر ليست كثيرة، إلا أنها تعطينا فكرة عن أنواع الخطوط المستخدمة آنذاك، وتدلّ على براعة الخطاطين والكتّاب.

وأقدم أنواع الكتابة الحجرية تلك التي تم العثور عليها بالقرب من الطائف في الحجاز وهي مكتوبة على سدّ بناه معاوية سنة 58هـ. وتعتبر أقدم كتابة عربية مؤرخة في الحجاز، وكتبت بالخط اليابس. وأسلوب الخط في هذه الكتابة مدني أو مكي اللذين كانا شائعين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. كما تظهر في هذه الكتابة بعض النقط على بعض الحروف، ولعلها أول كتابة عربية حجرية ظهر فيها النقط حتى الآن. (انظر شكل رقم 3)

ويمكن قراءة النص كما يلي:

1. هذا السد لعبد الله معوية 2. أمير المؤمنين بنيه عبد الله بن صخر 3. بإذن الله لسنة ثمن وخمسين 4.اللهم اغفر لعبد الله معوية 5. مير المؤمنين وثبته وانصره ومتع 6. (ميرا) لمؤمنين به كتب عمرو بن جناب.[3]

[1] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 83.
[2] نفس المصدر، ص: 96.
[3] نفس المصدر، ص: 102.

والكتابة الحجرية الأخرى المكتشفة يرجع تاريخها إلى سنة أربع وستين للهجرة، وقد اكتشفت هذه الكتابة بالقرب من كربلاء في حفنة الأبيض، وهي محفوظة في المتحف العراقي، توجد فيها ثلاثة عشر سطرا. وكتبت بخط قائم، خال من النقط، إلا الثاء والياء في كلمتي كثيرا وكبيرا، فنجد فيهما النقط بشكل واضح، ويظهر فيها أقدم نموذج من الخط الكوفي اليابس.[1] (انظر شكل رقم 4)

وهي تنص كما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم، الله وكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحن الله بكرة واصيلا، وليلا طويلا، اللهم رب جبريل وميكل واسرفيل، اغفر لليث بن زيد الاسعدي ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولمن قال آمين آمين رب العالمين، وكتب هذا الكتب في شوال من سنة اربع وستين".

كتابات البردي: نشأت كتابات البردي في مصر، وتعتبر مصر أغنى منطقة عربية تقدم لنا عددا كبيرا من البرديات. وأقدم كتابة البردي العربية اكتشفت في سنة 22هـ. وتدلّ الكتابة على ورق البردي منذ هذه السنة على أن العرب أتوا معهم بالخط الليّن من الحجاز عندما دخلوا مصر فاتحين. فالخط الذي استعمل للكتابة على ورق البردي هو الخط المدوّر الذي من شأنه أن يكتب به على ورق البردي، لأن الكتابة على البردي بالخط المدوّر أو اللين أسهل من الكتابة به على الحجر.

ويتصف خط البرديات بالليونة والتدوير وعدم الثخانة في الحروف، على خلاف الخط اليابس الذي يتسم بالثخانة، فحروفه ثخينة وغليظة. ومعظم الوثائق التي اكتشفت تتعلق بشؤون الحياة التجارية والمدنية وكتابة الرسائل، مما يدلّ على أن الناس كانوا يستخدمون الخط الليّن في حياتهم اليومية. أما الخط اليابس فكان الخط الرسمي لكتابة المصاحف ومكاتبات الخلفاء وكتابات الأحجار.[2] والوثيقة البردية المكتوبة سنة إحدى وتسعين، حذفت فيها الياء من لفظة علي وإلى، فكتبت عل وإل بدلا من علي وإلى، وذلك للاختصار. (انظر شكل رقم 5)

ضبط الحروف بالشكل والإعجام: مما لا شك فيه أن العرب كانوا يتميزون عن غيرهم من الأمم بفصاحتهم وبلاغتهم، لهم موهبة إلهية وهبها الله تعالى ليكونوا قادرين على النطق الصحيح والسليم من الأخطاء اللغوية. وعلى الرغم من أن الخط العربي واللغة العربية كانت في بداية الأمر خالية من الشكل

[1] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 104.
[2] نفس المصدر، ص: 114.

والإعجام، إلا أن العرب قد تمكّنوا من قراءتها قراءة صحيحة فصيحة، ولم يضطرّوا إلى وضع علامات فوق الحروف العربية المتشابهة لتمييزها عن غيرها مثل الجيم والحاء والخاء والباء والتاء وما شابهها.

ولكن عندما شعّ نور الإسلام وتوسعت حدوده وانتشر في الكثير من البلدان العالمية، بدأ الناس يفدون إلى العرب من جميع أنحاء العالم زرافات ووحدانا وجعلوا يحتكون بهم ويتحدثون بلغتهم. ونتيجةً لهذا الاختلاط، بدأ اللحن يظهر في لغتهم العربية، فخافوا من هذا الأمر وتفكروا في صيانة لغتهم وألسنتهم من الخطأ واللحن. فهداهم التفكير إلى إنشاء وسيلة تنقذهم من هذا الخطر الهائل الوافد من خارج العرب. فوضعوا أساسا لما يعرف بالشكل والإعجام، واستحسنوا وضعهما حتى شاع استخدامهما في معظم الكتب العربية وخاصة في كتابة القرآن والأحاديث النبوية، وذلك خوفا من الخطأ واللحن.

ويعتبر الشكل والإعجام من أهم مظاهر التحسين التي دخلت على الخط العربي والكتابة العربية في العصر الأموي. والمراد بالشكل ضبط الكلمات بالحركات لتؤدي المعنى المقصود منها، وفقا للغة العرب الصحيحة[1]. والحركات تعني حركات الإعراب من ضم وفتح وكسر وسكون. أما الإعجام فهو وضع النقط فوق الحروف للتمييز بين الحروف المتشابهة في الصورة، كالباء والتاء والجيم والحاء والخاء والعين والغين. والهدف من ذلك إزالة الإبهام عن الحروف المتشابهة، والحرف المعجم عكسه الحرف المهمل[2].

وكما يعبّر عن هذه الفكرة حفني بك ناصف:

> "لم يكن الخط الذي وصل إلى العرب مضبوطا بالحركات والسكنات كما هو اليوم، بل كان خلوًا مما يدلّ على أشكال الحروف المكتوبة. ولكن لما انتشر الإسلام واختلط العرب بالعجم ظهر اللحن في الكلام وعرا اللسان العربي بعض العجمة وخشي العرب أن تفسد ألسنة أولادهم وذراريهم وتضعف لغتهم ويتطرق الخطأ إلى القرآن وهو حفاظ الدين وأساس الإسلام، فأخذوا يفكرون في تدارك هذا اللسان قبل أن يستفحل الفساد، وحدثت عدة حوادث استفزتهم إلى النهوض إلى صيانة القرآن ولغته"[3].

[1] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 75.
[2] يوسف ذنّون، "قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة"، مجلة المورد، مج15، العدد 4، 1986م، ص: 11.
[3] حفني ناصف، حياة اللغة العربية، ص: 83.

وتدل النصوص على أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من اخترع حركات الإعراب. وقد قام بهذه المهمة الجليلة عندما سمع رجلا يقرأ القرآن ويلحن فيه، فكان ذلك إصلاحًا للحن وتوضيحا لحروف المصحف حتى لا يقع قارئها في الخطأ.[1] ففي سنة 567م طلب حاكم البصرة من أبي الأسود الدؤلي ابتكار طريقة يحافظ بها على النطق الصحيح للكلمات، ويحمي الناس بها من الخطأ. وكان أبو الأسود المتوفى سنة 69هـ فصيحا ولغويا وعالما، هداه التفكير إلى طريقة وضع الشكل فوق الحروف، وكان يختلف لون الشكل عن لون المداد ليكون واضحا تمامًا. فوضعت نقطة فوق الحرف لتدلّ على فتحه، ووضعت نقطة تحت الحرف لتدلّ على كسره، ووضعت نقطة عن شمال الحرف لتدلّ على ضمّه، والحرف الساكن لم يوضع عليه شيء. وإذا كان الحرف منوّنا وضعت نقطتان فوقه أو أسفله أو عن شماله، لتدلّ واحدة على الحركة والأخرى على التنوين.[2]

وقد أخذ الناس هذه الطريقة عنه واستخدموها حوالي مائة عام، حتى ظهر العالم العربي الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي وضع علم العروض، فأدخل تحسينات على طريقة أبي الأسود الدؤلي، واخترع العلامات التي تطورت حتى أصبحت على الصورة التي نستخدمها الآن في كتاباتنا العربية. وقد بلغ عدد العلامات التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي ثماني علامات وهي: الفتحة والضمة والكسرة والسكون والشدّة والمدّة وعلامة الوصل والهمزة.[3]

أما ما يتعلق بالإعجام، فالمشهور أن الإعجام قد ابتكر في زمن عبد الملك بن مروان. وتوجد هناك بعض الكتابات العربية التي تدلّ على أن النقط كان موجودا قبل الإسلام، إلا أنه لم يكن أمرًا شائعًا، ولم يكن مستعملا في الكتابة الرسمية أو اليومية.

يقول إياد خالد الطبّاع:

> "وتؤكد بعض الوثائق الموجودة أن الحروف المنقوطة كانت موجودة في النصف الأول من القرن الهجري الأول قبل نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بزمن طويل، فنرى على إحدى البرديات المؤرخة في عام 22هـ وجود نقط على الأحرف خ ذ ز ش ن، في بداية الكلمة ووسطها...الخ

[1] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 125.
[2] حفني ناصف، حياة اللغة العربية، ص: 85.
[3] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 82.

غير أنه يجب الإشارة إلى أن هذه الحروف لم تكن توضع عليها النقاط دائما، بل كانت في مواضع يُرَى من اللازم وضعها عليها، حتى لقد استخدم النقط والشكل في البداية عند كتابة الوحي، وإن كان محدودا، ثم قام الصحابة فجرّدوا المصحف عنه، ولما خيف على المصحف الشريف من اللحن والتصحيف شكّلوه أولا ثم وضعوا النقط على الحروف"[1].

وقد ظهر الإعجام في الكتابة العربية وخاصة في المصاحف بشكل بارز عندما كثر التصحيف في القراءة خصوصا في العراق لكثرة الأعاجم فيه، ففزع الحجاج إلى كتّابه في زمن عبد الملك، وسألهم أن يضعوا علامات تميّز الحروف المتشابهة عن غيرها. فقام يحيى بن يعمر العدواني ونصر بن عاصم الليثي تلميذا أبي الأسود الدؤلي بطلب من الحجاج بن يوسف الثقفي بوضع النقط فوق الحروف[2]. فأدخل كل منهما الإصلاح في الخط العربي ووضعا النقط أفرادًا وأزواجًا فوق أو تحت الحروف لتصبح متميزة عن الأخرى. فللتمييز بين حرفي السين والشين، أهمل الحرف الأول أي السين وأعجِم الحرف الثاني أي الشين بثلاث نقاط علوية، وكذلك في الباء والتاء والثاء والصاد والضاد وهكذا. ويعتبر الباء والنون والياء والتاء من أوائل الحروف التي تميزت بالنقط، كما تميزت به جميع الحروف المتشابهة في وقت لاحق.

وعلي هذا، فإن ضبط الحروف بالنقط يضمن قراءة صحيحة لآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية وغيرها من النصوص العربية العادية والرسمية، ويحافظ على سلامة اللغة العربية من الخطأ واللحن، كما يلعب دورا بارزا في إيضاح المعنى المقصود وإبراز حسن الخط العربي وجماله.

الخط العربي في بداية العصر العباسي: يبتدأ العصر العباسي بقيام الدولة العباسية على يد أبي العباس السفاح سنة 132هـ. ويعتبر هذا العصر عصرا ذهبيا بالنسبة للعلوم والمعارف التي تطورت بشكل ملحوظ. ففي هذا العصر نفقت سوق العلم والمعرفة وراجت الفنون الأدبية ونمت حركة الترجمة وانتشرت العلوم الشرعية الإسلامية مثل القرآن والحديث وكثرت العلوم اللسانية المتفرعة من العلوم الشرعية مثل النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة وما شابهها. والدولة العباسية تختلف عن الدولة الأموية اختلافا حاسما، أثمرت فيها الفنون الإسلامية ونقلت فيها العلوم الأجنبية وخاصة اليونانية إلى العربية. كما كثر

[1] إياد خالد الطبّاع، المخطوط العربي، ص: 48-47.
[2] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 84.

اللحن في الكلام العربي في هذا العصر، واتسمت دائرة اللغة العربية عن طريق النقل والترجمة. فأصبحت الدولة العباسية صاحبة السيادة في العالم، وكانت بغداد عاصمة لهم. ومن أبرز العوامل التي أدت إلى ازدهار العلوم والفنون إطلاق الحرية في الفكر والدين وتشجيع الخلفاء والأمراء والوزراء على نشر المعارف والعلوم عن طريق التأليف والترجمة.

لقد حظي الخط العربي في هذا العصر مكانة مرموقة لدى الخلفاء والأمراء والكتّاب والخطاطين، وكان حظّه من التطور والإزدهار كحظّ بقية العلوم والفنون منهما. وكيف يتخلف الخط العربي عن بقية المعارف والفنون في هذا المجال، إذ اعتنى به الوزراء واهتم به الأمراء وركّز عليه الخطاطون عنايتهم الخاصة. فقد تطور في هذا العصر تطورا ملموسا وبلغ مرحلة متقدمة من النضج والكمال. وأساس تطور الخط العربي الذي وضعه الخلفاء الأمويون والخطاطون البارعون والكتاب المهرة في العصر الأموي كان بمثابة سلسلة من سلاسل الازدهار والرقي التي قادت به إلى أعلى قمته. كما لم يقتصر تطور الخط العربي في هذا العصر على الخطاطين فحسب وإنما اعتنى به الخلفاء غاية الاعتناء حتى اشتهر بعض منهم بجودة الخط كما اتخذ بعضهم كاتبا لنفسه لكتابة الدواوين والشؤون الدولية.

وبعد أن انتقل حكم الدولة الأموية إلى أيدي العباسيين وأسّست بغداد على يد أبي جعفر المنصور، انتقلت عاصمة الدولة العباسية إلى بغداد فجعلوها مركزا للحضارة العربية والثقافات المتنوعة والمعارف المختلفة. وهكذا، كثر الاهتمام بالعلم والترجمة ونقل العلوم والمعارف، إلا أنهم لم ينسوا الاهتمام بالخط العربي، بل واصلوا العناية به واستمروا في تحسين أوضاع الخطوط المختلفة أكثر فأكثر. فحينما رحل الأدباء والعلماء من دمشق إلى بغداد، رحل إليها الخطاطون المبدعون أيضًا معهم، وازدهر هناك خطهم كما ازدهرت العلوم والآداب، وابتكر الخطاطون أشكالا جديدة وطرزا مختلفة حتى وصل عدد الخطوط إلى أكثر من ثمانين خطًا في أواخر العصر العباسي. ومعظم هذه الخطوط كانت متفرعة من تلك التي وجدت في العصر الأموي عن طريق تحسينها وتنميقها وابتكار طرق جديدة لكتابتها.

لقد تبوأ الخط العربي في هذا العصر منزلة رفيعة ومكانة متميزة، تطور وازدهر مع تطور الأمة وتقدمها، فأصبح كأنه فن جميل رائع تشكّل بشكل الزخرفة الإسلامية حتى نجد آثارها ملموسة في المباني الأثرية وواجهات المساجد. كما تفرّغ الكتّاب والخطاطون والفنانون لهذا الفن الجميل، وأبدعوا فيه طرقا جديدة وأنواعا كثيرة للكتابة، واستخدموه لأغراض مختلفة مثل تزيين المصاحف والمساجد والقصور والقطع الفنية

بالعبارات الجميلة الرشيقة بالخط العربي الساحر، واعتبروه تراثا عربيا إسلاميا وفنا جميلا من الفنون الإسلامية الرائعة التي أهدتها الحضارة الإسلامية للعالم.

وقد سبق أن رأينا أن الخط العربي قد تعددت أنواعه في العصر الأموي وكثر استخدام هذه الأنواع في كتابة المصاحف والعهود والمواثيق وما إلى ذلك من الأغراض التجارية حسب طبيعة كل نوع منها، إلا أن الخط العربي في بداية العصر العباسي قد بلغ غاية الإتقان والجودة وأصبح آية في الجمال والروعة. وعندما انتقلت رئاسة الخط العربي من قطبة المحرّر في العصر الأموي إلى الضحاك بن عجلان واسحاق بن حماد في بداية العصر العباسي، تعددت أنواع الخطوط وتنوعت أقلامها حتى بلغت إثني عشر قلما.

وكما عبّر عن هذه الفكرة عبد الفتّاح عبادة:

> "وفي أواخر أيام بني أمية تفرع الخط الكوفي وكانت تكتب به المصاحف منذ أيام الراشدين إلى أربعة أقلام اشتقها بعضها من بعض كاتبٌ اسمه قطبة المحرّر وكان أكتب أهل زمانه، ثم اشتهر بعده في أوائل الدولة العباسية رجلان من أهل الشام انتهت إليها الرئاسة في جودة الخط وهما: الضحاك بن عجلان، كان في خلافة أبي العباس السفاح فزاد على قطبة، واسحاق بن حماد وكان في خلافة المنصور والمهدي، فزاد بعد الضحاك وزاد غيره حتى بلغ عدد الأقلام العربية إلى أوائل الدولة العباسية اثني عشر قلما كان لكل قلم عمل خاص"[1].

ولا غرابة في ذلك، فإن الخط العربي قد تطور في بداية العصر العباسي على يد الضحاك بن عجلان الذي ورث هذا الفن العربي الجميل عن قطبة المحرّر، وعلى يد اسحاق بن حماد الذي أخذ الكتابة عن الضحاك بن عجلان. وقد قام كل من هذين الخطاطين البارعين بتطوير الحروف العربية وابتكار الأنواع والأقلام الجديدة، حتى واصلت هذه الطريقة في التحسين والتنميق وتطورت الخطوط العربية من جيد إلى أجود ومن حسن إلى أحسن.

وأما الأقلام الجديدة التي ابتكرت في بداية العصر العباسي فهي اثني عشر قلما وهي كما يلي:

[1] عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم العربي، ص: 13.

1. القلم الجليل 2. وقلم السجلات 3. وقلم الديباج 4. وقلم الطومار الكبير 5. وقلم الثلثين 6. وقلم الزنبور 7. وقلم المفتح 8. وقلم الحرم 9. وقلم المؤامرات 10. وقلم العهود 11. وقلم القصص 12. وقلم الخرفاج.[1]

لقد استخدم كل من هذه الأقلام العربية لأغراض شتى حسب طبيعة القلم والمواد التي استخدمت للكتابة عليها، مثل المحاريب والمساجد والقصور والجدران والقطع الفنية والألواح الخشبية والأوراق والنقود درهمًا ودينارًا والمسكوكات والأواني وما إلى ذلك.

ونظرا لأهمية هذه الأقلام العربية التي شاع استخدامها في بداية العصر العباسي يحسن بنا أن نقدم فيما يلي تفسيرا موجزا عن هذه الأقلام ومواضع استخدامها:

1. **القلم الجليل**: سمّي به لأنه أكبر الأقلام وأوضحها[2]، وقد ظهر هذا القلم في نهاية دولة بني أمية وبداية الدولة العباسية، ويكتب به في المحاريب وعلى أبواب المساجد وجدران القصور الفخمة ونحوها وهو ما يسميه العامة بالخط الجلي. وكانوا يتخذونه من لب الجريد الأخضر والقصب الفارسي. أما أهل مصر فقد اتخذوه من البوص الأبيض الغليظ. وهذا القلم يتميز بثلاثة شقوق ليجري المداد فيه بسهولة حتى لا يتعسر على الكتّاب الكتابة، وهو أوسع الأقلام مساحة في العرض، وواحد من الأقلام الصعبة التي لا يجيدها إلا الخطاطون الماهرون بعد الممارسة الطويلة.[3]
2. **قلم السجلات**: يسمّى هذا القلم بمختصر الطومار أيضا، وتفرّع من قلم الطومار. وكان هذا النوع من القلم خاصا بكتابة اعتماد الوزراء والنواب على المراسم ولكتابة السجلات المصونة.[4]
3. **قلم الديباج**: تولّد هذا القلم من قلم الطومار، ويكتب به في الطومار.[5] ويتميّز قلم الطومار بأنه لا يستخدم هذا النوع من الكتابة إلا على ورق خاص به. يقول أحمد بن علي القلقشندي: "ولا يكتب في الطومار إلا بقلم الطومار"[6].

[1] عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم العربي، ص: 14.
[2] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 94.
[3] حفني ناصف، حياة اللغة العربية، ص: 125-124.
[4] حفني ناصف، حياة اللغة العربية، ص: 127.
[5] ابن النديم، الفهرست، ص: 11.
[6] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص: 49.

4. **قلم الطومار الكبير**: سمّي به لأن الطومار اسم للورقة الكبيرة التي عرضها ذراع واحدٌ ولم يقطع منه شيء أو هو الكامل من قطع الورق، ولا يكتب على ورق الطومار إلا بقلم الطومار. وقد عرّف ابن مقلة قلم الطومار الكوفي أنه "قلم مبسوط ليس فيه شيء مستدير"[1]. وهذا يعني أن حروفه كلها متصفة بالخط القائم والأفقي. فالطومار هو خط مبسوط كله وليس فيه شيء مستدير وهو أصل الكوفي، وبه كتبت مصاحف المدينة الأولى.[2] ويقدّر قياس عرض قلم الطومار 24 شعرة من شعر البِرذَون (شعر البرذون مَقاس لعرض الأقلام). واستعمل هذا القلم في توقيع الخلفاء على التقاليد والمكاتبات والكتابة إلى الخلفاء والسلاطين والعظماء. وقد تفرّع من هذا القلم عدة أقلام، مثل الطومار البغدادي، والطومار الحموي، والطومار الشامي المعتاد، والطومار المصري، والطومار المغربي.[3]
5. **قلم الثلثين**: يقدّر عرض قطة هذا القلم 16 شعرة من شعر البرذون، وسمّي به لأنه ثلثا قلم الطومار. واستخدم هذا القلم للكتابة عن الخلفاء إلى العمّال والأمراء في الأقطار والآفاق المختلفة.
6. **قلم الزنبور**: تولّد هذا القلم من قلم ثقيل الثلثين، ويكتب به في الأنصاف.[4]
7. **قلم المَفتَح**: تولّد هذا القلم أيضا من قلم ثقيل الثلثين. وهو خط كتب به خلفاء بني أمية.
8. **قلم الحرم**: تولّد هذا أيضا من قلم ثقيل الثلثين، وكان يكتب به إلى الأميرات من بيت الملك.
9. **قلم المؤامرات**: هو خط المشاورات[5]، وهو مشتق من قلم الثلثين، واستخدم لاستشارة الأمراء ومناقشتهم وفي الأنصاف بين الملوك.
10. **قلم العهود**: تفرّع من قلم الحرم، وكان خاصا بكتابة العهود والمواثيق والوصايا والمبيعات. ويكتب به في ثلثي طومار، ولا يخرج منه أي قلم.[6]
11. **قلم القصص**: استخرج هذا القلم من قلم الحرم، يكتب به في النصف، ولا يخرج منه أي قلم.[7] قلم.[7]

[1] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص: 48.
[2] عفيف البهنسي، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ص: 96.
[3] حفني ناصف، حياة اللغة العربية، ص: 125-124. ومحمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 98.
[4] ابن النديم، الفهرست، ص: 11.
[5] عفيف البهنسي، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ص: 137.
[6] ابن النديم، الفهرست، ص: 11.
[7] نفس المصدر، ص: 11.

12. **قلم الخرفاج**: تولّد هذا من قلم الديباج، والخرفاج في الأصل رغد العيش.[1] وهو الخط الموسع المبسوط.[2]

ليس لكل قلم من هذه الأقلام الفرعية المذكورة أعلاه قاعدة كلية في جميع حروفها وتراكيبها، وإنما إذا أدخل أحدهم في الأقلام الأصلية نوع تعديل أو اخترع فيه شيئا ولو في بعض الحروف دون بعض فإنه يطلق عليه اسما مخصوصا مع أن القاعدة لم تتغير.[3]

وقد تولدت هذه الأقلام كلها من الأقلام الأصلية وهي قلم الطومار وقلم الثلثين وقلم النصف وقلم الثلث. ويقدّر عرض قطة قلم الطومار 24 شعرة، وعرض قطة قلم الثلثين 16 شعرة، لأنه ثلثا قلم الطومار، وعرض قطة قلم النصف 12 شعرة، لأنه نصف قلم الطومار، وعرض قطة قلم الثلث 8 شعرات، لأنه ثلث قلم الطومار.[4] ومخرج هذه الأقلام الأربعة من القلم الجليل وهو أبو الأقلام[5].

لقد شهد الخط العربي في بغداد خلال العصر العباسي تقدما ملحوظا من الناحية الفنية، فقد برع في هذا العصر العديد من الخطاطين والكتّاب الذين وضعوا القواعد والأصول للكتابة وأسسوا المبادئ لبري الأقلام وصنع الدواة والحبر حتى ذاع صيتهم في البلدان الأجنبية أيضا وتبعهم من جاء بعدهم من الكتاب والخطاطين في الكتابة. وكما يعتبر العصر العباسي عصر النهضة العلمية والأدبية، فكان من الضروري أن يمرّ الخط العربي بهذه المرحلة النهضوية. فاتسعت آفاقه بما ابتكره الفنانون المبدعون والخطاطون الماهرون من الخطوط العربية، وخرج الخط العربي من الكتابة التقليدية إلى الكتابة الفنية وإلى أغراض جمالية أخرى مثل التزيين والزخرفة والنقش. كما لعب الخط العربي دورا رئيسيا في تطوير الفن العربي الإسلامي، وذلك من خلال نقش وتزيين القصور الفخمة والتحف العربية والإسلامية بالحروف العربية التي تتميز عن غيرها من الحروف بالحيوية والمرونة.

وهكذا نرى أن رؤوس الحروف العربية وسيقانها وأقواسها ومداتها وخطوطها الرأسية والأفقية تناسب تماما للزخارف النباتية والفنون الجميلة. وقد تم العثور على العديد من هذه الكتابات الزخرفية التي استعملت في الآيات القرآنية والآثار التاريخية الباقية على جدران المساجد وشواهد القبور والأضرحة والمنازل، وعلى

[1] حفني ناصف، حياة اللغة العربية، ص: 126.
[2] عفيف البهنسي، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ص: 45.
[3] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 131.
[4] حفني ناصف، حياة اللغة العربية، ص: 125.
[5] ابن النديم، الفهرست، ص: 12.

المنسوجات والتحف الأثرية، مثل الخشب والمعادن والزجاج والخزف والمخطوطات. وهي كلها تتحدث عن تاريخ الخط العربي والخطاطين والكتّاب والمزخرفين كما تكشف عن النقاب عن الكثير من الخبايا والأسرار التي اكتنفت التاريخ الإسلامي المجيد.

وكما اشتهر في بداية العصر العباسي الضحاك بن عجلان واسحاق بن حماد بجودة الخط وإتقانه، فقد ظهرت فيها كوكبة من الكتّاب والخطاطين الذين تركوا وراءهم أعمالا جليلة، ولا تزال آثارهم باقية على جدران المساجد والمآذن والمصاحف. ثم انتقلت رئاسة الخط العربي منهم إلى الوزير محمد بن علي بن مقلة وعلي بن هلال الشهير بابن البواب وياقوت بن عبد الله المستعصمي في أواخر الدولة العباسية. فهؤلاء كلهم قد برعوا في الخط العربي وجوّدوه وحسّنوه وجعلوا العصر العباسي عصر ازدهار ورقي بالنسبة للإبداع العربي في مجال الخط والكتابة، وعنهم انتشر الخط العربي في مشارق الأرض ومغاربها وضرب بهم المثل في حُسن الخط.

وهكذا نرى أن الخط العربي قد قفز قفزة كبيرة في هذا العصر وبلغ أوج ازدهاره حتى اعتنى به الأتراك والأندلسيون والمغاربة والفرس بعد سقوط الدولة العباسية كما أسهمت في إشاعته وترويجه معظم الشعوب الإسلامية، وأضافوا فيه تحسينات عديدة وطوّروا الحروف العربية حتى بلغت مكانة عالية من التجويد فوظّفوها في أشكال هندسية لتكوين اللوحات الخطية الزاهرة.

(شكل رقم 1)[1]

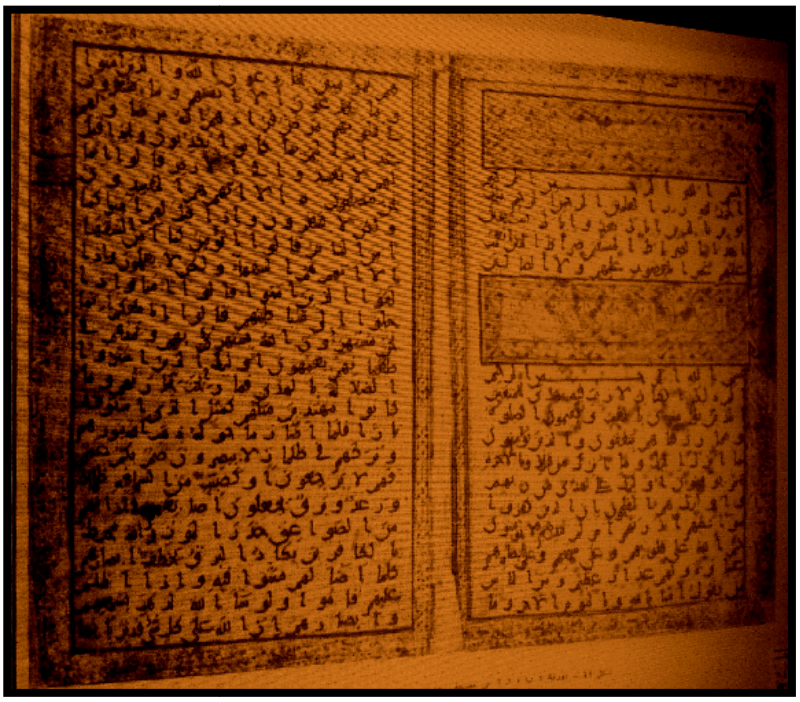

(ورقة من مصحف منسوب إلى خديج بن معاوية، تشمل سورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة).

[1] المصدر: صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 85.

(شكل رقم 2) المصدر: سهيل، (2011)، "مجموعة دافيد"[1]

(أواخر سورة البلد وسورة الشمس على مخطوطة أموية)

(شكل رقم 3) المصدر: محمد حسن، (2009)، "سد معاوية"[2]

(كتابة سدّ معاوية المؤرخة سنة 58هـ)

[1] http://www.mazameer.com/vb/showthread.php?t=134344&page=3

[2] http://qaytbay.blogspot.in/2009/02/blog-post_23.html

(شكل رقم 4)[1]

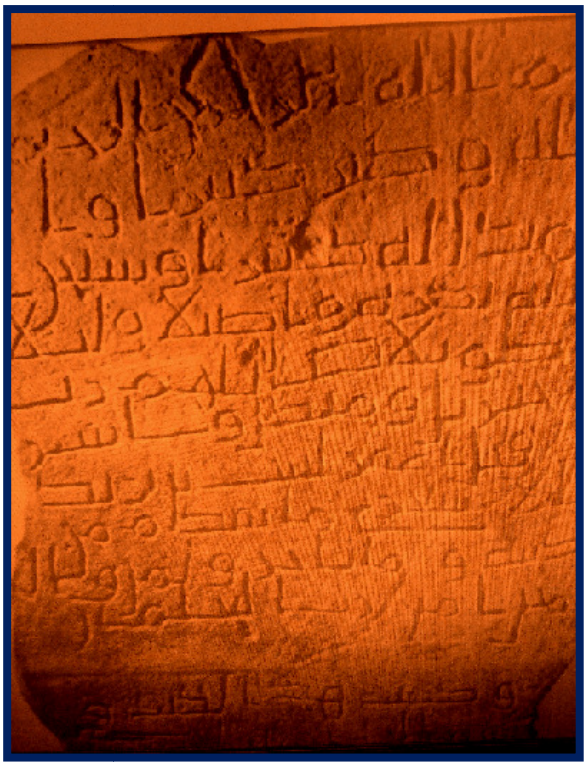

(حجر محفور بالخط الكوفي، مؤرخ سنة 64هـ، وقد عثر عليه في حفنة الأبيض قرب كربلاء)

[1] المصدر: صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 105.

(شكل رقم 5)[1]

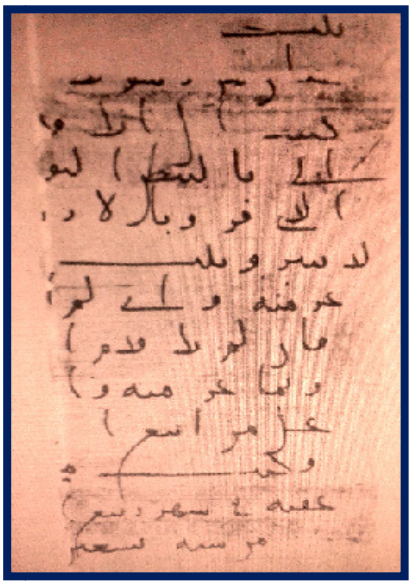

(بردية من القرن الأول الهجري، مؤرخة سنة 90هـ، حذفت فيها الياء من لفظة علي وإلى، فكتبت عل وإل بدلا من علي وإلى)

[1] المصدر: صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 117.

الفصل الرابع

اللوحات والمصاحف الخطية

يعدّ تاريخ الخط العربي من أبرز وأخصب تواريخ الفنون التشكيلية والفنون الجميلة، فقد مرّ بعدة مراحل زمنية، وأنتج عددا لا بأس به من الخطاطين البارزين والفنانين البارعين الذي تركوا وراءهم الكثير من الأعمال الفنية وأثروا المكتبات والمتاحف في جميع أنحاء المعمورة. فالمكتبات والمتاحف الإسلامية وغير الإسلامية على مستوى الإقليم والدولة والعالم حافلة بآلاف من المخطوطات العلمية واللوحات الخطية والمصاحف الشريفة التي كتبتها أيادي الخطاطين والفنانين المسلمين. ومن تلك الخزائن التي زخرت بآلاف من القطع الفنية والتحف المعدنية خزانة متحف طوب قبو والمتحف البريطاني ومكتبة بروكلمن ومكتبة الكونغرس ومكتبة جستربيتي ومتحف فلادلفيا ومتحف سالارجنك بالهند والمتحف الآهلي بطهران ومتحف متروبوليتان ومتحف الفن الإسلامي في القاهرة وما إلى ذلك من المتاحف والمكتبات الأخرى. وهذه كلها تشهد بعظمة ما تضمه من لوحات خطية ومخطوطات عربية.

ولا شك في أن العرب لم يسهموا فقط في إنتاج الأعمال الفنية وكتابة المصاحف الخطية، بل شارك فيها أيضا معهم العديد من الكتبة والخطاطين من خارج العرب. فعندما انتشر الإسلام وتجاوز حدود العرب، انتشر معه الخط العربي وساد في المناطق التي فتحها المسلمون، فانكبّ الناس على تعلّمه لما يحتاجونه في استخدام الأغراض الدينية وأقبلوا على القيام بممارسة الكتابة وصرفوا وقتا طويلا في التدرب والتعلم حتى تفننوا فيه وأخرجوا أنواعا متنوعة من الخطوط العربية. كما أبدعوا في الكتابة العربية التي تعدّ إرثا حضاريا ومعجزة بيانية، ورسموا المصاحف الخطية وكتبوا اللوحات الفنية المتواجدة في أنحاء العالم كله.

وكما تمسك به المسلمون على المستوى الوطني والعالمي وتصدوا لأغراضه ومهامه الفنية، وتركوا في هذا المجال آثارا رائعةً خالدةً على واجهات المساجد والمحاريب والقباب والتحف المعدنية والمسكوكات والدراهم والدنانير والأقمشة والسجاجيد وعلى أوراق البردي والرقوق والقراطيس وما إلى ذلك من المواد الأخرى، فقد تأثر بجماله ورونقه الروّاد من المستشرقين، واعترفوا بتأثيره في الفنون الأخرى، وخاصة في الهندسة المعمارية الأوربية، كما نقلوا أثمن النفائس التاريخية المكتوبة على الأحجار والمعادن، وامتلكوا عشرات

الآلاف من المخطوطات العلمية الفريدة، فملأوا منها خزانات المكتبات في المتاحف الأوربية حتى جازتها إلى أمريكا.

وهنا نقدّم صور بعض المصاحف واللوحات الخطية التي أخرجها الفنانون المسلمون على مدى العصور في كافة أرجاء المعمورة.

المصاحف الخطية

(شكل رقم 1) المصدر: موراني، (2005)، "لا إله إلا هو..."[1]

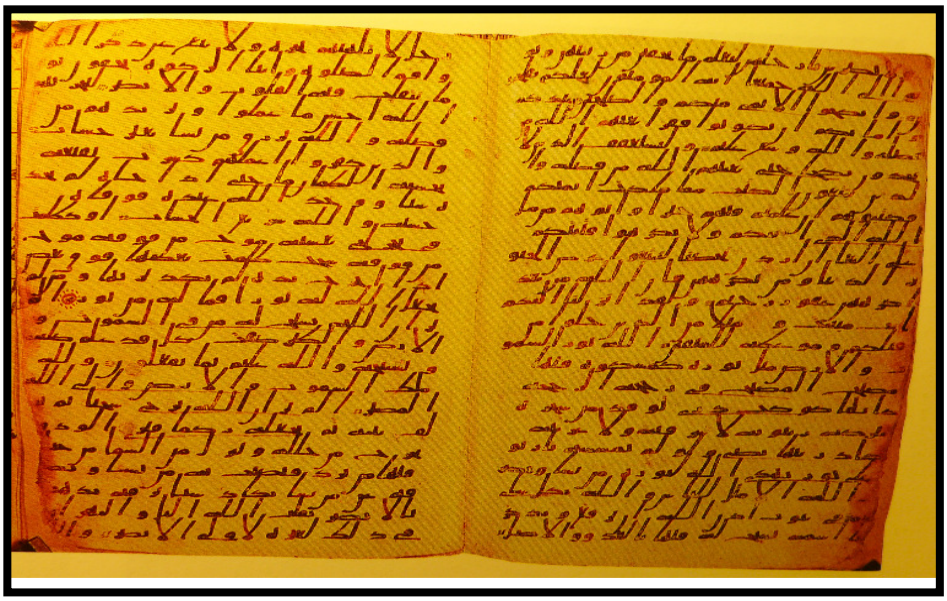

(صفحتان من مصحف محفوظ في مكتبة لندن بالخط الحجازي المائل غير المشكول أو المنقوط، وهي تنص آيات من 31 إلى 44 من سورة النور. ويرجع تاريخ هذا المصحف إلى القرن الأول الهجري)

[1] http://vb.tafsir.net/tafsir3628/#.VWicatKqqko

(شكل رقم 2) المصدر: أبو زيد 110، (2013)، "المصحف الشريف..."[1]

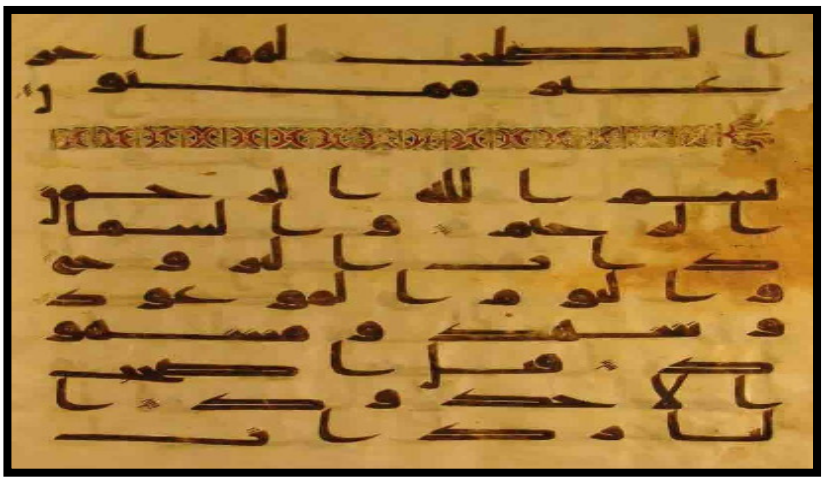

(صفحة من مصحف منسوب إلى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه. كتب بخط كوفي مبسوط غير منقوط ولا مشكول. وقد زين بشريط زخرفي فاصل بين السورتين. وهي تنص: "الصلحت لهم أجر غير ممنون. بسم الله الرحمن الرحيم. والسماء ذات البروج. واليوم الموعود. وشاهد ومشهود. قتل أصحب الأخدود. النار ذات". آخر آية من سورة الانشقاق وأوائل سورة البروج من الآية رقم 1 إلى 5)

(شكل رقم 3) المصدر: خالد محمد خالد، (2013)، "كتابة كلام الله"[2]

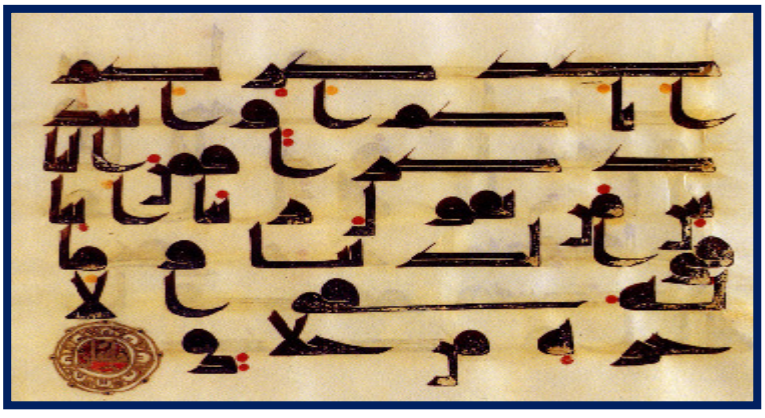

(مصحف من القرن الثالث الهجري وهو مكتوب بالخط الكوفي المشكول على طريقة أبي الأسود الدؤلي، وقد ظهر الشكل بنقط حمراء يختلف لونها عن لون خط الكتابة. ونصه: "كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكرا. فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق". سورة البقرة، الآية رقم: 200).

[1] http://www.ibtesamh.com/showthread-t_349518-12.html

[2] https://arabictype.wordpress.com/2013/06/06/andthenbeirut /

(شكل رقم 4)[1]

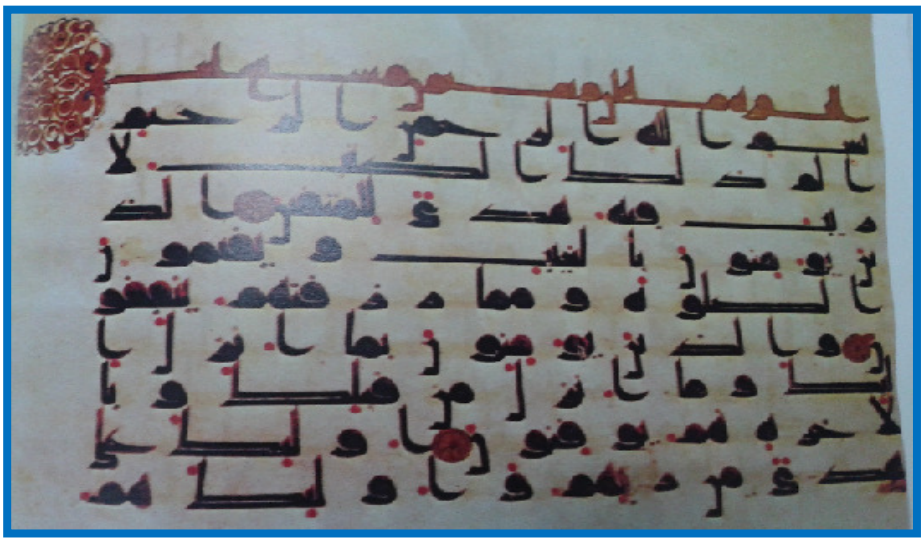

(صفحة من مصحف محفوظ في المكتبة الوطنية بتونس من القرن الرابع الهجري. وهي تنص بدايات سورة البقرة من الآية رقم 1 إلى 5. وهي مكتوبة بالخط الكوفي المشكول على طريقة أبي الأسود الدؤلي)

[1] المصدر: كامل البابا، روح الخط العربي، ص: 48.

(شكل رقم 5) المصدر: ويكيبيديا، (2010)، "خط قيرواني"[1]

(صفحة من المصحف الشريف المعروف بمصحف الحاضنة، وهو مكتوب بالخط الكوفي القيرواني، ويعود تاريخه لأوائل القرن الخامس الهجري. ونصه:
"بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أنزل على عبده")

[1] http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D8%B7_%D9%82%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%86%D9%8A

(شكل رقم 6) المصدر: طالبة الجنة، (2008)، "صور نادرة..."[1]

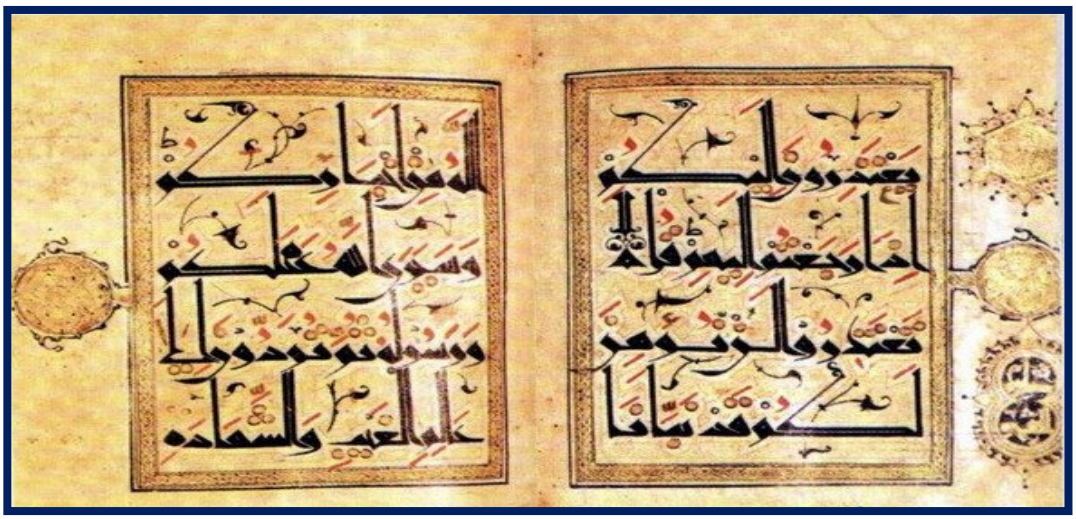

(صفحتان من مصحف بالكوفي المزهر كتبه أبو بكر أحمد الغزنوي 573هـ، وهو محفوظ في متحف طوب قبو باستامبول. وهذا نصه: "يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة". سورة التوبة، الآية رقم: 94)

(شكل رقم 7) المصدر: عبد الرحمن بن معاضة، (2010)، "تدريس رسم المصحف..."[2]

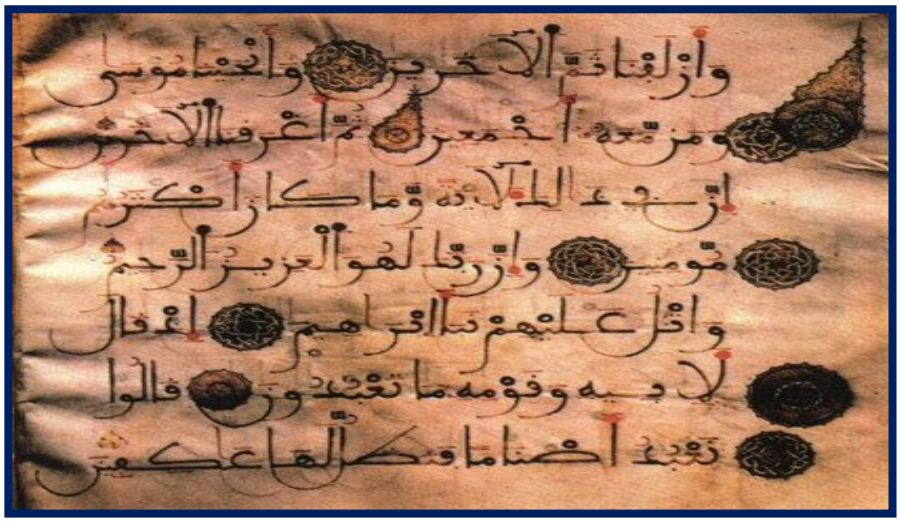

(صفحة من مصحف مكتوب على الرق بالخط الأندلسي، يرجع تاريخه إلى القرن الحادي عشر، وهو محفوظ في المتحف الإسلامي باستامبول. وهي تنص الآيات من 64 إلى 71 من سورة الشعراء)

[1] http://www.mktaba.org/vb/showthread.php?t=8637

[2] http://www.alukah.net/library/0/27006/

(شكل رقم 8) المصدر: خالد محمد خالد، (2012)، "متحف ديفيد..."[1]

(توجد على صفحة المصحف أربعة أنواع من الخطوط حيث نرى أن الأشكال المذهبة تزيّنها الكتابات بالخط الكوفي في حين أن السطور السوداء في أعلى وأسفل الصفحتين قد كتبت بالخط المحقق بحواشي مذهبة، أما السطر المذهب في وسط الصفحة فقد كتب بخط الثلث، والنص الصغير كتب بخط النسخ)

[1] https://arabictype.wordpress.com/2012/04/09/plundered-islamic-heritage/

(شكل رقم 9)[1]

(ورقة من المصحف مكتوبة بخط النسخ، أما العبارات الجلية في أول السطر ووسطه وآخره فهي مكتوبة بخط الثلث. وقياسها 13.25بوصة x 8.5 بوصة).

[1] Diringer, David. (1968). The Alphabet: A Key to the History of Mankind. (3rd ed. Vol. 2). London: Hutchinson. p. 209.

(شكل رقم 10)[1]

(صفحتان من مصحف مزخرف كتبه ابن البواب بخط النسخ وهو محفوظ في مكتبة جستر بيتي، يرجع تاريخه إلى أواخر القرن الرابع الهجري. وهي تنص سورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة)

[1] George, Alain. (2010). The Rise of Islamic Calligraphy. P.128.

(شكل رقم 11) المصدر: جون، (2010)، "مصحف من إيران"[1]

(صفحة من مصحف في مقاطعة جلستان في شمال إيران، تظهر فيها أوائل سورة العلق، وهو مكتوب بخط الثث. وفي الصفحة المتاحة تحريف بالنقص في الآية "إن ربك الرجعى" بدلا من "إن إلى ربك الرجعى")

[1] http://www.kalemasawaa.com/vb/showthread.php?t=10683&page=2

اللوحات الخطية

(شكل رقم 12)[1]

(بسملة من خط حامد الآمدي بشكل طغراء)

[1] المصدر: كامل البابا، روح الخط العربي، ص: 136

(شكل رقم 13) المصدر: ياسين محمد، (2010)، "بسملة..."[1]

(بسملة بشكل إجّاصة (كمّثرى)، واللوحة تنص "قال الله تعالى إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم" وهي مكتوبة بخط الثلث).

(شكل رقم 14) المصدر: حميد درويش عطية، (2011)، "لوحات..."[2]

(صورة إبريق مكوّن من عبارة "يا فتاح يا كريم"، كتبت مرّتين بشكل أنيق متناظر)

[1] http://www.mnaabr.com/vb/archive/index.php/t-545.html
[2] http://www.mnaabr.com/vb/archive/index.php/t-5891.html

(شكل رقم 15) المصدر: أبو جنة، (2010)، "خط كوفي هندسي"[1]

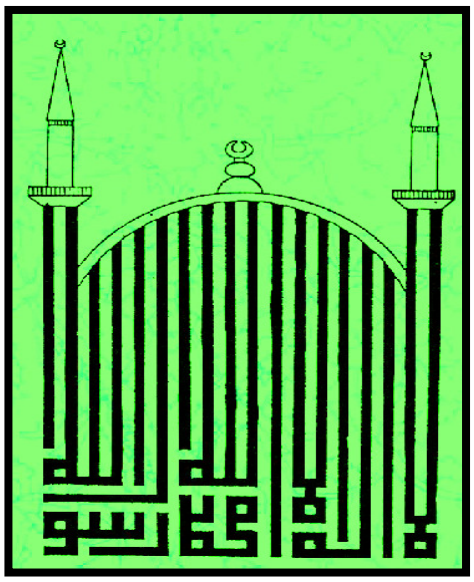

(قبة والمآذن تتألف من كلمات "لاإلهإلاالله محمدرسول الله"، وقد كتبت بالخط الكوفي الهندسي)

(شكل رقم 16) المصدر: منتدى الوسطية الإسلامي، (2012)، "الخط الكوفي المربع"[2]

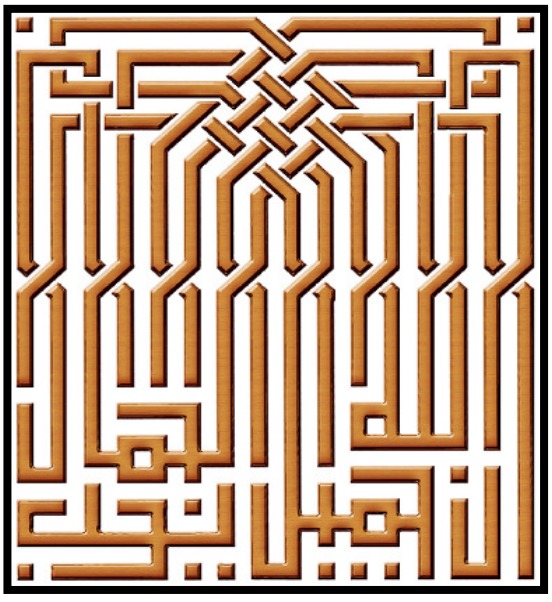

(لوحة تنص "إن الله جميل يحب الجمال" كتبت بالخط الكوفي المربع)

[1] http://albana.ibda3.org/t349-topic

[2] http://www.alwasatyah.com/vb/showthread.php?t=23399

(شكل رقم 17) المصدر: حسن كنعان، "خط الثلث"[1]

(لوحة تنص آية الكرسي من سورة البقرة، الآية رقم: 255، وهي مكتوبة بخط الثلث)

[1] http://freeislamiccalligraphy.com/portfolio/ayat-kursi/?lang=ar

(شكل رقم 18) المصدر: أكتوم، (2008)، "نبذة عن الخط العربي..."[1]

(لوحة بخط الثلث كتبها حامد الآمدي بصورة متماثلة، تضم الآية الكريمة "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر" سورة التوبة، الآية رقم: 18)

[1] http://www.maxforums.net/showthread.php?t=118990

(شكل رقم 19) المصدر: مدونة الخط العربي، (2011)، "كتاب – خط النسخ"[1]

(لوحة تضم الآية بخط النسخ، سورة الفتح، الآية رقم: 29)

(شكل رقم 20) المصدر: جلال أمين صالح، (2010)، "لوحات شخصيات..."[2]

(كتابة بشكل صورة طائرة وهي تنص "قالوا عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة")

[1] http://khattot.blogspot.in/2011/10/blog-post.html

[2] http://www.dev-point.com/vb/t162389.html

(شكل رقم 21) المصدر: حسن أبو عفش، (2013)، "خطاط من..."[1]

(لوحة حصان من أعمال الخطاط سعيد فلاح غنايم المقلب بالنهري، وهو من مواليد عام 1961م من فلسطين. وهي تنص الآية: "**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم**" سورة الأنفال، الآية رقم: 60)

[1] http://hibastudio.com/said-alnahri/

(شكل رقم 22) المصدر: مجدي سالم، (2014)، "نماذج من..."[1]

(لوحة تصويرية اشترك فيها الرسم والخط، تحتوي على الآية بهيئة شخص يدعو الله رافعا يديه، والآية تنص: "ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين". سورة البقرة، الآية رقم: 286)

[1] http://forum.eldwli.com/t176332.html

(شكل رقم 23)[1]

(دينار ذهبي من إصدار عبد الملك بن مروان يرجع تاريخه إلى سنة 79هـ، ويحمل كتابات عربية بالخط الكوفي على الوجه والخلف. ففي وسط الوجه نرى عبارة "لاإلهإلاالله وحده لاشريك له" وحولها ما نصّه "محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله". أما الخلف فقد نقشت في وسطه الآية "الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد" تحيط بها عبارة "بسم الله ضرب هذا الدينار سنة تسع وسبعين)

[1] George, Alain. (2010). The Rise of Islamic Calligraphy. P. 71.

(شكل رقم 24) المصدر: يسري أنور، (2014)، "روائع الخط العربي"[1]

(لوحة خطية رائعة بالخط الجلي الديواني، تظهر جماليات الخط العربي ورشاقة حروفه. وهي تتألف من الدعاء "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهم بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)

[1] http://arabiccalligraphy4all.blogspot.in/2014_08_01_archive.html

(شكل رقم 25) المصدر: حسن أبو عفش، (2014)، "الخط العربي..."[1]

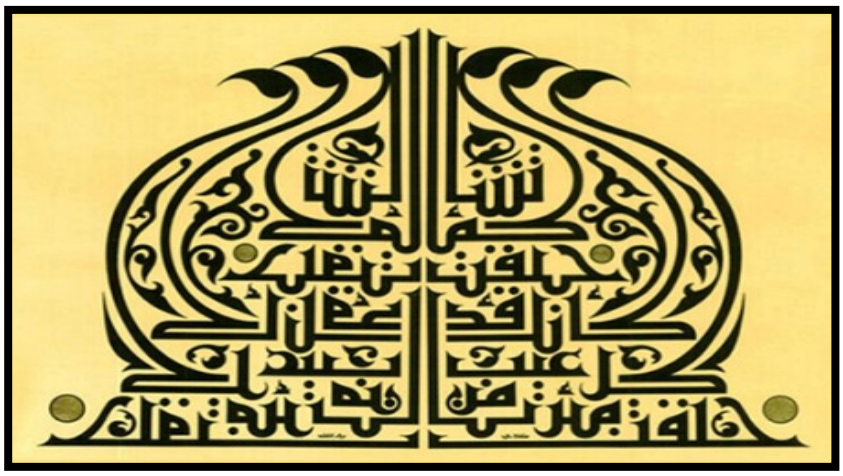

(لوحة خطية بشكل متناظر كتبت بالخط الكوفي، وهي تضم بيتين من قصيدة شاعر الرسول حسان بن ثابت، ونصها: "**خلقت مبرأ من كل عيب، كأنك قد خلقت كما تشاء**")

[1] http://hibastudio.com/caligrphy-height-beauty

الباب الثالث

أنواع الخطوط العربية وخصائصها البارزة

الفصل الأول: (أ) **الخط المسند** (ب) **الخط الكوفي**

الفصل الثاني: (أ) **خط النسخ** (ب) **خط الثلث**

الفصل الثالث: خصائص الخطوط العربية البارزة

الفصل الأول

(أ) الخط المسند

يعدّ الخط المسند من أقدم الخطوط العربية وأهمها، ويمتد تاريخه إلى قرون عديدة قبل الميلاد، كما ينتمي هذا الخط لبلاد العرب الجنوبية التي هي بنفسها تعدّ من أقدم مراكز حضارات الأمم السامية. وقد ورد ذكر هذه الحضارة العريقة في القرآن الكريم، كما قال تعالى: "**لقد كان لسبأ في مسكنهم آية، جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبة ورب غفور**"[1]. ومما لا شك فيه أن موقع بلاد اليمن الجغرافي هو من أهم الأسباب التي وفرت أجواء متلائمة لنشوء الحضارة اليمنية وميّزتها عن غيرها من البلدان بجبالها الشاهقة وسهولها الفسيحة وينابيعها الفياضة وأنهارها المتشبعة في الأودية والسهول. فكان لأنواع المظاهر الطبيعية لهذه الأرض أثر كبير في رقي المعارف والعلوم وازدهارها واتساع العقل والخيال ونموهما.

لقد اكتشفت في ربوعها الواسعة المترامية الأطراف نماذج عديدة من الخط الذي أطلق عليه أهل الأخبار الخط المسند أو الخط الجنوبي أو الخط الحميري حسب الأقوال المختلفة. وقد كتب أهل العرب الجنوب بهذا الخط واستخدموه لأغراض مختلفة، ولكنه يختلف عن الخط الذي نكتب به اليوم. وليس من المستبعد أن هذا الاختلاف في الخط إنما حدث بسبب احتكاك العرب الجنوبيين بالعرب الشماليين على امتداد العصور، وبسبب مهاجرتهم من جنوب العرب إلى شمالها بعد اضمحلال الحضارة الجنوبية وسقوط دولتهم. وذلك لأنهم بدأوا يكتبون فيما بعد بقلم أو بخط آخر، أخذوه من الخط النبطي المتأخر قبل الإسلام بقليل، وكان هذا الخط أسهل وألين في الكتابة من الخط المسند.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو يتعلق بأصل الخط المسند، فمن أين جاء هذا الخط وما هو مصدره ومن أي خط تفرع هذا الخط الجنوبي القديم؟ وقد عبّر العلماء والباحثون عن آرائهم تجاه أصل الخط المسند، فهم يقولون إن الخط المسند يرجع أصله إلى الخط الفينيقي الشائع في مدينة بابل. فالقبائل المعينية قد أنشأت المباني والقصور إبّان إقامتها في اليمن، وتعامل رجالها مع التجار واضطروا للكتابة لتدوين أعمالهم التجارية، فاقتبسوا الأبجدية الفينيقية واستخدموها لما فيها من سهولة على خلاف الحرف

[1] سورة سبا، الآية رقم: 15.

المسماري، إلا أن الأبجدية الفينيقية قد تنوعت وأخذت أشكالا مختلفة على مرّ العصور وتوالي الأجيال، حتى تشكلت بشكل الحرف المسند المشهور. (انظر شكل رقم 1)

يقول جرجي زيدان:

> "فلما ذهبت دولة العرب في العراق، نزح المعينيون في جملة القبائل التي نزحت، وقد تعودت الحضارة، فلم يعد يطيب لها التجول في البادية، فالتمست مقرا تقيم فيه، فنزلت اليمن وتوطنت الجوف، وشادت القصور والمحافد، على مثال ما عرفته في بابل. وتعاطى رجالها التجارة عملا بما تقتضيه طبيعة الإقليم، واضطروا إلى الكتابة لتدوين حساباتهم التجارية أو المخابرات السياسية، فاقتبسوا الأبجدية الفينيقية لسهولة استعمالها وقرب تناولها بالنسبة إلى الحرف المسماري، فدوّنوا بها لغتهم، وهي في الأصل لغة عامية بالنسبة إلى لغة بابل المدوّنة. وتنوعت تلك الأبجدية بتوالي الأجيال، حتى صارت إلى الحرف المسند المشهور، كما تولدت الأقلام الآرامية وأخذه عنهم السبئيون والأحباش"[1].

فالخط العربي يرجع في أصوله القديمة إلى الجنوب وسائر شبه جزيرة العرب، ومرّ بعدة مراحل زمنية من التطور حتى تبلور في الخط النبطي المتأخر وخط أهل الحجاز، وعندما نزل القرآن أصبح هذا الخط مثاليا، فتنوعت أقلامه وتعددت أشكاله حتى تستعمل أنواع مختلفة منه لأغراض مختلفة. وكما تؤكد هذا الرأي تلك النقوش والكتابات الخطية المنثورة على الأسوار والأبراج والهياكل والأحجار، وهي مكتوبة بالخط المسند الحميري الجنوبي، وقد تم العثور عليها لا في المناطق الجنوبية فحسب، بل في طول الطريق إلى الشمال. وهذا يدلّ على أنهم لم يستقروا في مناطقهم في الجنوب بل جابوا سائر شبه جزيرة العرب بغية التجارة وتعاملوا مع أهالي تلك المناطق الواقعة في طول الطريق إلى مراكز قوافلهم التجارية وسيطروا على تلك القوافل التجارية جنوبًا وشمالًا.

وكما يعبّر عن هذه الفكرة شوقي ضيف:

> "ويظهر أنه كان للمعينيين دولة قوية منذ القرن العاشر قبل الميلاد. وقد سيطروا على القتبانيين والحضريين أو بعبارة أدق سيطروا على طريق القوافل التجارية لا في الجنوب فحسب، بل أيضا على طول الطريق إلى الشمال، فقد وجدت نقوش

[1] جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص: 133.

معينية في شمال الحجاز بدادان في منطقة العُلا الحالية وفي الحِجر أو مدائن صالح، مما يدلّ على أنهم أنشأوا في هذه الجهات مراكز لقوافلهم التجارية كي تحميها، وأغلب الظن أنه كان لهم بها حاميات نزلت بها بعض عشائرهم. ومع مرور الزمن غلبت عليهم طوابع العرب الشماليين فكانوا بذلك أول من حمل الحضارة الجنوبية إلى إخوانهم في الشمال"[1].

ويتضح مما سبق أن عرب الجنوب وأشهرهم حمير وسبأ ومعين كانوا يستعملون الخط المسند الجنوبي المأخوذ من الفينيقيين، ويكتبون به سجلاتهم التاريخية ووثائقهم التجارية والعهود والمواثيق. (انظر شكل رقم 2)

وقد ثبت من الخط المسند أربعة أسطر وهي مكتوبة بالخط المسند الحميري (انظر شكل رقم 3). فعندما يوضع بدل كل حرف حميري من حروف هذه الأسطر حرفٌ عربي من الحروف المستعملة الآن تكون كتابة هذه القطعة هكذا

1	2	3	4	5
وهبم	واخهو	بنو	كلبت	هقنيو
6	7	8	9	10
المقه	ذهرن	ذن	مزندن	حجن
11	12	13		
وقههمو	بمسالهو	لوفيهمو		
14	15			
وسعدهمو	نعمتم			

أي وهب وأخوه بنو كلبة (اسم قبيلة) أقنوا (أعطوا)

المقه (اسم الإله) ذاهران (صاحب الموضع الذي يقال له هران) ذان (هذا) مزندن (اللوح)

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص: 27.

حجن (من أجل) وقههم (ان أجابهم) بما سالوه

لوفيهم (سلمهم) وساعدهم نعمة (أي منه).[1]

هذا وقد كان الخط المسند خطا رئيسيا لا في جنوب العرب فحسب بل في سائر شبه جزيرة العرب، كما تولدت منه أقلام عديدة عثرت عليها في المناطق المختلفة على امتداد العصور، وكانت جزيرة العرب تستعملها في الكتابة لسهولتها قبل المسيح وبعد المسيح مما أدى إلى انتشارها في الكثير من البقاع العربية. وإضافة إلى ذلك أثّر الخط المسند في عدد لا بأس به من الأقلام الأخرى المتواجدة لا في المناطق العربية فحسب، وإنما في البلدان غير العربية أيضا. فتجاوز أثره حدود العرب ووصل إلى خارجها لما كان الخط المسند يتمتع بمكانة مرموقة لدى شعوب العرب الجنوبية والشعوب الأخرى التي كانت العلاقات التجارية تربطها باليمن.

يقول جواد علي:

> "وذهب كثير من المستشرقين إلى أثر المسند نفسه أو بالواسطة في عدد من الأقلام الأخرى منها كتابات عثر عليها في إفريقية Meroitische Schrift في إحدى اللهجات الكوشية أو النوبية. والخط البربري القديم الذي يعود إلى أيام قياصرة رومة. والقلم البراهمي (Brahma Script – Devanagari Alphabet)، حيث نلاحظ شبها كبيرا بين حروف هذا القلم والمسند. ولا يستبعد أثر المسند فيه؛ لأن العلاقات بين العربية الجنوبية والهند كانت قديمة جدا"[2].

كما أخذ الأحباش خطهم من الخط المسند، وقد نقله إليهم السبئيون الذين وفدوا إلى الحبشة قبل الميلاد وتوطنوا هناك كما أسسوا مملكة لهم، فأثروا في الأحباش. وقد أدى هذا التأثير إلى ظهور القلم الحبشي الذي كانوا يكتبون به. فالخط الحبشي يشابه الخط المسند كما يشابهه الخط اللحياني والثمودي والصفوي، وتدلّ هذه الخطوط على أن أبجديتها قد تفرعت من الخط المسند، وأن هذه الأبجديات كلها من فصيلة واحدة رأسها المسند.

[1] حفني ناصف، حياة اللغة العربية، ص: 74-73.
[2] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص: 213.

المسند تسميةً واصطلاحًا: وقد بيّن العلماء والباحثون واللغويون وجوهات عديدة لتسمية الخط المسند بالمسند كما عبّر البعض الآخرون عن آرائهم وأفكارهم تجاه هذا الموضوع حسب معلوماتهم عن هذا الخط وأصله. فقد أجروا بحوثا ودراسات عديدة حوله وتوصلوا إلى نتيجة أن الخط المسند قد سمّي به لما توجد فيه كذا وكذا من الأسباب. وفيما يلي نورد بعض الأقوال والتفاسير عن تسمية هذا الخط بالمسند.

يقول أحمد بن علي القلقشندي في تسمية هذا الخط بالمسند: "سمّي بذلك لأنهم كانوا يسندونه إلى هود عليه السلام"[1].

وكما يعبر كامل سلمان الجبوري عن رأيه تجاه هذه التسمية حيث يقول: "جاءت تسمية هذا النوع من الخط بـ "المسند"، لأن حروفه ترسم على هيئة خطوط مسندة بلا أعمدة"[2].

وقد فسّر إسرائيل ولفنسون أيضا تسميته بالمسند، فهو يقول:

> "والخط المسند يميل إلى رسم الحروف رسما دقيقا مستقيما على هيئة الأعمدة، فالحروف عندهم على شكل العمارة التي تستند على أعمدة ...الخ، من أجل ذلك يوجد عندهم ميل شديد لإيجاد حروف على هيئة الأعمدة أي أن الحروف كلها عبارة عن خطوط تستند إلى أعمدة. وقد تنبه علماء المسلمين إلى شكل هذه الكتابات وأطلقوا عليها لفظ المسند لأن حروفها ترسم على هيئة خطوط مستندة إلى أعمدة"[3].

ويعتمد هذا التفسير الذي قدمه ولفنسون على الخيال، ليبتكر له سببًا وتعليلا يناسب الكلمة. وقد رفض جواد علي هذا التفسير قائلا:

> "مع أن كلمة "المسند" التي تطلق في المؤلفات العربية الإسلامية على خط أهل اليمن قبل الإسلام لا علاقة لها بالقصور والمباني، واستناد أجزاء الحرف الواحد بعضها إلى بعض؛ وإنما تعني شيئا آخر، تعني خط أهل اليمن القديم لا أكثر ولا أقلّ. وكلمة مسند (مزند) في العربية الجنوبية تعني الكتابة مطلقا، وقد وردت في مواضع متعددة من الكتابات والنقوش ...الخ، فكلمة (مزند) التي صارت المسند

[1] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص: 9.
[2] كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي الخط الكوفي، ص: 38.
[3] إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص: 244-243.

في عربيتنا تعني في العربية الجنوبية ما تعنيه كلمة الخط أو الكتابة في لغة القرآن، ولم تكن مخصصة عند اليمانيين بخط حمير أو غير حمير، وإنما حدث هذا التخصيص في المؤلفات الإسلامية، فصار فيها المسند اسم عَلم لخط حمير وحده"[1].

وإضافة إلى ذلك، لقد أطلق عليه أسماء عديدة. فقد سمّي بالحميري، وذلك لأن الحميريين كانوا يكتبون بهذا الخط. يقول محمد مرتضى الزبيدي: "وهو خط بالحميري مخالف لخطّنا هذا، كانوا يكتبونه أيام ملكهم فيما بينهم"[2].

ويقول ابن خلدون: "وكان لحمير كتابة تسمى المسند حروفها منفصلة، وكانوا يمنعون من تعلّمها إلا بإذنهم، ومن حمير تعلمت مُضر الكتابة العربية، إلا أنهم لم يكونوا مجيدين لها"[3].

وتسمية الخط المسند بالخط الحميري لا تدلّ على أن الحميريين هم أول من استخدم الخط المسند، بل كانوا آخر من استخدمه، وتخلفوا عن نظرائهم من المعينيين والسبئيين في مجال الكتابة بهذا الخط القديم. كما كتبت به قبائل عربية أخرى قطنت في مناطق شبه الجزيرة العربية المختلفة، وتركت آثارا كثيرة منقوشة على الجدران والأحجار.

وكان الخط العربي قديما يسمّى الجزم، وقد تحدث العلماء والأعلام في كتب المعاجم واللغة عن هذه التسمية، فيقول أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري (ت 255هـ): "سمّي جزما لأنه جزم عن المسند، أي أخذ منه، والمسند خط حمير في أيام ملكهم، وهو في أيديهم إلى اليوم باليمن"[4].

ويقول ابن جنّي: "معنى جزم: أي قطع منه وولد عنه"[5].

هذا، وقد أطلق عليه الخط الحيري والأنباري والكوفي بصرف النظر عن تطوره وإدخال التحسينات فيه.

أشكال الخط المسند وملامحه: يتصف الخط المسند بعدة خصائص خطية، كما تتميز حروفه بأشكال متنوعة، وهذه الخصائص وتلك الأشكال تميّزه عن غيره من الخطوط العربية الأخرى. فتكتب حروفه منفصلة وغير متصلة. وهكذا تكون هي مستقلة بذاتها، فلا يتصل بعضها ببعض كما نرى هذا

[1] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص: 209.
[2] محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج8، مادة سند، ص: 217.
[3] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص: 418.
[4] ابن دريد، جمهرة اللغة، ج2، ص: 484. وابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 40.
[5] ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص: 40.

الاتصال والترابط بين الحروف العربية هذه الأيام. ولإيجاد الإنفصال بين الكلمات وللإشارة إلى انتهاء الكلمة وابتداء كلمة جديدة، يضع الكتّاب خطوطا مستقيمة عمودية وسط الكتابة. وقد قام الكتّاب برعاية هذه العلامة عند الكتابة لأنها علامة وحيدة ترشد القارئ إلى انتهاء لفظة وابتداء كلمة جديدة. وقليلا ما خالفوا هذه الطريقة وأغفلوها، لأنها تؤدي في حال عدم وضع الأعمدة الفاصلة إلى التباس الأمر على القارئ، وتفسد قراءته. وكذلك لم يستخدموا ما نستخدمه اليوم من علامات الترقيم، مثل النقطة والفاصلة وعلامات الاستفهام والتأثر والتنصيص والحذف والقوسين وما إلى ذلك، لأداء المعاني الخاصة التي يقتضيها الكلام. فهي تفصل بين الجمل وبين أجزاء الجملة الواحدة لتيسير فهم النصوص المكتوبة. وهذه الأشياء قد ابتكرت متأخرة جدّا وتم توظيفها في الكتابة، ولم تكن معروفة عند الأقدميين.

وأما ما يتعلق باتجاه كتابة الخط المسند، فله عدة اتجاهات، تارةً يُكتب من الجهة اليمنى إلى اليسرى وتارةً أخرى من الجهة اليسرى إلى اليمنى، وطورًا يكتب من الأعلى إلى الأسفل وطورًا من الأسفل إلى الأعلى. وهذه الطريقة في الكتابة تجعل نصوص الخط المسند تتشكل بأشكال متنوعة رائعة تجذب أنظار الناس.

وكما يناقش هذا الموضوع جواد علي في كتابه "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام":

> "وتبدأ الكتابة عندهم من اليمين في العادة، وتنتهي في اليسار، غير أنهم قد يكتبون من اليسار أيضًا، وينتهون بالسطر في اليمين. وقد يمزجون بين الطريقتين فيبتدأون في اليمين مثلا وينتهون بالسطر في اليسار، ثم يبدأون في السطر الذي يليه من اليسار، وينتهون في اليمين، ويبدأون بالسطر الذي يليه من اليمين لينتهي باليسار، ويبدأون في الثالث من اليسار وينتهون باليمين، وهكذا حتى تنتهي الكتابة. أما إذا ابتدأوا بالكتابة من اليسار، فينتهون بالسطر في اليمين، ثم يبدأون في السطر الثاني باليمين لينتهوا به في اليسار، وليبدأوا بالسطر الثالث من اليسار ولينتهوا به في اليمين، وهكذا يسيرون على هذا المنوال حتى تنتهي الكتابة"[1].

هذا، وقد يتميز شكل حروف المسند بخاصية تجعلها أن تصلح للكتابة في أول الكلمة أو في وسطها أو في أواخرها دون الحاجة إلى إجراء أي تعديل على حروف المسند العامة، لأنها تتسم بكونها حروفا منفصلة وغير متصلة. فتستعمل حرف العين مثلا في بداية الكلمة بصورة تختلف عن صورة الحرف الذي يستخدم في الوسط أو في أواخر الكلمة. فحروف الخط المسند تمتاز من هذه الناحية عن حروف

[1] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص: 216.

الأبجديات العربية. ولعلها من أبرز الأسباب التي تمكّن الكاتب من كتابة حروف المسند من أي جهة يريدها، كما أصبح من السهل تعلم الخط المسند لوجود شكل واحد لا يتغير مهما كان محله في الكلمة.

ولا يتصف الخط المسند بالشكل والنقط، فهو خال عن الحركات، فلا نجد فوق حروفه أو تحتها علامات الضمة والفتحة والكسرة والسكون والتشديد، كما لا نجد فوقها أو تحتها نقطا، فهي غير منقطة على خلاف الحروف العربية التي لها علاقة وطيدة بالنقط والشكل. وقد يخلق هذا الأمر عرقلة في طريق تمييز الحروف عن غيرها من الحروف المتشابهة. وفضلا عن ذلك، لا يوجد فيه رموز أو حروف تدلّ على الحركات ليتمكّن بها القارئ من النطق الصحيح بالكلمة. وهذا ما يولّد أمام القارئ مشاكل كثيرة، فهو لا يستطيع فهم المعاني الصحيحة للكلمة ويذهب مذاهب شتى في كيفية ضبط الكلمة والنطق بها.

ولا توجد في الخط المسند علامة لتشديد الحرف، وهذا لا يعني أنه خال عن هذه الظاهرة اللغوية، فللدلالة على الحرف المشدّد، الكاتب يستعمل الحرف مرّتين كما هي الحال في الأبجديات الأوربية.[1]

أما أشكال حروف المسند فهي تختلف اختلافا حاسما عن الحروف العربية المألوفة التي نكتب بها اليوم. ولما كانت حروفه لا تتصل في أثناء كتابة الكلمات، بل تكون منفصلة بعضها عن بعض على خلاف الحروف العربية، فكان من الضروري أن لا يتغير شكلها ولا يتبدّل مع تبدل موضعها في الكلمة، بل يحافظ على شكلها الحقيقي في أول الكلمة ووسطها وآخرها، اللهم إلا في بعض الأحيان لدى الكتابة من الجهة اليسرى إلى الجهة اليمنى، ففي تلك الحالة يتغير اتجاه الحرف ويصبح نحو اليمين.[2]

وقد يتحد حرف النون الساكن مع الحرف الذي يليه، ويسقط في الكتابة، فكلمة "بنت" مثلا قد تكتب "بت". وذلك بإسقاط حرف النون من الكلمة، والاكتفاء بالحرفين الباء والتاء فقط.[3]

ولا توجد في الخط المسند التاء القصيرة التي نكتبها في أواخر الكلمات العربية، فهو يخلو عن هذه الميزة الخاصة باللغة العربية. فبدلًا منها تستخدم التاء الطويلة أبدًا في أول الكلمة، أو في وسطها، أو في آخرها. فكلمة "جنة" مثلا تكتب "جنت"، وكلمة "ثمرة" تكتب "ثمرت" وهكذا دواليك.

[1] اغناطيوس غويدي، المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة، ص: 3.
[2] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص: 219.
[3] اغناطيوس غويدي، المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة، ص: 4.

ويتكون المسند من تسعة وعشرين حرفا، وتشابه أبجديته الأبجديات السامية الأخرى من حيث أنها تتألف من الحروف الصامتة. ويفصل بين الكلمة والكلمة التي تليها فاصل يمثل خطا مستقيما عموديا، وصورته هكذا " | ".[1]

ونقدّم هنا أشكال حروف المسند المرتبة على ترتيب حروف الهجاء كما هو سائد في الأبجديات العالمية المختلفة في أيامنا هذه. (انظر شكل رقم 4)

مواد الكتابة بالخط المسند: لقد استخدم العرب الجنوبيون موادًا مختلفة للكتابة عليها، فتارةً استعملوا الأحجار والصخور كمادة لتسجيل آرائهم وأفكارهم عليها، وتارةً أخرى استخدموا الخشب والمعادن لتدوين النصوص الدينية والعهود والمواثيق التجارية عليها. أما الكتابة على القراطيس والجلود والرقّ فلم يعثر العلماء والآثاريون حتى الآن على مثل هذه الكتابات والنقوش. وهذا لا يعني أن العرب الجنوبيين لم يكونوا يعرفون الكتابة على مثل هذه المواد، فقد كان استعمالها شائعًا في العالم آنذاك، حتى أن العرب أيضا قد عرفوا الجلود والقراطيس والرقوق وعظام الحيوانات واستعملوها كمادة للكتابة. ولعلّ السبب في عدم تناولهم هذه المواد للكتابة عليها، يرجع إلى عدم مقاومتها التأثيرات الزمنية وتعرضها للتلف السريع. والدليل على ذلك عدم وصول كتابة وافرة مدوّنة على الجلود وعلى جريد النخل وعلى اللخاف والقراطيس من صدر الإسلام، وليس شك أن القرآن الكريم قد كتب على هذه المواد المذكورة، كما كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم عدة عقود ومواثيق، ولكن بادت معظمها.

وقد تحدث جواد علي عن مادة الكتابة بالخط المسند عند الجنوبيين:

> "ومادة الكتابة عند العرب الجنوبيين هي الحجارة والصخرة والخشب والمعادن، يكتبون عليها بالحفر، ولم أسمع أن أحدا من الآثاريين حتى الآن عثر على كتابات بالمسند مدوّنة بالحبر على القراطيس والجلود والرق أو على ورق البردي على نحو ما كان يفعله المصريون وغيرهم. والظاهر أنهم لم يكونوا يتبعون طريقة كتّاب بابل في الكتابة على ألواح الطين التي تجفّف بعد ذلك بالشمس أو بالنار، فتكون كتابة

[1] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص: 209.

ثابتة مدوّنة على مادة صلبة، لأن الباحثين لم يعثروا على كتابات بالمسند مدوّنة على هذه الطريقة"[1].

(شكل رقم 1) المصدر: سعد الدين أبو الحب، (2009)، "جذور الكتابة العربية..."[2]

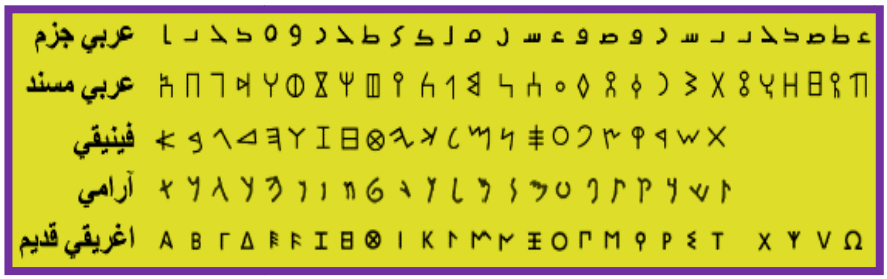

(أشكال حروف الأبجديات القديمة، من الأعلى إلى الأسفل: الخط العربي القديم، والخط المسند، والخط الفينيقي، والخط الآرامي، والخط الإغريقي القديم)

(شكل رقم 2) المصدر: سلطان مقطري، (2013)، "خط المسند"[3]

(أبجدية الخط المسند التي كان يكتب بها عرب اليمن، أشهرهم حمير وسبأ ومعين)

[1] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص: 229.

[2] http://historyinarabic.blogspot.in/2013/03/blog-post.html

[3] https://sultantype.wordpress.com/2013/04/09/musnad/

(شكل رقم 3)[1]

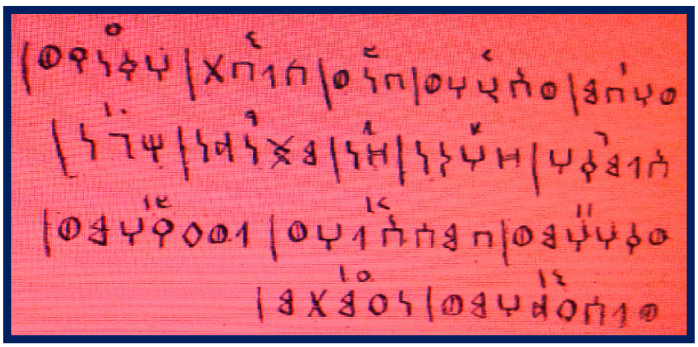

(أربعة أسطر مكتوبة بالخط المسند)

(شكل رقم 4) المصدر: آزال العريقة، (2011)، "خصائص كتابية..."[2]

الحروف العربية	حروف المسند	حروف المسند بفترات مختلفة	الحروف العربية	حروف المسند	حروف المسند بفترات مختلفة
ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط	𐩱 𐩲 𐩳 𐩴 𐩵 𐩶 𐩷 𐩸 𐩹 𐩺 𐩻 𐩼 𐩽 𐩾 𐩿	𐩱 𐩲 𐩳 𐩴 𐩵 𐩶 𐩷 𐩸 𐩹 𐩺 𐩻 𐩼 𐩽 𐩾 𐩿	ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي	𐩠 𐩡 𐩢 𐩣 𐩤 𐩥 𐩦 𐩧 𐩨 𐩩	𐩠 𐩡 𐩢 𐩣 𐩤 𐩥 𐩦 𐩧 𐩨 𐩩

تجمة الليث
www.lakii.com

(حروف المسند على ترتيب حروف الهجاء. وليس لهذا الحرف (𐩪) مقابل في الحروف العربية والسين يقوم مقامه)

[1] المصدر: حفني ناصف، حياة اللغة العربية، ص: 73.

[2] http://www.lakii.com/vb/blogs/587902/blog-1232/

(ب) الخط الكوفي

يعتبر الخط الكوفي أقدم أنواع الخطوط العربية المتأخرة، وقد تفرعت منه معظم الخطوط العربية التي نشأت وتطورت في ظلّ الحكم الإسلامي في الكثير من البلدان العربية وغير العربية. وسمّي الخط الكوفي بهذا الإسم نسبة إلى مدينة الكوفة التي أنشأها القائد سعد بن أبي وقاص سنة 17هـ بأمر من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، إلا أن هذا الخط كان معروفا في المدن الأخرى قبل بناء الكوفة بعشرات السنين. فقد كان بعض الخطاطين من مدن أخرى بالعراق مثل الحيرة والأنبار يكتبون به، فلمّا بنيت مدينة الكوفة انتقل إليها هؤلاء الخطاطون، وبدأوا يستخدمون هذا الخط وطوّروه، كما أدخلوا عليه بعض التحسينات وهذّبوا قواعده وزادوا في تحسينه وتجويده وتجميله، فسمّي هذا الخط بالكوفي نسبة إلى المدينة التي وصل فيها إلى درجة عالية من الفن والإتقان والجودة.

أما تسمية هذا الخط بالكوفي فقد جاءت متأثرة بما كانت شائعة عند العرب في تسمية الخطوط بأسماء المدن التي نشأت وانتشرت فيها الخطوط العربية، فكما عرف الخط بالحجازي والحيري والأنباري والبصري والمكي والمدني، لكون انتشاره فيها، هكذا، عرف الخط بالكوفي أيضا، لأنه انتشر من الكوفة إلى أقاليم مختلفة من العالم الإسلامي.

وقد أيّد هذه الفكرة إبراهيم جمعة:

> "على أن تسمية الخطوط بالكوفي ترجع بادئ ذي بدء إلى مألوف العرب الأوائل في تسمية الخطوط التي انتهت إليهم بأسماء المدن التي وردتهم منها، فكما عرف الخط عند عرب الحجاز قبل عصر الكوفة بالنبطي والحيري والأنباري، لأنه من بلاد النبط والحيرة والأنبار – ثم بالمكي والمدني، لأنه شاع في أنحاء شبه الجزيرة من هذين الوسطين – وعرف الخط العربي في وقت من الأوقات باسم "الكوفي" لأنه انتشر من الكوفة إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي مصاحبًا لانتشار الإسلام"[1].

[1] إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص: 26.

وعلى الرغم من ظهور الخط الكوفي قبل بناء الكوفة بمائة السنة[1]، إلا أنه انتشر وتطور بشكل ملحوظ مع بداية الإسلام. فعندما انتشر الإسلام وجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجًا وتوسع نطاق الدولة الإسلامية، كان من الضروري أن ينتشر معه الخط العربي أيضا، لما له أهمية كبرى في تدوين الوثائق وتسجيل الأفكار والآراء. وكما تزامن انتشار الخط الكوفي مع انتشار الإسلام، كان من الطبيعي أن يصل في البلدان العالمية المختلفة مع وصول الإسلام فيها، فكثر استخدامه وتعددت أغراض كتابته، وتفننت أنواعه وتشعبت طريقة كتابته. واستخدم في كتابة المصاحف وزخرفة جدران المساجد والقصور، وفي الكتابة على أواني النُحاس والخزف، وعلى النقود وغيرها من الآثار الإسلامية، حتى أصبحت للخط الكوفي مكانة رفيعة وحظ كبير من الذيوع والانتشار.

وليس من المستبعد أن ينتشر الخط العربي في البلدان العربية خاصة وفي خارجها عامة في الوقت الذي ازدهرت فيه مدينة الكوفة، وأصبحت مركزا علميا للعديد من الكتّاب والخطاطين والباحثين والعلماء، فاشتغلوا بعلوم النحو والصرف والأدب واللغة، كما ظهرت فيها مذاهب عديدة خاصة بمختلف العلوم والفنون، فأراد الكتّاب والخطاطون من الكوفة أن يكون لهم خط خاص يتميز به عن غيره من الخطوط، فأدخلوا عليه من التحسينات، وهكذا ظهر للكوفة مذهبها في الكتابة.

يقول إبراهيم جمعة:

> "ويرجح أن يكون انتشار الخط العربي من شبه الجزيرة إلى خارجها قد تم في عصر ازدهار الكوفة، لإنشغال العرب في عصر الفتح الأعظم بالحرب وسياسة الدولة الجديدة، واكتفائهم في التدوين في أوائل الفتوحات بلغات البلاد المفتوحة وخطوطها، فلما ألقى العرب السلاح بعد موجات الفتح العنيفة، واشتغلوا في الكوفة بعلوم النحو والأدب والجدال والفقه والدين، ظهر للكوفة مذهبها في الكتابة، لأنها لم تكن لتقبل وهي تنافس البصرة أن لا يكون لها في الكتابة أسلوبها الخاص"[2].

[1] Siddiqui, Atiq R. (1990). The Story of Islamic Calligraphy. Delhi: Sarita Book House. p. 9.

[2] إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص: 26.

لقد بدأ الخط الكوفي في أول الأمر بداية متواضعة، لا يوحي بالإجادة والإتقان، بل كان خطا بسيطا كغيره من الخطوط المستخدمة آنذاك لأغراض مختلفة. ولكن عندما تناوله الفنانون المسلمون وبذلوا قصارى جهودهم في سبيل تحسين حروفه وتهذيب قواعده وتنويع أقلامه، بدأ هذا الخط يتحول على أيديهم إلى أروع الخطوط العربية والأجنبية وأجملها، كما خرج على الطريقة المألوفة وأخذ شكلا رائعا ومظهرا متميزا. وبالتالي، أصبحت حروفه المستديرة والملتفة كأنها تنمّ عن الحركة في تكوينها وتمثّل مظهرا هندسيا تترابط فيه الحروف بعضها مع بعض. وبذلك صار هذا الخط فنا جميلا رائعا قائما بذاته، وينطق بلسان حاله ببراعة الفنانين المسلمين ومهارة الخطاطين المتميزين، ويتحدى الحروف الأجنبية الأخرى والفنون المتشابهة بخصائصه التي تمثل روح الفن العربي وسماته النبيلة، وبدأت حروفه تتلألأ بالآيات القرآنية والنصوص الدينية، وتزيّن واجهات المساجد والقِباب والمآذن وجدران القصور الشامخة والمباني الفخمة، حتى لا يكاد يوجد مسجد أو مئذنة أو مدرسة تخلو من زخارف هذا الخط في العصر العباسي.

هذا، وبالإضافة إلى ذلك كان النسّاخون والخطاطون يزخرفون به المصاحف وعناوين السور، كما يزيّنون به بداية المصاحف ونهايتها تزيينا بديعا ينمّ عن خصائصه الهندسية من مربعات ومستطيلات وصور مقرنصات نازلة وطالعة مما يزيد جمال الخط جمالا أخّاذا.[1]

وعلى هذا فإن الخط العربي لا يعتبر خطا بسيطا يستعمله الخطاطون والكتّاب فحسب، وإنما هو أكثر من ذلك بكثير، فهو فن جميل وهندسية وزخرفة ورقش وما إلى ذلك من الفنون الأخرى، يستعمله الخطاطون والفنانون كغيرهم من الفنانين والمتضلعين من الفنون الجميلة، ومن أجل ذلك لا يعتبر من يتقن هذا الخط خطاطا بارعا بل هو يعتبر أيضا الفنان المتميز، لأنه لم يعد يقتصر على الخطاطين، بل يبرع فيه النحاتون على الرخام أيضا والمزخرفون على الجدران وغيرها.

وتتميز حروف الخط الكوفي عن غيرها من الحروف العربية بالمظهر الهندسي، فهي أفضل أنواع الحروف للفن والزخرفة، وهذا ما دعا غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" لأن يدوّن أفكاره:

> "وللخط العربي شأن كبير في الزخرفة، ولا غرو فهو ذو انسجام عجيب مع النقوش العربية، ولم يستعمل في الزخرفة حتى القرن التاسع من الميلاد، غير الخط الكوفي ومشتقاته كالقرمطي والكوفي القائم الزوايا"[1].

[1] أحمد شوحان، رحلة الخط العربي من المسند... إلى الحديث، ص: 50.

لقد تطور الخط الكوفي منذ انتشاره من مدينة الكوفة وحتى العصر العباسي تطورا ملموسا، وأخذ أشكالا جديدة وأنواعا مختلفة خلال هذه الفترة الطويلة. وفي كل مرحلة من مراحل تطوره نجد الخطاطين والمزخرفين يمارسون الكتابة بالخط الكوفي ويقضون ساعات في سبيل إجادة الخط وتحسينه حتى تمكنوا بعد ممارسة جادة من الكشف عن رموزه وأسراره والانتفاع بخصائصه الزخرفية، كما أحاطوا الخطوط الكوفية بنماذج رائعة من الزخارف النباتية.

يقول عادل الألوسي:

> "ويرى بعض الباحثين أنه خط جاف، قليل المرونة، ولكنه جميل الحركة، يميل إلى التناسق والاستقامة.. وبلغ هذا الخط في الكوفة مبلغا طيبا من الجودة والإتقان والابتكار، خاصة في زمن الإمام علي كرّم الله وجهه، إذ ظهرت منه أنواع، كالكوفي التذكاري، والكوفي اللين، وكوفي المصاحف. وقد توجهت العناية في إجادته ببغداد في العصر العباسي حيث اتسق نحو الإجادة في الرسم وأدخلت عليه ابتكارات وتحسينات متناغمة مع الزخرفة المتداخلة معه والمحيطة به: الهندسية منها والنباتية، حتى أصبح الخط الكوفي عنصرا زخرفيا يدلّ على مهارة الإبداع والابتكار"[2].

أنواع الخط الكوفي: لقد مرّ الخط الكوفي على مرّ العصور بعدة مراحل زمنية. وإبّان هذه المراحل الزمنية، أدخلت عليه الكثير من التحسينات والابتكارات، فتطور شكله تطورا ملموسا، حتى بلغ أوج ازدهاره في العصر العباسي، وأصبح فنا من الفنون الإسلامية الجميلة التي يفتخر بها المسلمون في جميع أنحاء العالم. و للسير في هذا النهج كان من الطبيعي أن تتعد أنواع هذا الخط الأصيل من خلال ابتكار أساليب خطية جديدة، فتشعبت خطوطه وتنوعت أقلامه وتعددت أشكاله وكثرت أنواعه. وقد جلبه المسلمون معهم إلى البلدان التي فتحوها مما ساعد على انتشاره وازدهاره.

والسبب في تقسيم الخط الكوفي إلى أنواع عديدة يرجع إلى طبيعة المواد ومطابقتها مع الكتابة بالخط الكوفي، كما يرجع السبب في كثرة أنواعه واختلاف تفريعاته إلى استخدام البلدان الأخرى هذا الخط. فاختلف نوع عن الآخر في قواعده وشكله وأسلوب كتابته وموضع انتشاره، وبعض هذه الأنواع تنسب

---

[1] غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص: 550.
[2] عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص: 42.

إلى الإقليم أو المكان أو المدينة التي شاع وانتشر فيها، وبعضها منسوبة إلى الأقلام والهيئة والمقدار، وبعضها إلى الوظائف التي تؤديها وما إلى ذلك من العوامل الأخرى.

وقد ذكر إبراهيم جمعة نوعين من الخط الكوفي، وقد بقي كل منهما في الكوفة إلى فترة طويلة، فشاع استخدام النوع الأول منهما لأغراض مختلفة مثل الكتابة على المواد الصلبة كالأحجار والأخشاب، ويعرف هذا النوع بالخط الكوفي التذكاري اليابس. أما النوع الثاني فقد استعمل في كتابة المصاحف، ويعرف بالخط الكوفي المصحفي. ويعتمد هذا التقسيم على أساس الأغراض والاستخدامات.

1. **الخط الكوفي التذكاري اليابس**: استخدم هذا الخط للتسجيل على المواد الصلبة مثل الأحجار والأخشاب لإثبات الآيات القرآنية والعبارات الدعائية، وتاريخ الوفيات وذكر المؤسسين للآثار على اختلاف أنواعها. وهذا الخط لا يقوى عليه كل إنسان ولا تتطلبه إلا المناسبات الجليلة، إلا أنه يثير شغف رجال الفن الإسلامي بجماله ورونقه، ويستوقف القارئ لصعوبة قراءته، بسبب خلوه من النقط تارة، وترابط حروفه تارة أخرى، والإسراف في زخرفته تارة ثالثة.[1]

2. **الخط الكوفي المصحفي**: هذا النوع من الخط الكوفي قد بقي معروفا باسمه حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وهو يجمع بين الجفاف والليونة في مزيج رائع بينهما، إلا أنه أقرب إلى الثقل، ولم يكن ليقوى عليه إلا قلة من الناس، ويتصف بالرصانة والجلال. وقد استعمل في كتابة المصاحف الكبرى، وظلّ الخط المفضل لها على طول القرون الثلاثة الهجرية الأولى حتى حلّ محله خط النسخ.[2]

وبالإضافة إلى هذين النوعين من الخط الكوفي، توجد له أيضا أنواع أخرى تختلف في شكلها وقواعدها وأسلوب كتابتها. وقد حدّدها الخطاطون والأدباء في خمسة أنواع رئيسية شهيرة تعتمد على أساس التقسيم التقليدي للخط الكوفي، وهو تقسيم يقوم على الوضوح في الفروق الشكلية المجردة والزخرفية، بالدرجة الأولى، بين أنواع الخط الكوفي، وعلى الاستخدام الفني أو الوظيفة الجمالية المطلقة لهذه الأنواع[3]. وهي كما يلي:

[1] إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص: 28.
[2] نفس المصدر، ص: 28.
[3] إدهام محمد حنش، الخط العربي وحدود المصطلح الفني، ص: 84.

1. **الكوفي البسيط**: هو الكوفي القديم أو الكوفي البدائي كما سمّاه بعض الباحثين. فهو نوع بسيط للخط الكوفي، لا يتصف بالزخرفة الكتابية كما لا يلحقه التوريق أو التخميل أو التضفير[1] أو أية إضافة لغوية، بل يتسم بكونه كتابة بحتة. وقد انتشر هذا الخط في كافة العالم الإسلامي شرقًا وغربًا في القرون الهجرية الأولى بشكل كبير، وبقي كأسلوب مفضل في غرب العالم الإسلامي حتى وقت متأخر.[2]

واستعمل الكوفي البسيط في الكتابة على القبب والجوامع وشواهد القبور[3] فضلا عن كتابات المصاحف الأولى وكتابات قبة الصخرة. ومن أشهر أمثلته كتابة قبة الصخرة في القدس وكتابة مقياس النيل في القاهرة، وكتابة الجامع الطولوني ومعظم الكتابات التي تتجلى على شواهد القبور في الكوفة ومصر وغيرها من بقاع العالم الإسلامي.[4]

فالخط الكوفي البسيط أقدم أنواعه كلها، استخدمه الخطاطون والكتاب في العصور الإسلامية الأولى لأغراض مختلفة، مثل ضرب النقود درهما ودينارا، وكتابة شواهد القبور، وقد شاع استخدامه في الدولة الأموية والعباسية لضرب النقود، وذلك لأن الخط الكوفي البسيط تتسم بالبساطة وتخلو من الزخارف، كما تكون كتابته واضحة ومستقيمة قليلا بمقارنتها بالخطوط الأخرى. (انظر شكل رقم 1 و2)

2. **الكوفي المورق**: وقد يطلق عليه الخط المشجّر، وهو من أنواع الخط الكوفي المتطور الذي تخرج من أطراف حروفه سيقان نباتية ودقيقة محمّلة بالوريقات ذات أشكال مختلفة، أو بزخارف أخرى ذات فصوص[5]. وتتصل هذه الأشكال النباتية بكيانات الحروف في البداية أو الوسط أو النهاية، لتشكل معها بأشكال عامة لهذه الحروف[6].

فهذا النوع الذي تلحقه زخارف تشبه أوراق الأشجار، لقد بدأت فيه ظاهرة التوريق في مصر في القرن الثاني الهجري، وبلغت في مصر ذروتها، حيث تهيأت لها ظروف ملائمة للنمو والاكتمال، وذلك قبل منتصف القرن الثالث الهجري. وقد انتقلت نزعة التوريق من مصر إلى العالم الإسلامي شرقه وغربه، حيث أتيح لها أن تعلب دورا ملموسا في زخرفة الكتابة وتزيينها. وأقدم كتابة مورقة في شرقي العالم

[1] كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي الخط الكوفي، ص: 68.
[2] إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص: 45.
[3] حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ص: 47.
[4] إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص: 45.
[5] عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص: 43.
[6] إدهام محمد حنش، الخط العربي وحدود المصطلح الفني، ص: 85.

الإسلامي كتابة في المسجد الجامع في نائين بفارس مؤرخة سنة 288هـ[1]. ويعدّ التوريق الفاطمي من أجمل أنواع التوريق، الذي قد حصل له النمو والتطور والارتقاء وبلغ ذروته في مصر[2]. (انظر شكل رقم 3)

3. **الكوفي المضفر**: وقد يسمّى بالمعقد والمترابط، وهو من الزخارف الكتابية التي تكون فيها الحروف مترابطة. وهو خط معقّد لكثرة التداخلات فيه مما جعله يشبه الزخرفة إذا بولغ فيه بالتضفير. وقد يصعب فيه تمييز العناصر الخطية من العناصر الزخرفية، وقد تضفر حروف الكلمة الواحدة، كما قد تضفر كلمتان متجاورتان أو أكثر حتى ينشأ من ذلك إطار جميل من التضفير وشكل جميل متناسق. ويغلب على هذا الخط أنه ظهر في أوائل القرن الخامس الهجري[3].

وقد عرف هذا الخط في شرق العالم الإسلامي وغربه في وقت واحد تقريبًا أي في القرن الخامس الهجري. وتعتبر خطوط قلعة "رادكان" في إيران من أقدم أمثلته، ويرجع تاريخها إلى سنة 411هـ. ومن أشهر أمثلته في مصر، الأشرطة الكتابية المضفرة في ضريح الخلفاء العباسيين بالقاهرة، وقد بلغت هذه الكتابة درجة قصوى من التعقيد.[4]

وتعدّ المدرسة المراكشية من أكثر المدارس الكتابية إنتاجًا لهذا النوع وإبداعًا فيه. ومن أشهر أمثلته هناك كتابات "جامع تازة" المضفرة في المغرب، وجامع "سيدي أبي الحسن" في تلمسان سنة 696هـ، وكتابات "باب شلا" الإهدائية 739هـ، وكتابات مدرسة أبي العنانية 756/752هـ.[5] (انظر شكل رقم 4)

وقد تكتب الكتابة الكوفية مضفرة ومورقة أو مضفرة ومزهرة، كما قد يرسم للكتابة الكوفية إطار زخرفي علوي أفقي هندسي أو نباتي يغطي الكتابة ويلتحم بسيقان الحروف فيبدو للناظر أنه جزء منها لما في الزخارف وحروف الكتابة من إيقاع وتأثير.

4. **الكوفي المزهر**: وقد يطلق عليه الكوفي المخمل أو الكوفي ذو الأرضية النباتية، وهو أصعب الخطوط العربية، فيواجه الخطاطون صعوبة كثيرة بالتعامل معه. تستقر فيه الكتابة فوق أرضية من سيقان النبات

[1] إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص: 45.
[2] حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ص: 48.
[3] نفس المصدر، ص: 48.
[4] كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي الخط الكوفي، ص: 101.
[5] إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص: 46.

اللولبية وأوراقه[1]. وهذا النوع من الكتابة تلحق به كتابات تستأثر فيها الحروف بالجزء الأسفل من الإفريز وتشغل الزخارف النباتية كل فراغ يتخلف بعد ذلك[2].

لقد برز هذا النوع من الخط عندما ازداد الإحساس بجمال العناصر الداخلية والفنون الزخرفية، ويرجع تاريخه إلى القرن الخامس الهجري، أي أثناء فترة ظهور الخط المضفر. وكثيرا ما يستخدم في اللوحات الخطية المخصصة للعرض، كما زينت به جدران القصور والمساجد والمحاريب.

وعلى الرغم من التشابه بين هذا الخط والخط المضفر، إلا أنها توجد هناك بعض الخصائص التي يتميز بها الكوفي المزهر عن الكوفي المضفر. ففي الكوفي المزهر تستقر الكتابة فوق الأرضية النباتية بعكس المضفر والمورق اللذين تخرج التفريعات النباتية من أطراف حروفهما. وتمتاز الأرضية النباتية التي يكتب عليها بأنها من سيقان النباتات اللولبية والمتداخلة وأوراقها المتفرعة منها.[3]

فتدخل في هذه الكتابة الزخرفة النباتية لسد الفراغات الواضحة فيما بين الحروف بصورة عامة، وكذلك لمعالجة الفراغات فيما بين الحروف المنتصبة بصورة خاصة، بملئها بأشكال الزخرفة التوريقية على العموم.[4] (انظر شكل رقم 5)

5. **الكوفي الهندسي**: يعتبر هذا الخط من أسهل أنواع الخط الكوفي، وقد يطلق عليه الخط التربيعي أو المربع لما يمتاز بشدة استقامة حروفه وكثرة زواياه[5]. فالخط الكوفي الهندسي يتسم بخصائص بارزة تميزه عن غيره من الخطوط، ومن أهمها: الاستقامة الكلية والمطلقة، دون أي انحناء أو تقويس، في أشكال حروفه. وبسبب هذه الاستقامة تغلب عليه الزوايا القائمة سواء في تحديد الحروف أو في تحديد الفراغات البينية لها، وهذا ما يجعل شكله العام يبدو عبارة عن خطوط هندسية واحدة العرض أو السمك[6].

وقد اختلف في نشأة هذا الخط الهندسي، فهي لا تزال غامضة، ولكن الأرجح أنه أول ما ظهر في العصر الفاطمي حيث استخدموه في الحفر على الخشب والكتابة به على الزجاج والفخار والتحف المعدنية. فقد أوحت به فكرة الزخرفة بالطوب المختلف الحرق في العراق وإيران، كما استخدم بكثرة في مساجد إيران

[1] إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص: 45.
[2] كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي الخط الكوفي، ص: 89.
[3] حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ص: 49.
[4] إدهام محمد حنش، الخط العربي وحدود المصطلح الفني، ص: 85.
[5] حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ص: 48.
[6] إدهام محمد حنش، الخط العربي وحدود المصطلح الفني، ص: 86.

والعراق. وأشهر أمثلة هذا النوع من الخط في مصر: مسجد سلطان قلاوون، ومسجد زين الدين يوسف، وتربة أم السلطان الشهيرة بتربة الوالدة صاحبة القبتين السلطانيتين بقرّافة السيوطي من أواخر القرن السابع الهجري.[1]

ولهذا النوع عدة أشكال هندسية في الكتابة مثل الشكل المثلث والمربع والمخمس والمسدس والمسبع والمثمن أو الشكل المستدير وما إلى ذلك من الأشكال الأخرى. وهذا النوع في مجموعه زخرفي بحت، وقد يصعب تشكيل هذا النوع دائريا لحدة زواياه وعدم مرونتها أثناء التشكيل الدائري. كما تتعذر قراءة عباراته لشدة تداخلها واشتراك حروفها.[2] (انظر شكل رقم 6)

وقد ظلّ الخط الكوفي سائدا لقرون عديدة، وانتشر في معظم البلدان الإسلامية التي فتحها المسلمون، ووصل إلى الأندلس، كما نرى آثاره ملموسة على المباني والقصور وجدران المساجد وشواهد القبور، وعلى المحاريب والتحف المعدنية والأخشاب، كما تتجلى به الآيات القرآنية والنصوص الدعائية. وعندما تطور المجتمع المدني وسادت الحضارة الإسلامية تطور معه الخط الكوفي وتعددت أنواعه حتى وصلت أكثر من خمسين نوعًا، كما أضيفت إليه تحسينات وطرق جديدة في الكتابة والتعليم، وأدخلت عليه العناصر الهندسية والزخرفة النباتية متنوعة الأشكال ليحتل مكانة مرموقة وسط زحام الفنون الأخرى، إلا أنه بدأ يتراجع بعد القرن السادس الهجري، وحلّ محله في الاستخدام الخط النسخي.

[1] كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي الخط الكوفي، ص: 130.
[2] إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص: 46.

(شكل رقم 1) المصدر: احتاجك بيه، (2010)، "الخط الكوفي البسيط"[1]

(كتابات كوفية بسيطة منقوشة على أميال (علامات طريق) من عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، وهي مؤرخة سنة 68هـ)

شكل رقم 2) المصدر: فلاش كارد، "الخط الكوفي"،[2]

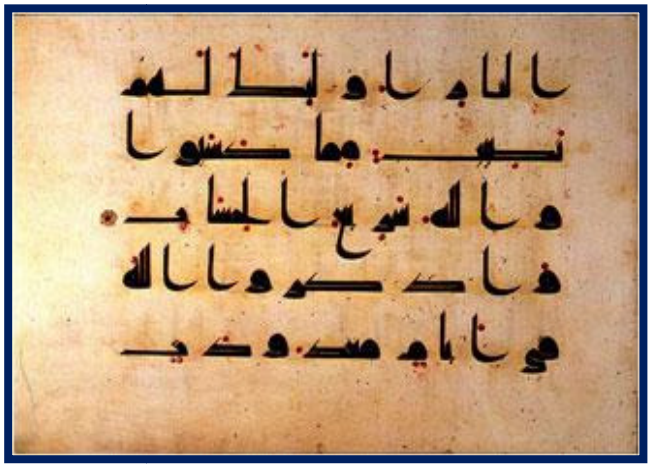

(بعض آيات من سورة البقرة مكتوبة بالخط الكوفي البسيط. الآية رقم 203-202)

[1] http://www.hawaalive.com/women/a7t-t85412.html

[2] https://www.studyblue.com/notes/note/n/art-history-i-final/deck/4707033

(شكل رقم 3) المصدر: احتاجك يبه، (2010)، "الخط الكوفي المورق"[1]

("وقفوهم إنهم مسؤولون" كتبت هذه الآية بالخط الكوفي المورق)

(شكل رقم 4) المصدر: نبيه الرفاعي، (2007)، "المفضر"[2]

("ولاغالب إلا الله" بالخط الكوفي المضفر)

[1] http://www.hawaalive.com/women/a7t-t85413.html

[2] http://www.mobda3.net/vb/showthread.php?t=243

(شكل رقم 5) المصدر: احتاجك بيه، (2010)، "الخط الكوفي المزهر"[1]

("ربنا عليك توكلنا" بالخط الكوفي المزهر)

(شكل رقم 6) المصدر: ستار تايمز، (2013)، "الخط العربي..."[2]

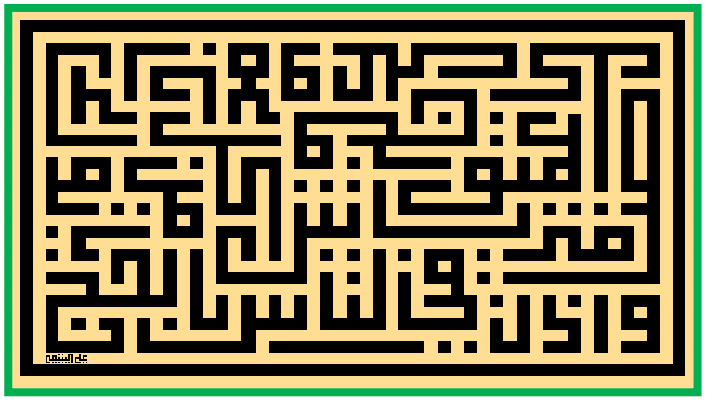

("وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق" بالخط الكوفي الهندسي)

[1] http://www.hawaalive.com/women/a7t-t85414.html

[2] http://www.startimes.com/f.aspx?t=33495172

الفصل الثاني

(أ) خط النسخ

يعتبر خط النسخ من أشهر الخطوط العربية وأكثرها استخدامًا في كتابة المصاحف والمؤلفات الإسلامية والكتب الدينية في العصور الإسلامية الوسطى، وذلك لسهولة قراءته وعدم اللبس فيه وتميزه بإيضاح الحروف وإظهار جمالها وروعتها، كما هو يساعد الخطاط على الكتابة بسرعة أكثر من غيره. وكتابته أقل صعبًا من خط الثلث، إلا أنه أصعب من بقية أنواع الخطوط الأخرى. وقد انتشر هذا الخط على نطاق واسع في العديد من البلدان العربية الإسلامية، وطغت شهرته على جميع الخطوط، وبقيت آثاره منقوشة في التحف المعدنية والكتابات الرسمية وفي الدراهم والدنانير وغيرها من المواد الأخرى المتواجدة في متاحف الفن الإسلامي في مختلف البلدان العالمية. وهو خط قريب الشبه بخط الثلث، تطور وازدهر حتى بلغ ذروته في العصر العباسي، ونافس الخط الكوفي، ثم تفوق عليه، وحلّ محله في كتابة المصاحف وفي أغراض الكتابة الأخرى.

يقول أدولف كروهمان:

> "من المفيد جدا أن يتفهم المرء، أن خط النسخ بحروفه الرشيقة، المدوّرة، السهلة القراءة، قد ترسخ موقعه بوقت مبكر نسبيا، حيث ظهر على قطع النقود المعدنية في أواخر القرن الثالث الهجري في الشرق (292هـ/5-904م)، وذلك مقارنة مع الخط الكوفي، الكهنوتي، الجامد، الصعب القراءة، ولقد بدأ خط النسخ يحلّ محلّ الكوفي المنقوش على ألواح الحجر في بلاد ما بين النهرين وسوريا ومصر خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.
>
> وفي أثناء ذلك ترسخت مواقع خط النسخ في الشرق (خراسان) وخاصة وفق الأسلوب المائل المدوّر، الذي أضفى عليه ابن مقلة لمسات جمالية، فأصبح سائدا في خطوط الكتابات الرسمية، والدرهم الذي أصدره الساماني اسماعيل بن أحمد عام 292هـ/906م أثناء حكمه (279-295هـ) في خراسان كان موشى بالنسخ"[1].

[1] أدولف كروهمان، "النسخ والثلث"، ترجمة: غانم محمود، مجلة المورد، مج 15، العدد 4، 1986م، ص: 114.

لقد مرّ خط النسخ بمسيرة تطور مشابهة لمسيرة الخط الكوفي، وخلال هذه المراحل الطويلة إنه تشكّل بأشكال عديدة وتفرعت منه أنواع أخرى من الخطوط، وتغيرت حروفه مع تغير الزمان. وأشكال حروفه البدائية تختلف عن أشكال حروفه المتأخرة. فالترويسات في حرفيه "أ" و "ل" تبدو بشكل واضح في العصور المبكرة، ولكنها تلاشت في العصور المتأخرة نسبيًا. وهو يعتبر أساسا لعدة خطوط نشأت منه بعد تحويرها قليلا مثل الديباج والطومار والمسلسل والخط الفارسي الذي اخترعه الفرس خلال العصر العباسي. وكثرة الأنواع الخطية المتفرعة منه لا تعني وجود اختلافات كبيرة بينها، بل يؤدي هذا الاختلاف في كتابة حرف أو الاختلاف في سمك سنّ القلم إلى إطلاق تسمية جديدة. وقد ظلّ خط النسخ سائدا ومنتشرا حتى أصبح في العصر الأيوبي أحد أهم الخطوط التي اهتم بها الناس والخطاطون.

لقد وصل خط النسخ مرحلة التطوير والإجادة في القرنين الثالث والرابع الهجري في العصر العباسي، وتطور متزامنا مع الخطوط العربية الأخرى حتى شاع استخدامه وساد في الكتابات على اختلاف أنواعها، كما رغب فيه عدد لا بأس به من الخطاطين والكتبة، لما توجد فيه من السهولة في الكتابة. وقد أمر الخلفاء بنسخ القرآن الكريم بهذا الخط الحسن الذي يزيد الحق وضوحًا، وذلك لأنّ حروفه جميلة لا يوجد بينها شيء غير واضح.

ويعبر عن هذه الفكرة سهيلة الجبوري:

> "هذا، وقد بدأ خط النسخ مرحلة الإجادة والتطوير في القرنين الثالث والرابع، وارتقى متزامنا مع الخطوط الأخرى الشقيقة له: (الثلث والريحان والمحقق)، ولما كان هذا الخط أسهل على الكتبة من غيره، فقد رغبوا فيه وأقبلوا عليه، حتى شاع في الأمصار، وأمر الخلفاء أن ينسخ القرآن الكريم به، على أن يدوّنوا رءوس السور بالمحقق والريحان والكوفي"[1].

ويعدّ خط النسخ من الخطوط اللينة، حيث أنّه يتميز بوضوحه وسهولة قراءة حروفه، ونظرًا لهذه الليونة والمرونة التي تتصف بها حروفه، لا يستخدم في عمل التراكيب، لصغر حجم القلم الذي يكتب به

[1] سهيلة الجبوري، تاريخ الخط العربي، ص: 30، (نقلا عن: عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص: 48).

ومحدودية تقاعسات حروفه، كما هو يستخدم على نطاق واسع في تدوين القرآن وكتب السنة والمؤلفات الدينية والمطابع العربية مثل طباعة الكتب والمجلات لوضوحه وسهولة تجميع حروفه على السطر.[1]

خط النسخ تسميةً واصطلاحًا: لقد كثرت الأقوال وتضاربت الآراء وتعددت النظريات في تسمية خط النسخ بأسماء متعددة، وذلك لأن تاريخه لا يخلو من غموض وإبهام كما لا توجد هناك أدلة قاطعة تفيدنا بالمعلومات عن أصل هذا النوع من الخط وتفرعه، فلا يعرف على وجه اليقين متى تميز وانفرد بشكله الخاص، ومتى أطلق عليه هذا المصطلح، ولكن الأمر الذي لا شك فيه هو أن أصوله ترتبط بمجموعة الخطوط اللينة التي تقابل الخط اليابس المعروف بالخط الكوفي.

وقد ذكر يوسف ذنّون هذه الآراء وتلك الأقوال التي تتحدث عن تسمية خط النسخ بأسماء عديدة، والتي ليس لها أساس من الصحة، فقام بالرد عليها قائلا:

> "ويمكن فهم ملابساتها بوضع الأمور في نصابها من خلال النظرة الشاملة لتطورات الكتابة المنسوبة التي قد ظهرت في نهاية القرن الثالث الهجري، وظهرت معها كلمة النسخ لنوع من الخط، أتقنه أبو عبد الله الحسن ابن مقلة وهو غير معروف شكلا ولعله صورة مصغرة لها خصوصيتها من الخط الأساسي الذي يشكل منطلق الكتابة المنسوبة التي ذكر قواعدها العامة القلقشندي عن ابن مقلة وأوردها السنجاري في قصيدته، نرى ملامح له في خط مهلهل وابن سعد على ضوء ما آلت إليه صورة خط النسخ في العصور المتأخرة، ويظهر أنه تركز أكثر على يد ابن البواب ...الخ، إلا أن الوضوح الأكبر نجده عند ياقوت المستعصمي حيث تظهر في المخطوطات التي وصلتنا من خطه"[2].

وهناك من يرى أن تسميته بخط النسخ قد جاءت من كلمة النسخ بمعنى النقل، أي نقل الشيء المكتوب، كأنه صار يستعمل في نسخ الكتب ونقلها. ولا يدل على هذا التفسير إلا المعنى اللغوي لكلمة النسخ.

يقول إبراهيم جمعة:

---

[1] حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ص: 41.

[2] يوسف ذنّون، "قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة"، مجلة المورد، مج 15، العدد 4، 1986م، ص: 19.

"وهناك من يذهب إلى تسمية خط التحرير المستدير الذي عرفته الكوفة بخط النسخ بمعنى خط النقل، وتلك تسمية لا بأس بها لهذا النوع الذي كانت تتأدى به الأغراض اليومية المختلفة وأغراض العلم، وقد قصد بهذه التسمية على الأرجح تمييز هذا النوع عن النوع اليابس الذي لم يكن يصلح من الوجهة العملية من النسخ والنقل"[1].

هذا، وقد سبق أن رأينا أن المعلومات عن أصل الخط النسخي قليلة، فهي لا تؤدي بالباحثين والعلماء إلى الاستقرار على رأي واحد، بل إنهم ذهبوا في هذا السبيل مذاهب شتى، وأدلوا بالمعلومات عن اشتقاق هذا الخط وأصله. فذهب بعضهم إلى أنه مأخوذ من الكوفي والكوفي أصل له[2]. وذهب الآخرون إلى أن قلم النسخ مأخوذ من الجليل أو الطومار، وهكذا يرون أن الخط النسخي قد اقتبسه ابن مقلة من خط الثلث[3]. وزادوا على ذلك بأن منحوه اسما لا أساس له من الصحة وهو الخط البديع ولم يكتفوا بهذا وإنما أكدوا أن ابن مقلة هو الذي سمّاه الخط البديع[4].

وقد ذكر فوزي سالم عفيفي أنه:

"منذ أواخر القرن الخامس الهجري قدّر للخط أن ينال نصيبًا من التجويد في شمال الشام بتحويله عن صوره السابقة إلى صورتين جديدتين، الصورة الأولى خط بديع سمّي خط النسخ، وهو ابتكار سوري شمالي، فكتبت به المصاحف. والصورة الثانية خط الطومار ومشتقاته"[5].

وعلى الرغم من شيوع هذه النظرية القائلة بأن الخط النسخي كان معروفا بالخط البديع في بادئ الأمر، ثم سمّي نسخا فيما بعد، إلا أنها ليس لها أساس من الصحة، ولا تستند إلى أدلة كافية، بل تعتمد على أقوال ورثها الخلف عن السلف وتداولها العلماء والباحثون في مؤلفاتهم وبحوثهم العلمية.

يرى يوسف ذنون:

---

[1] إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص: 57.

[2] الشيخ أحمد رضا، رسالة الخط العربي، ص: 70، (نقلا عن: كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي خط النسخ، ص: 7).

[3] عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص: 48.

[4] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 101.

[5] فوزي سالم عفيفي، نشأة الكتابة الخطية، ص: 147، (نقلا عن حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ص: 40).

"وإطلاق تسمية الخط البديع عليه لا أساس لها من الصحة وإنما هي استنتاج وقع فيه أحمد رضا. ولما كان من الذين كتبوا عن الخط بشكل مبكر (1914م) لذلك تابعه من جاء بعده دونما تدقيق لما كتب والكلمة لا تفيد أكثر من معناها اللغوي، وقد أخذها عن حاجي خليفة الذي وصف كل من ابن مقلة وابن البواب وياقوت بأنهم أصحاب الخط البديع المنسوب، وهو بدوره قد أخذها عن طاش كبري زاده، الذي يرد عنده النص بنفس الصيغة، وواضح أن المقصود منها هو الخط الجميل المتميز وهي صفة الخطوط المنسوبة بصورة عامة، وعلى رأسها خط الثلث وكان الأحرى أن ينصرف الذهن إليه لأنه الأصل بدلا من النسخ، وهو فرع ولم يقف الأمر عند هذه النتيجة الواضح بطلانها بل وصل الاستنتاج إلى القول "انه هو الذي سمّاه الخط البديع" كما ورد في رسالة الخط، وترد في المؤلفات التي أعقبته حتى الوقت الحاضر وهي لا سند لها"[1].

وبالإضافة إلى ذلك، توجد هناك بعض الأسماء الأخرى التي تم إطلاقها على هذا النوع من الخط مثل المقوّر والمدوّر والمحقق، كما سمّي بالخط اللين المدوّر في النصوص العربية السابقة على الإسلام، ونجد حروفها اللينة المدورة واضحة في بعض الرسائل المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وفي النصوص العربية المبكرة التي عثرت في المكتشفات الأثرية[2]. وقد تفرعت منه أنواع عديدة أشهرها؛ الطومار، والتعليق، والرقعة، والديواني، والطغراء، والإجازة وما إلى ذلك، إلا أنها جميعها تشكلت بأشكال مستقلة، لها أصولها وقواعدها وفنونها الخاصة بها[3].

وعلاوة على ذلك، قد أطلق عليه الخطاطون اسم الخط الصحفي، وذلك لأنه يستعمل في طباعة الصحف اليومية والمجلات والدوريات، فهو يستخدم على نطاق واسع في الكتب المطبوعة في البلدان العربية. كما طوّروه للمطابع والآلات الكاتبة، ولأجهزة التنضيد الضوئي في الكمبيوتر.[4]

وقد يسمّى خط النسخ بخط القراءة، وذلك لأن معظم المؤلفات والصحف والمجلات والمنشورات تكتب بهذا الخط الجميل الرائع. فهو يرسخ معناه في أذهان القارئين، كما أنهم يتمكنون من التركيز على

[1] يوسف ذنّون، "قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة"، مجلة المورد، مج 15، العدد 4، 1986م، ص: 20-19.
[2] كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي خط النسخ، ص: 7.
[3] نفس المصدر، ص: 8.
[4] أحمد شوحان، رحة الخط العربي من المسند... إلى الحديث، ص: 54.

الكلمات المكتوبة بهذا الخط مما يجعلهم أن يحفظوه بسهولة ولمدة طويلة. وقد أكّد هذه النظرية الباحثون الذين خاضوا في دراسة هذا الخط، ووصلوا إلى نتيجة أن ما يُكتب بخط النسخ يرسخ معناه في الذهن أكثر عما يكتب بأنواع الخطوط الأخرى. والسبب في ذلك يرجع إلى أن القارئ عندما يقرأ النصوص المكتوبة بالخطوط الأخرى غير خط النسخ، فهو يركز على أسلوب كتابتها وروعة مظهرها وشكل حروفها، وعندئذٍ يتناسى أهمية التركيز على معناها، لذا توجه القائمون على أمر كتابة المؤلفات والصحف والجرائد إلى أن يستعملوا فيها خط النسخ. وكما أن القرآن الكريم قد كتب بخط النسخ، فتتجلى فيه أهمية التركيز أيضا، لأن القارئ يجد في حفظه سهولة أكثر كلما تعمق في القراءة، ويشعر بالراحة لا مثيل لها.

ولخط النسخ تاريخ زاهر ومكانة مرموقة بين جميع أنواع الخطوط الأخرى، وقد مرّ هذا الخط منذ بداية تاريخه إلى ما هي عليه الآن بمسيرات طويلة أخذ خلالها أشكالا متعددة، كما تفرعت منه أنواع عديدة. وقد تطور وازدهر هذا الخط في العصر العباسي حيث ترجمت واستنسخت وألّفت العديد من الكتب في مختلف العلوم والفنون، كما نسخت به الكتب الكثيرة من المخطوطات العربية. ويعتبر عصر الخليفة المأمون (198-218هـ) فترة ازدهار الخط النسخي، كما ظهرت في عهده صورة جديدة لهذا الخط عرفت بـ "المحقق"[1]. ومن أبرز ميزات هذا الخط أنه يحتمل التشكيل، فهو يتميز به عن غيره من خطوط القرآن الكريم، حيث نجد أكثر المصاحف المنسوخة بهذا الخط الجميل الواضح في حروفه وقراءته، كما كتبت به نصوص الحكم والأمثال واللوحات الخطية في المساجد والمتاحف.

يقول كامل البابا:

> "وقد تفرع عن النسخ أنواع عديدة من الأقلام على يد ابن البواب وياقوت المستعصمي وغيرهما من كبار الخطاطين نذكر منها على سبيل المثال: قلم الثلث وقلم الثلثين وقلم الغبار وقلم المحقق وقلم الحلية وقلم المقترن وقلم الحواشي وقلم الؤلؤي وقلم المصاحف وقلم المرسل وقلم المقور وقلم الديباج وقلم السجلات وقلم التوقيع وقلم الريحاني وقلم الرقاع وقلم الطومار وقلم الجليل وقلم المسلسل. وليست

[1] محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر قبل الفاطميين، ص: 233، (نقلا عن: كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي خط النسخ، ص: 7).

كثرة العدد في الأقلام نتيجة اختلاف كبير في أشكال الحروف، بل إن تغييرا طفيفا يطرأ على بعض الحروف قد يكون سببا في إطلاق تسمية جديدة"[1].

هذا، وقد خضع هذا النوع من الخط للتجويد في عصر الأتابكة (545هـ)، وكثر استخدامه وانتشر في عصرهم حتى عرف بالنسخ الأتابكي، وأصبحت هذه النسبة ثابتة، فجرى عليها خلال عهودهم، ونسخت به المصاحف في العصور الوسطى الإسلامية في هذه الأقاليم وحلّ محل الخطوط الكوفية.[2]

ويعتبر خط النسخ الذي يكتب به الخطاطون اليوم من خطوط الخطاطين القدماء العباسيين الذين ابتكروا وتفننوا فيه وقاموا بإدخال التحسينات عليه. فقد حسّنه ابن مقلة، وجوّده الأتابكيون وتفنن في تنسيقه الأتراك، حتى وصل إلينا بحلّته القَشِيبة، بالغًا حدّ الجمال والروعة.[3]

واشتهر بخط النسخ عدد لا بأس به من الخطاطين البارزين الذين كتبوا لوحات فنية رائعة وتركوا آثارا ملموسة في الكثير من القصور والمساجد والعمائر الإسلامية وفي المصاحف الخطية. فمن الخطاطين الذين اشتهروا في عصر المأمون: إبراهيم الشجري الذي أخذ الخط الجليل عن اسحق بن حماد، واخترع منه قلما أخف منه سمّاه قلم الثلثين. كما أخذ يوسف الشجري عن اسحاق أيضا الخط الجليل، واخترع منه قلما أدقّ منه.[4]

واشتهر أبو علي محمد بن الحسين بن مقلة بهذا الخط في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري، وقد وصل هذا الخط إلى أعلى درجات من التقدم والتطور على يده. كما جوّد الخطاط أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب خط النسخ في القرن الرابع الهجري[5]. وفي القرن السابع الهجري برع الخطاط جمال الدين ياقوت المستعصمي البغدادي في تجويد الخط حيث بلغت شهرته الآفاق وتفوق على الذين سبقوه، وعرف بـ "قبلة الخطاطين"[6].

تقول سهيلة الجبوري:

---

[1] كامل البابا، روح الخط العربي، ص: 96.
[2] إياد خالد الطبّاع، المخطوط العربي، ص: 37.
[3] معروف زريق، كيف نعلم الخط العربي، ص: 80، (نقلا عن: أحمد شوحان، رحلة الخط العربي من المسند... إلى الحديث، ص: 54).
[4] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص: 12.
[5] كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي خط النسخ، ص: 8.
[6] ناهض عبد الرزاق الدفتر، الخط العربي، ص: 150، (نقلا عن: كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي خط النسخ، ص: 8).

"أما أشهر مجوّدي هذا الخط فهم: قطبة (أواخر الدولة الأموية)، والضحاك بن عجلان واسحاق بن حماد (وهما من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية)، ثم إبراهيم الشجري الذي أخذ الخط عن اسحاق بن حماد، وأحدث طرقا جديدة فيه، ثم اشتهر محمد بن معدان، ثم عرف بمصر كاتب مجيد اشتهر باسم "طبطب"، وكان أهل بغداد يحسدون مصر عليه"[1].

خصائص خط النسخ: يتميز خط النسخ بمجموعة من الخصائص الفنية التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

1. تتميز حروف النسخ الرأسية الهابطة من أعلى إلى أسفل مثل الألف واللام ألف والطاء والظاء والكاف بأن تكون دقيقة نوعًا ما، وكذلك الحال في الحروف الرأسية الصاعدة من أسفل إلى أعلى مثل الألف واللام والكاف.
2. الحروف التي تتجه اتجاها أفقيا أو شبيها بالأفقي تكتب بعرض القلم، مع ميل قليل.
3. يكتب كل اتجاه خفيف إلى أعلى في أواخر بعض الحروف بسن القلم الرفيع مثل آخر الراء والزاء والواو والسين والشين والطاء والظاء والقاف.
4. يجوز في خط النسخ مدّ بعض الحروف، ولا يجوز ذلك في خط الرقعة، وذلك لئلا يلتبس أي مدّ بحرف السين أو الشين.
5. تحلّى رأس اللام في أول الكلام، أو المفصولة عما قبلها وسط الكلمة أو آخرها بنقطة في أعلاها، وكذلك الكاف المتطرفة المفصولة عما قبلها، وألف الطاء والظاء.
6. تتميز بعض حروف خط النسخ بأنها تكون على شكل خطوط منحنية على هيئة أقواس، أو على شكل نصف دائرة، أو في خطوط شبه مستقيمة.
7. تتسم بعض حروف النسخ بأنها تستقر على السطر وهي ما ليس لها امتداد سفلي، وهي: أ ب ت ث د ذ ط ظ ف ك ک ه ھ لا، وتبدأ باقي الحروف فوق السطر، ثم تنزل عراقاتها وشبه العراقات والامتدادات السفلية تحت السطر، وهذه الحروف هي: ج ح خ ر ز س ش ص ض ع غ ق ل م ن و ى.[2] (انظر شكل رقم 1)

[1] سهيلة الجبوري، تاريخ الخط العربي، ص: 50، (نقلا عن: عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص: 49-48).

[2] عبد العليم إبراهيم وآخرون، الطرق الفنية الخاصة بتدريس الخط العربي، ص: 21-20، (نقلا عن: غانم قدوري الحمد، الخط العربي تطوره وأنواعه، مجلة الحكمة، العدد 12، صفر 1418هـ، ص: 437).

8. تمتاز حروف (ر ز و) بأنها مدوّرة وكأنها نصف دائرة، وكذلك كاسات حروف (ج ح خ ع غ).
9. يمكن امتدادات الكاسات أو امتدادات وسط الحروف. (انظر شكل رقم 2)
10. يقفل حروف (ج ح خ) مع الحروف الطالعة ويفتح فيما عداها.
11. يشاهد ميل خفيف عند كتابته على السطر، كما يتميز بوجود التشكيل الذي يبين العلامات الإعرابية. (انظر شكل رقم 3)
12. لا يطمس من حروفه إلا حرف "ع غ" الوسطي أو الأخير الموصول وبعض أشكال حرف "م". وتوجد لحروف (م ح ر) أشكال متعددة.[1]
13. حرف الواو لا يطمس وعراقته كالراء. (انظر شكل رقم 4)

لقد كان خط النسخ في البداية مستعملا في المخطوطات غير الرسمية فيما بين الناس، ولكن عندما نبغ الوزير ابن مقلة، درس هذا الخط دراسة عميقة ووضع قواعده، كما أدخل عليه بعض التحسينات الفنية، فكتبت به المصاحف والدواوين الرسمية. ثم برزت بعده جماعة من الخطاطين الذين اشتهروا بالخط النسخي، ومن أشهرهم ابن البواب الذي قام بتهذيب الطريقة التي سلك عليها ابن مقلة. هذا، وقد تفرعت من الخط النسخي بتوالي الأيام عدة أقلام.

يقول عبد الفتاح عبادة:

> "وأما الخط النسخي فقد كان مستعملا بين الناس لغير المخطوطات الرسمية حتى نبغ الوزير أبو علي محمد بن مقلة المتوفى سنة 328هـ، فأدخل في الخط المذكور تحسينا كبيرا بعد أن كان في غاية الاختلال وأدخله في المصاحف وكتابة الدواوين. وقد اشتهر بعد ابن مقلة جماعة كثير من الخطاطين، هذّبوا طريقته وكسوها حلاوة وطلاوة أشهرهم علي بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة 413هـ وقد اخترع عدة أقلام، وياقوت بن عبد الله الرومي المستعصمي المتوفى سنة 698هـ وغيرهما كثير، وقد تفرع الخط النسخي المذكور بتوالي الأعوام إلى فروع كثيرة"[2].

[1] مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الخط العربي من خلال المخطوطات، ص: 51.
[2] عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم العربي، ص: 15.

وعلى الرغم من تواجد أقلام عديدة وأنواع كثيرة للخط العربي في العصر العباسي، إلا أن الخط النسخي قد ساد وتفوق على جميع هذه الأقلام، فأهمل الخط الكوفي الذي استخدم كثيرا في كتابة المصاحف وتزيين القصور والمساجد، وصار الخط النسخي هو الأكثر استعمالا في كتابة اللغة العربية وفي كتابة اللغة التركية والتترية والأفغانية والسندهية وغيرها من لغات العالم الإسلامي، فيستخدم فيها الخط النسخي في الكتب العلمية وما إلى ذلك وخاصة في المؤلفات الدينية والنصوص الشرعية.[1]

وطريقة كتابة هذا النوع من الخط تختلف عن طريقة كتابة أنواع الخطوط الأخرى، فلها أصول وقواعد وضعها الوزير ابن مقلة[2] بعد ممارسة جادة وتدريب مستمر. ويكتب هذا الخط بقلم ذي رأس مائل بنسبة 30 درجة تقريبًا، وبميزان محدّد يساوي قطر دائرته ثلاث نقاط من القلم المستعمل في الكتابة. وعلى الرغم من أن بعض الخطاطين القدماء قد كتبوا هذا الخط بأربع نقاط، إلا أن طريقتهم هذه في الكتابة لم تؤثر على جمالية هذا الخط وروعته، بل زادته بهاءً ورونقًا.

وعلى الرغم من أن الخط النسخي يتميز بكونه أكثر الخطوط العربية ليونة ومرونة، إلا أنه يتصف بسلاسته وبساطته، ولا تؤثر في كلماته أو سطوره الزوايا القائمة أو المربعات. وهذه البساطة لا تعني أنه لا يكتسب روعة ولا يحتاج للدقة العالية والتركيز التام في الكتابة، بل إن إتقانه يتطلب قوة نظر الخطاط في كيفية بدء كتابة الحروف والكلمات، فضلا عن رعاية القواعد التي وضعها أرباب هذا الفن، ليخرج الخط جميلا وواضحا ومتناسقا ومتناغما مع القواعد. وعلى خلاف خط الرقعة، يزيّن خط النسخ بالحركات مثل الضمة والفتحة والكسرة والشدّة والمدّة، بالإضافة إلى بعض العلامات التي تظهر في القرآن الكريم بشكل خاص، واللافتات المكتوبة بخط اليد بشكل عام.

[1] عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم العربي، ص: 20.

[2] Siddiqui, Atiq R. (1990). The Story of Islamic Calligraphy. Delhi: Sarita Book House. p. 3.

(شكل رقم 1) المصدر: رحاب عبد الله، (2010)، "دروس خط..."[1]

(حروف خط النسخ)

(شكل رقم 2) المصدر: سحايب، (2012)، "سلسلة الخط..."[2]

(سورة الفاتحة مكتوبة بالخط النسخي، ويمتد فيها وسط الحروف)

[1] http://kenanaonline.com/users/gamalelkhatelarabie/links/3143

[2] http://www.s66b.com/vb/showpost.php?p=943935&postcount=1

(شكل رقم 3) المصدر: حسن كنعان، "خط النسخ"[1]

(آية رقم 16 من سورة الحديد مكتوبة بالخط النسخي، يبدو فيها الإعراب واضحا)

(شكل رقم 4) المصدر: حسن كنعان، "خط النسخ"،[2]

(حرف الواو في هذه الآية غير مطموسة وعراقته كالراء)

[1] http://freeislamiccalligraphy.com/portfolio/al-hadid-57-16/?lang=ar

[2] http://freeislamiccalligraphy.com/portfolio/al-duhaa-93-5/?lang=ar

(ب) خط الثلث

يعتبر خط الثلث من أروع الخطوط العربية وأجملها، تكمن فيه جمالية الفن العربي الإسلامي، كما تتجلى من خلاله معظم الزخارف الفنية والرقش العربي على واجهات المساجد وجدران المباني وعلى غيرها من الآثار الإسلامية الخالدة المتواجدة في أنحاء العالم كله. لقد استخدمه الفنانون والخطاطون المسلمون لأغراض شتى أهمها التزيين والتجميل وكتابة العناوين وأسماء السور. وذلك لأن حروفه تتميز بكثرة المرونة واتساع الكاسات والسمك المختلف حسب أنواعه المتنوعة مثل الثلث الجلي والثلث العادي.

وعلى الرغم من تواجد هذا النوع من الخط في الكثير من الكتب والمساجد والمباني وغيرها من العمائر الإسلامية، إلا أنه يعدّ من أصعب الخطوط العربية جميعها، ولا يعتبر الخطاط خطاطا ماهرا متمكنا إلا إذا أجاد خط الثلث. ولا يستطيع كل شخص أن يضطلع بمهامه الفنية، أو أن يتصدى للكتابة به، إلا بعد ممارسة جادة وتدريب مستمر، فلا يجيد هذا الخط إلا الخطاطون الماهرون المتمكنون من فنهم.

يقول حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع:

> "يعتبر خط الثلث من أصعب الخطوط العربية سواء من حيث الحرف أو من حيث التركيب كما أنه يعتبر أجملها شكلا، إذ تحكم هذا النوع من الخطوط قواعد صارمة، تبين مدى قدرة الخطاط في إتقانه"[1].

ويقول وليد الأعظمي:

> "ويعتبر خط الثلث الأكثر صعوبة بين الخطوط العربية الأخرى من حيث القواعد والموازين والقدرة على الإنجاز، ومن يتمكن من الثلث فإنه يتمكن من غيره بسهولة"[2].

وعلى هذا فإن خط الثلث يعتبر من الخطوط العربية القديمة والخطوط الكلاسيكية، فهو جوهرة الخطوط العربية وأروعها جمالا وكمالا، كما هو يعتبر أكثر صعوبة من أنواع الخطوط الأخرى بمعنى أن قواعده وموازينه وحبكته أصعب من قواعد الخطوط الأخرى وموازينها وحبكتها. فعندما يقال عن شخص معيّن

---

[1] حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ص: 38.

[2] وليد الأعظمي، تراجم خطاطي بغداد، ص: 66، (نقلا عن: كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي خط الثلث، ص: 7).

إنه يجيد خط الثلث، فهذا يعني أنه يجيد ويتقن جميع أنواع الخطوط العربية، لأن قواعدها أسهل وأيسر من تلك التي تخص بخط الثلث.

وقد أطلق على هذا الخط اسم أم الخطوط[1]، لأنه الأصل للعديد من الخطوط العربية التي لم تكن معروفة لمدة طويلة بل انقرضت معظمها مع مرور الزمن. وهكذا نرى أن عبقرية الخطاطين في حسن تطبيق القاعدة مع جمال التركيب تتجلى من خلال هذا النوع من الأعمال الخطية. وذلك لأنه يمتاز عن غيره بكثرة المرونة، إذ أن أشكال معظم حروفه تتنوع حسب تنوع مادة الكتابة وأغراضها، فيمكن كتابة حرف واحد أو جملة واحدة مرات عديدة بأشكال مختلفة، ويطمس في بعض الأحيان شكل "الميم" للتجميل.

وقد وصفه عادل الألوسي قائلا:

> "ويدعى الثلث بأم الخطوط، وهو أصعب الخطوط، ونحن نجده غاية في الرفق والتناسق، ويكتب هذا الخط في السطر أحيانا بفاصلة، وأحيان يتداخل الكلام، أو يلتف بعضه على بعض، وتدخله الحركات الإعرابية، والضوابط والتزيينات، والحروف الخفيفة الصغيرة"[2].

وكما يستغرق هذا الخط وقتا طويلا في الكتابة لكونه صعبا، فإن استعماله يقلّ في كتابة المصاحف، ويكثر في كتابة العناوين وأوائل السور وبعض الآيات والجمل، وفي التكوينات الخطية المعقدة بسبب مرونته وإمكانية سكب حروفه في كل الاتجاهات، حيث تبدو الكتابة كأنهاسبيكة واحدة يملأها التشكيل لترتيب الحروف. وذلك هدفًا لإيجاد التوازن بين الحروف أو الكلمات مع الفراغات الصامتة أو الممتلئة بزخارف جميلة حتى يبدو لمن يراه أنه يتحرك وهو جامد، كما أن ارتباط الحروف واتصالها ببعضها البعض يبدو كأن فيه شيء من القوة تتناسب مع فخامة ومرونة هذا النوع الجليل من الخط.

وكما يختلف الخطاطون والكتّاب في طريقة تشكيله وتجميله، فإن أساليبهم أيضا تختلف في الكتابة. فهم يستطيعون أن يكتبوه بطريقة التركيب الخفيف أو بالطريقة المرسلة، كما يستطيعون أن يكتبوه بطريقة التركيب الثقيل أو بطريقة أشكال هندسية وزخارف فنية جميلة. فهو الميزان الذي يقاس به براعة الخطاطين

[1] حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ص: 38.
[2] عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص:51.

والكتّاب ومهاراتهم الخطية، ومن أجل ذلك إذا لم تتوفر فيه الشروط اللازمة لكتابته لا يعتدل الميزان بل يختل ولا يتسم بالجمال المطلق والدقة الفائقة والروعة.

ومهما يكن من الأمر، فإن خط الثلث يعتبر أصل الخطوط العربية وأستاذها وعملاقها وسيدها، به يوزن إبداع الخطاط وإتقانه وإجادته، فمن أتقنه أتقن غيره بسهولة ويسر، ومن لم يتقنه لا يعدّ خطاطا مهما أجاد من الخط وأتقنه. ونظرًا لما توجد في حروفه أشكال عديدة وصور متنوعة، ولما تتصف بالمرونة والطواعية، فيمكن كتابة الجملة الواحدة بعدة أشكال وعدة تكوينات يختلف بعضها عن بعض. لذا كثر استخدامه وانتشر وساد في العديد من البلدان الإسلامية، كما اضطلع بمهامه الفنية العديد من الخطاطين والكتبة وأخرجوا أعمالا فنية ولوحات خطية تجذب أنظار الناس وتسرّهم. وتكمن أهمية هذا الخط في أنه يتجلى فيه جلال ووقار، لذلك استعمل في كتابة آيات القرآن الكريم وفي المكاتبات الرسمية كرسائل الخلفاء، كما زيّنوا به المساجد والقصور والمحاريب والقباب وبدايات المصاحف، واستعمل الأدباء في خط عناوين الكتب، وأسماء الصحف والدوريات والمجلات الأسبوعية والشهرية، وبطاقات الأفراح والتعزية، وذلك لجماله وبهاءه ورونقه، ولكثرة احتوائه على الحركات في التشكيل سواء بخط رقيق أو جليل حيث أنها تزيده في الجمال زخرفةً ورونقًا.

خط الثلث تسميةً واصطلاحًا: أما تسمية هذا النوع من الخط بخط الثلث، فقد تضاربت الآراء وتعددت الأقوال حولها، ومن أشهر هذه الأقوال أنه سمّي بهذا الإسم لأنه يُكتب بقلم يساوي سُمكه ثلث قطر القلم. كما سمّي بهذا الإسم نسبةً إلى قلم الطومار الكبير الذي استخرجه قطبة المحرر مع ثلاثة أقلام أخرى وهي: قلم الجليل وقلم النصف الثقيل وقلم الثلث الكبير. فقد أطلق عليه هذا الإسم لأنه ثلثا قلم الطومار الكبير.

يقول كامل سلمان الجبوري:

> "وسمّي بهذا الإسم لأنه يكتب بقلم يقطّ محرّفا، بسمك يساوي ثلث قطر القلم، لأنه يحتاج إلى تشعيرات لا تأتي إلا بحرف القلم وسمكه، ويسميه البعض بالخط العربي لأنه الأساسي لأنواع كثيرة من الخطوط العربية"[1].

ويقول عادل الألوسي:

[1] كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي خط الثلث، ص: 7.

"اختلف الباحثون في أصل تسمية الخط الثلث وفي معناه، وهو خط جميل كثيرا ما كتبت به المصاحف القديمة، وهو من الخطوط المستقيمة، قطع منها الثلث، فسمّي بالثلث، وذكر أنه منسوب إلى خط الطومار"[1].

وأضاف قائلا:

"وذكر أن القلم مشتق من القلم الجليل، مع جملة خطوط اشتقت منه، وهناك الثلث الصغير، والثلث الكبير، وهناك قلم الثلثين، وأشار القلقشندي إلى أن إبراهيم الشجري تعلّم الخط الجليل عن اسحاق، واخترع منه قلمًا أخف، اسمه "الثلثان"، ثم استخرج من الثلثين قلما آخر أسماه "الثلث"[2].

ويذكر القلقشندي أن العلماء قد اختلفوا في أصل تسمية خط الثلث وذهبوا في ذلك مذهبين:[3]

الأول: أن للخط الكوفي أصلين من أربع عشرة طريقة؛ وهما: قلم الطومار، وهو قلم مبسوط كله ليس فيه شيء مستدير، وقلم غبار الحلبة، وهو قلم مستدير كله ليس فيه شيء مستقيم. وهذه الأقلام قد أخذت من المستقيمة والمستديرة نسبًا مختلفة، فإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثلث سمّي قلم الثلث، وهذا رأي ينسب إلى الوزير أبي علي بن مقلة.

والثاني: أن الأقلام منسوبة من نسبة قلم الطومار في المساحة، وذلك أن قلم الطومار الذي هو أجل الأقلام مساحة عرضه أربع وعشرون شعرة، وقلم الثلث منه بمقدار ثلثه، وهو ثمان شعرات، وهذا تفسير للتسمية أكثر وضوحًا من السابق.

وقد نشأ هذا الخط في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية حتى تطور وازدهر وبلغ ذروته من البهاء والرونق والجمال والحسن في أواخر القرن الثالث الهجري بعد أن وضعت أصوله وهذّبت قواعده، فتفننت أقلامه وتحسنت أوضاعه وتشكل بأشكال جميلة، تتميز حروفه بالحيوية ومتانة التركيب وبراعة

[1] عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص: 49.
[2] نفس المصدر، ص: 50.
[3] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص: 48.

التأليف. كما بدأ هذا الخط على يد قطبة المحرر، وطوّره من بعده الخطاط إبراهيم الشجري[1]. وقد فضّله وزير المأمون الفضل بن سهل المعروف بذي الرياستين[2].

وفي العصور المتأخرة من ظهور هذا الخط الجميل الراقي وخاصة في العصر العباسي لقد برع العديد من الخطاطين والكتّاب في هذا الخط الذي يعدّ من أروع الخطوط العربية وأجملها، وتفننوا في الكتابة فيه، وجوّدوا وأضافوا عليه بعض التحسينات والتشكيلات والزخارف الجميلة الخلابة، واستعملوه لكتابة أسماء الكتب المؤلفة، وأوائل سور القرآن الكريم، وبدايات أجزاء الكتب، وكتابة الألواح والآيات القرآنية.

يقول حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع:

> "وقد تعاقب الخطاطون على تطوير هذا الخط، ويعتبر الوزير ابن مقلة أول من وضع قواعد هذا الخط، ومن ثم تلاه الخطاط على بن هلال المشهور بابن البواب وأضاف عليه بعض الشيء، ومن بعده الخطاط ياقوت المستعصمي، وتلا هؤلاء الخطاطين تلاميذهم إلى أن وصل الثلث إلى ما هو عليه الآن. وممن أجاد هذا الخط واشتهر في كتابته الخطاط مصطفى راقم، وحمد الله الأماسي، وسامي أفندي، وحامد الآمدي، والشيخ محمد عبد العزيز الرفاعي، وتلاه تلاميذه محمد المكاوي، ومحمد حسني، وهاشم البغدادي، وحمد مؤنس وغيرهم من الخطاطين الذين عاصروهم"[3].

وعلى الرغم من أن هذا الخط قد برز إلى حيّز الوجود على يد قطبة المحرر، إلا أنه تطور وازدهر تحت رعاية الوزير ابن مقلة، فهو يعدّ أبًا لهذا النوع من الخط، لأنه وضع له قواعد من نقط ومقاييس وأبعاد، فله فضل السبق عن غيره، لأن من جاء بعده، اتبعه وأصبح عيالًا عليه. ثم جاء من بعده علي بن هلال المعروف بابن البواب، فقام بإرساء قواعد هذا الخط وتهذيبه، كما أجاد في تراكيبه وأدخل عليه بعض التحسينات، إلا أنه لم يتدخل في القواعد التي ذكرها ابن مقلة قبله، فبقيت هي ثابتة اليوم.

أنواع خط الثلث: وينقسم خط الثلث إلى نوعين رئيسيين، وهما قلم الثلث الثقيل وقلم الثلث الخفيف.

---

[1] ناجي زين الدين المصرف، مصور الخط العربي، ص: 345، (نقلا عن: كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي خط الثلث، ص: 7).

[2] ناهض عبد الرزاق الدفتر، الخط العربي، ص: 151، (نقلا عن: كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي خط الثلث، ص: 7).

[3] حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ص: 38.

قلم الثلث الثقيل: هو قلم مساحته بثماني شعرات، وتكون منتصباته ومبسوطاته قدر سبع نقاط[1]. ويستخدم هذا النوع من القلم في كتابته ثمان شعرات من حيوان البرذون[2]. وتختلف التشكيلات والتصرفات بالخط الثلث الثقيل إلى حد ما عن أشكالها وتصرفاتها في الثلث العادي. (انظر شكل رقم 1)

قلم الثلث الخفيف: يعتبر هذا القلم أدقّ من قلم الثلث الخفيف وتقدّر مساحة منتصباته ومبسوطاته بخمس نقاط[3]. وهو الذي يكتب به في قطع النصف، وصوره تشبه الثلث الثقيل، إلا أنه أدق منه قليلا وألطف[4]. (انظر شكل رقم 2)

وقد ذكر أحمد بن علي القلقشندي هذين النوعين الرئيسيين، فهو يقول:

> "إن لقلم الثلث نوعين، الأول: الثلث الثقيل، ويقال له ثقيل الثلث، وهو المقدرة مساحته بثمان شعرات. والثاني: الثلث الخفيف، ويقال فيه خفيف الثلث، وهو الذي يكتب به في قطع النصف. وصوره كصور الثلث الثقيل لا تختلف، إلا أنه أدقّ منه قليلا وألطف مقادير منه بنَزْر يسير"[5].

وقد قسّم هذا الخط حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع إلى نوعين آخرين، وهما: قلم الثلث العادي وقلم الثلث الجلي.[6]

قلم الثلث العادي: يكتب هذا الخط بقلم يساوي سمكه أربعة مليمترات وعادة ما يكتب به على السطر خصوصا في المسابقات المختلفة كما يكتب به أوائل سور القرآن وأسماء الكتب، وترسم به اللوحات القرآنية والفنية. (انظر شكل رقم 3)

قلم الثلث الجلي: يكتب هذا الخط بقلم يساوي سمكه ثمانية مليمترات، وكثيرا ما يستخدم في الكتابة بالمسابقات على شكل بيضاوي أو دائري مركب، أو على شكل سطر مركب. ويتسم بضخامة حرفه وعرضه، ويستعمل في كتابة اللوحات القرآنية أو الأشكال المركبة. (انظر شكل رقم 4)

---

[1] عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص: 49.
[2] كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي خط الثلث، ص: 7.
[3] نفس المصدر، ص: 7.
[4] عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص: 49.
[5] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج8، ص: 58، 100.
[6] حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ص: 39.

ولا يوجد هناك فرق بين قلم الثلث العادي وقلم الثلث الجلي من حيث القواعد، فهي واحدة وثابتة بين الإثنين، ويبدو الفرق فقط في سماكة القلم، فقلم الثلث العادي يساوي سمكه أربعة مليمترات، كما يساوي سمك قلم الثلث الجلي ثمانية مليمترات. وكتبت النصوص العربية بخط الثلث الجلي لترى من بعيد، ومن ثم يجب على الخطاط أن يتصرف في بعض الأطوال بدون تشويه للحروف حتى تظهر للمشاهد بمظهرها الصحيح وخاصة إذا كانت الكتابة مرتفعة.

وبالإضافة إلى هذين النوعين الرئيسيين، توجد هناك أيضا أنواع عديدة لخط الثلث. وتمثل هذه الأنواع الخطية مرحلة من مراحل تطوره، حيث انه قد مرّ منذ بداية ظهوره وحتى وصوله إلى ما هو عليه الآن بهذه المراحل، كما تعددت أنواعه وتشكل بأشكال مختلفة خلال هذه الفترة الطويلة. ومن هذه الأنواع التي مرّ بها خط الثلث ووصل إلى مراحله الأخيرة هي:

1. **خط المحقق:** استعمله الخطاط البارع علي بن هلال المعروف بابن البواب.
2. **الخط الريحاني:** كتب فيه ابن البواب أيضا.
3. **خط التوقيع:** يتصف هذا النوع من الخط بصغر مقاديره، وتكون قطّة القلم فيه محرّفة.
4. **خط الرقاع:** هذا الخط يشابه بخط التوقيع لكنه أصغر وأدقّ.
5. **خط الثلثين:** كتب فيه لأول مرة الخطاط إبراهيم الشجري، وهو خط عريض المعالم واضح الحروف، وسمّي بهذا الإسم لأنه كتب بقلم يبرى رأسه بمسافة تعادل ثلثي قطر القلم الذي يكتب به.
6. **الخط المسلسل:** وقد يسمّى بالخط المترابط، وكتب فيه الخطاط الأحول المحرر.
7. **خط الثلث العادي:** يتميز هذا الخط بالحروف الغليظة، وقد كتب فيه الخطاط إبراهيم الشجري خلال القرن التاسع الهجري.
8. **خط الثلث الجلي:** يكون فيه عرض الحرف أكبر من عرض الحرف في الثلث العادي.
9. **خط الثلث المحبوك:** يتصف بحسن التوزيع وحكم الترتيب، ومعنى حسن التوزيع أن لا تجتمع الحروف وتكتظ في مكان واحد وتخف في مكان آخر، أما محكم الترتيب فهو يتطلب وضع الكلمات والحروف والنقاط في الأماكن التي يجب أن تشغلها.

10. **خط الثلث المتأثر بالرسم:** هو تحويل الحرف العربي إلى شكل ناطق معبّر، وقد ساعدهم في ذلك ليونة ومطاوعة الحرف العربي، فكان الخط أصبح وسيلة للرسم، منها الفاكهة أو الأشكال الآدمية والطيور وغيرها.
11. **خط الثلث الهندسي:** ترتب فيه الحروف بتصميم هندسي كمبدأ التناظر والانسجام والوحدة.
12. **خط الثلث المتناظر:** ويطلق عليه أيضا خط المرآة، وسمّي بالمتناظر لأن الجانب الأيمن فيه يعكس ما موجود في الجانب الأيسر. وهذا يعني أن الخطاط يكتب العبارة مرتين، مرة بشكل طبيعي وصحيح، ومرة أخرى بشكل مقلوب.[1]

خصائص خط الثلث: يمتلك خط الثلث خصائص جمالية كثيرة، ويتسم بآفاق جمالية واسعة تزوّد بتكوينات فنية لا حدود لها. ويعتبر الحرف العربي تراثا متجددا أينما يظهر يبهر وأينما يقف يسمو. فهو يتميز بالنواحي الفنية الآتية:

- في خط الثلث مجال كبير لحركات القلم، تارة بالسن وتارة أخرى بالجنب وتارة ثالثة بعرض القلم وسمكه.
- هذا الخط يكتب داخل شريط مستطيل مستوٍ من أعلاه ومن أسفله، فلا يعلو عن الشريط ولا يهبط عنه.
- بعض الحروف تكتب أعلى السطر المتوسط، ولا تعلو عن المستوى العلوي مثل الألف، وباقي الحروف تبدأ فوق السطر وتنزل عنه على ألّا تنزل عن المستوى السفلي، وتكون الحروف ضمن هذا الشريط فلا تشذ عنه.[2] (انظر شكل رقم 5)
- يمتاز عن خط النسخ بكثرة المرونة واتساع الكاسات.
- يكون التشكيل بثلاثة أقلام، قلم هو نفس سمك الكتابة، ثم قلم أقلّ وقلم أقلّ.
- يمكن كتابة هذا النوع بطريقة التركيب الخفيف، أو بالطريقة المرسلة.
- يمكن كتابة هذا النوع بطريقة التركيب الثقيل أو إدخال الكتابة في أشكال هندسية وتكوينات زخرفية.

[1] ناهض عبد الرزاق الدفتر، الخط العربي، ص: 152-151، (نقلا عن: كامل سلمان الجبوري، موسوعة الخط العربي خط الثلث، ص: 8).
[2] عبد العليم إبراهيم وآخرون، الطرق الفنية الخاصة بتدريس الخط العربي، ص:41، (نقلا عن: غانم قدوري الحمد، "الخط العربي تطوره وأنواعه"، مجلة الحكمة، العدد 12، صفر 1418هـ، ص: 439).

- يمكن عمل امتدادات بين الحروف، ولكن يقلّ تنفيذ ذلك بسبب فخامة الحروف واستغنائها عن ذلك.
- يمكن كتابة جملة واحدة عدة مرات بأشكال مختلفة.
- تبدو الكتابة كأنها سبيكة واحدة يملأها التشكيل، والتشكيل يدخل فيه حليات كثيرة.[1] (انظر شكل رقم 6)

هذه هي بعض الميزات التي يتميز بها خط الثلث عن غيره من الخطوط العربية الأخرى، فإذا أراد الخطاط أن يكون خطه (الثلث) خطا جميلا رائعا يجب عليه أن يعتني بالقواعد التي وضعها أرباب هذا الخط، لأنه إذا لم يكتب وفق شروط القواعد لا يكون الخط جميلا باهرا. وهو خط لا يزال يحتفظ ببقائه ووجوده وتألقه ويعتبر من أروع الخطوط وأشهرها في عصرنا الحاضر.

[1] مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الخط العربي من خلال المخطوطات، ص: 47.

(شكل رقم 1) المصدر: شبكة المبدعين، "خط الثلث الثقيل"[1]

(الآية مكتوبة بخط الثلث الثقيل)

(شكل رقم 2) المصدر: منتدى الفنون الجميلة، (2009)، "خط الثلث"[2]

(الآية مكتوبة بخط الثلث الخيف)

[1] http://mobda3.net/albm/details.php?image_id=34&sessionid=e5263be0f0f2dbfbf3005aa62a44b764

[2] http://www.al-deer.net/vb/showthread.php?t=14756&langid=14

(شكل رقم 3) المصدر: فن الرسم، (2009)، "اللوحات الفائزة..."[1]

(آيات رقم 194-190 من سورة آل عمران بخط الثلث العادي)

(شكل رقم 4) المصدر: فن الرسم، (2009)، "اللوحات الفائزة..."[2]

("فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش العظيم" بخط الثلث الجلي)

[1] http://www.draw-art.com/showthread.php?t=189

[2] http://www.draw-art.com/showthread.php?t=189

(شكل رقم 5) المصدر: الخط العربي، "خط الثلث"[1]

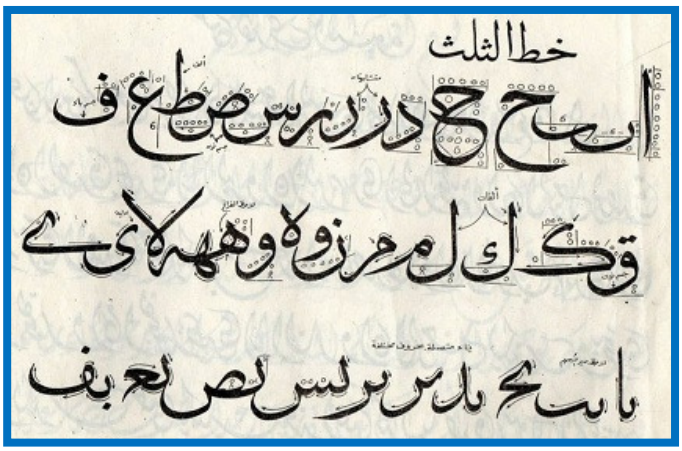

(حروف خط الثلث)

(شكل رقم 6)[2]

(خط الثلث في أشكاله المتنوعة)

[1] https://www.pinterest.com/pin/348536458634100091/

[2] المصدر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الخط العربي من خلال المخطوطات، ص: 47.

الفصل الثالث

خصائص الخطوط العربية البارزة

تكمن خصائص الخطوط العربية في أشكال حروفها المتنوعة واتسامها بالبساطة والليونة والمرونة فضلا عن خضوعها لأشكال الهندسة المعمارية والزخارف النباتية. فالنقوش والكتابات والنصوص على اختلاف أنواعها والرسوم والصور والأشكال المختلفة للخطوط العربية في المساجد والقصور والمحاريب والدنانير والدراهم والتحف المعدنية والسجاديد والأرضية الزخرفية أو النباتية أو المورقة أو المزهرة وما إلى ذلك من الآثار الإسلامية الخالدة، كلها تنطق بلسان حالها أن الخط العربي قد احتل مكانة مرموقة بين الخطوط العالمية الأخرى، كما طغت شهرة أرباب هذا الفن الجميل آفاق بلادهم وأصبحوا روّادا فيه حتى ضرب بهم المثل.

وهكذا نرى الخطوط العربية في صور رائعة متعددة يرق للعين تنسيقها وتنمّ على مبلغ عناية الخطاطين الفنّانين المسلمين من مختلف الأمم ومختلف العصور في إعمال خيالهم لإبرازها بأشكال رائعة الجمال بحافز من إيمانهم. وجمالية الخط العربي لم تكن محدودة في بلاد دون بلاد أو خطاط دون خطاط بل شاركت في تطويرها وساهمت في إزدهارها عدد لا بأس به من البلدان العالمية وخاصة البلدان الإسلامية التي وصل إليها الخط العربي من خلال الفتوحات الإسلامية، فطغى جميع الخطوط الأخرى، وأقبل الناس على استخدامه قراءة وكتابة وطباعة ونطقا وفهما. هذا، وبالإضافة إلى ذلك نرى في كل بلد من البلدان الإسلامية خطاطين بارعين وفنانين مسلمين تصدوا لهذا الفن الرائع وتفننوا في أقلامه وابتكروا طرقا جديدة للكتابة كما أضافوا إليه بعض التحسينات حتى انبهرت منه العقول وعلقت به القلوب.

لقد شهد بجمالية الخط العربي وحروفه العديد من المستشرقين والمؤرخين، فهو في اعتقادهم من أجمل حروف الدنيا وأكثرها روعة وبهاءً، كما هو حرف اختزالي على خلاف الحروف اللاتينية التي تكتب بتمامها. وتتسم الكتابة العربية بالحركات كالضمة والفتحة والكسرة والشدّة والمدّة على خلاف كتابة الحروف اللاتينية التي تأخذ مساحة أكبر للتعبير عن الحركات وتمثيلها.

يذكر الخطاط كامل البابا في كتابه "روح الخط العربي":

"إن الحرف العربي بشهادة المستشرقين والمؤرخين أنفسهم، هو أجمل حروف الدنيا، ثم هو إلى جانب هذا حرف اختزالي، بينما يكتب الحرف اللاتيني بتمامه، وفي الاختزال وفر في الوقت والمساحة. وفي الكتابة العربية حركات من فتحة وضمة وكسرة، وفي اللاتينية حرف صوتية (Voyelles)، والحركة أخصر من الحرف. فلو أردنا أن نكتب كلمة (قَلَمٌ) بالحرف اللاتيني لوجب أن نكتبها هكذا (kalamoun) فلا مندوحة عن استعمال ثمانية أحرف بدلا من ثلاثة. أما الضمّتان فوق الميم فقد تمثلتا بثلاثة حروف هي (oun). فالكتابة بالحرف اللاتيني كما نرى تأخذ مساحة أكبر، كما تستلزم وقتا أطول. والمساحة والوقت لهما قيمتها الكبرى في عصرنا الحاضر، وهي في ازدياد مع تقدم المدنية"[1].

وكما أشاد بتفوق الخط العربي على الخط اللاتيني من الناحية الاختزالية المستشرق "ريتر" أستاذ اللغات الشرقية في جامعة استامبول، فهو يقول:

"إن الطلبة قبل الانقلاب الأخير في تركيا كانوا يكتبون ما أتلو عليهم من محاضرات بسرعة فائقة لأن الحرف العربي اختزالي بطبيعته. أما اليوم فإن الطلاب يكتبون بالحرف اللاتيني، ولذلك فهم لا يفتأون يطلبون إليّ أن أعيد عليهم العبارات مرارا. إنهم معذورون ولا شك في ما يطلبون، لأن الكتابة اللاتينية لا اختزال فيها، فلا بدّ من كتابة الحروف بتمامها".

ثم أضاف قائلا:

"إن الكتابة العربية أسهل كتابات العالم وأوضحها، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل وتوضيح الواضح"[2].

وأما ما يتعلق بالناحية الجمالية للخط العربي فقد شهد بجماله وروعته عدد لا بأس به من العلماء والمؤرخين والباحثين وعدّوه من أجمل خطوط الدنيا وأروعها، كما شهدوا بتفوقه وتبوأه مكان الصدارة بين الخطوط العالمية. وعلى الرغم من أن ملك الروم لم يكن يعرف قراءة الخط العربي وكتابته، إلا أنه تأثر به جدا عندما رأى رسالة كتبت بالخط العربي. وقد أورد الصولي هذه القصة فهو يقول:

[1] كامل البابا، روح الخط العربي، ص: 15.
[2] نفس المصدر، ص: 16.

"كتب سليمان بن وهب كتابا إلى ملك الروم في أيام المعتمد، فقال: ما رأيت للعرب شيئا أحسن من هذا الشكل، وما أحسدهم على شيء حسدي إياهم عليه. والطاغية لا يقرأ الخط العربي وإنما راقه باعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه"[1].

وملك الروم لا يقرأ الخط العربي وإنما راقه باعتداله وهندسته

هذا، وقد اعتزّ الخليفة المأمون بالخط العربي وافتخر بجماله، فهو يقول:

"لو فاخرتنا الملوك الأعاجم بأمثالها لفاخرناها بما لنا من أنواع الخط، يقرأ في كل مكان، ويترجم بكل لسان، ويوجد في كل زمان".[2]

وقد تحدث المؤرخ الإنكليزي "أرنولد توينبي" عن تأثير الخط العربي على الخطوط العالمية الأخرى وانتشاره في مختلف بلدان العالم حيث يقول:

"لقد انطلق الخط العربي الذي كتب به القرآن غازيًا ومعلمًا مع الجيوش الفاتحة إلى الممالك المجاورة البعيدة، وأينما حلّ أباد خطوط الأمم المغلوبة. إن هذا العالم الإسلامي الذي امتدّ من بلادنا إلى ماوراء النهرين في تركستان شرقًا، إلى المغرب الأقصى بشمالي أفريقيا غربًا، قد أنجب عددا لا يحصى من أهل الفن الخالدين الذين تركوا على صفحات العصور ما حافظ على الطابع الإسلامي في هذه الرقعة الفسيحة من المعمورة"[3].

وعلى الرغم من ذلك كله، فإن الخط العربي يتفوق على غيره من الخطوط العالمية وخاصة، الخطوط اللاتينية، فهو يتميز بالاختزال والزخرفة الهندسية، وقد ساعدت في ذلك طبيعة الحروف العربية التي تتسم بالليونة والمرونة والمطاوعة على المدّ والاستدارة والانحناء. وقد منحته هذه العناصر جمالا وجاذبية تسبب في تنمية وجدان الخطاطين الفنانين وتنمية المهارات والاختراعات لديهم، كما يتميز الجمال في الخط العربي بتفردها بتلك اللمسات الروحانية التي ترتاح إليها النفوس، وتنعكس صفة المطلق من خلال ذلك

[1] محمد بن يحيى الصولي، أدب الكتّاب، ص: 45.
[2] كامل البابا، روح الخط العربي، ص: 16.
[3] نفس المصدر، ص: 17-16.

التكرار في الكتابة الذي لا يتوقف عن انتشار الزخرفة باتجاهات متعددة، فتصير الكلمات أو الحروف الخطية كأنها حرف واحد وذلك بشدة ارتباطها وتناسقها.

هذا، وقد واكب الخط العربي نهضة علمية ومعرفية في الحضارات العربية الإسلامية، نجد آثاره ملموسة في التراث العربي الإسلامي كالمساجد والعمائر الإسلامية والتحف المعدنية واللوحات والمخطوطات التي تحمل بين ثناياها سمات الفن الإسلامي والقداسة الدينية، فهي تعدّ من أهم الخصائص التي تميزه عن بقية الخطوط، فالخط العربي متفرد بهذه الميزة غير المتوفرة فيما عداه من خطوط العالم. كما تمكّن الطواعية الشديدة فيه الخطاط من القيام بعملية تراكيب وأشكال مختلفة حتى للكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة. وهكذا تبرز الارتفاعات والاستدارات في الحروف العربية مما تجعلها تحمل الصفات الزخرفية والشكلية، حيث إن تواري "الألفات" وتوزيعها على أوضاع معينة يعطي نوعًا من الأشكال الزخرفية والهندسية وكذلك الحال في بقية الحروف. وفضلا عن ذلك، إن الحرف العربي له شكل منفرد وشكل متصل حسب مكان الحروف في الكلمة مثل البداية والوسط والطرف، كما توجد هناك إمكانية تراكب الحروف فوق بعضها مما يساعد على استخدام مسافات قصيرة لكلمات وحروف كثيرة، وهذه الصفة مفقودة في الحروف اللاتينية التي لها شكل واحد.

وبالإضافة إلى ذلك، يتميز الخط العربي عن غيره من الخطوط الأخرى في العالم بقابليته للتزيين والتجميل والزخرفة، فتوجد في حروفه عناصر زخرفية وهندسية مما تجعلها أن تستخدم في تزيين واجهات المساجد وتجميل التحف المعدنية بخلاف الخطوط في اللغات الأخرى. ولذلك استعملها الفنانون المسلمون بشكل ملحوظ في الآثار الإسلامية وبالأخص منها المساجد والقصور والدنانير والدراهم والمحاريب وما شابهها، و هذا الاستخدام لم يكن محدودا في شبه جزيرة العرب، بل تجاوزها وانتشر في بلاد أوربا وإفريقيا وبلاد الهند وإيران وأفغانستان وما إلى ذلك من البلدان الآسيوية. كما كتبت بهذا الخط اللغات الأخرى العديدة مثل مجموع اللغات التركية والهندية والفارسية والإفريقية[1]، وذلك لأن حروفها انسيابية مترابطة، ولها خاصية فريدة في شكلها.

وكما أن كل أمة من الأمم العالمية تفتخر بما لديها من الفنون وتعتبرها جزءا من حضارتها وتراثها، فكذلك الأمة الإسلامية التي تفتخر بما لديها من الفنون الإسلامية وخاصة فن الخط العربي الذي يعدّ فنا

[1] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 47.

عربيا إسلاميا أصيلا، برع فيه الخطاطون والفنانون المسلمون وتفننوا وأدخلوا عليه التحسينات والعناصر الزخرفية حتى أصبح كأنه هندسة أو زخرفة عربية، كما أنهم بلغوا في أنواعه وتصميماته وزخارفه درجة العظمة والخلود. ولم تتداول أمة من الأمم الكتابة بهذا الشكل فجعلت منها فنا قائما بذاته كما تداولت الأمة العربية الإسلامية به وجعلته فنا أصيلا وأصلا لجميع الفنون، لأنه يستمد نبله وشرفه من كتابة آيات القرآن الكريم. وخلال مساره الطويل، قد عبر هذا الفن الجميل عن ملامح الحضارة العربية الإسلامية وعكس روحها وطبيعتها من خلال ما توجد في حروفه من حيوية البساطة وليونة ومرونة، ومدّ ورجع واستدارة وتشابك وتداخل وتركيب.

ومما يجدر بالذكر هنا أن الخط العربي لم يكتب خصائصه وميزاته إلا عن طريق التركيز والعناية والممارسة الطويلة والتدريب المستمر من قبل الخطاطين البارزين والفنانين البارعين. فقد وضعوا له القواعد وتفننوا تلاميذهم بها ووصفوا لهم جمال الخط العربي وروعته، حيث يذكر أحمد بن علي القلقشندي:

> "إذا كان الخط حسن الوصف، مليح الرصف، مفتح العيون، أملس المتون، كثير الائتلاف، قليل الاختلاف هشت إليه النفوس واشتهته الأرواح، حتى أن الإنسان ليقرؤه ولو كان فيه كلام دنيء ومعنى رديء، مستزيدا منه ولو كثر من سآمة تلحقه. وإذا كان الخط قبيحا، مجته الأفهام ولفظته العيون والأفكار، وسئم قارئه، وإن كان فيه من الحكمة عجائبها ومن الألفاظ غرائبها"[1].

ولم تبلغ جمالية الخط العربي ذروتها، إلا بعد أن هذبت قواعده وصنّفت أقلامه وأضيفت إليه التحسينات على يد كبار الخطاطين والفنانين، كما وضعوا شروطا لتحقيق الخط الجميل حيث يتحدث أبو حيان التوحيدي عن شروط جمالية الخط العربي بالتفصيل في رسالته تحت عنوان "رسالة في علم الكتابة":[2]

> "والكاتب يحتاج إلى سبعة معان: الخط المجرد بالتحقيق، والمحلى بالتحديق، والمجمّل بالتحويق، والمزين بالتخريق، والمحسّن بالتشقيق، والمجاد بالتدقيق، والمميز بالتفريق".

ثم قام بشرح هذه المعاني وتبيينها، فهو يقول:

[1] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص:21-20.
[2] أبو حيان التوحيدي، رسالة في علم الكتابة، ص: 33-32.

"أما المجرد بالتحقيق فإبانة الحروف كلها، منثورها ومنظومها، مفصلها وموصلها، بمداتها وقصراتها، وتفريجاتها وتعويجاتها، حتى تراها كأنها تبتسم عن ثغور مفلّجة، أو تضحك عن رياض مدبجة.

وأما المراد بالتحديق، فإقامة الحاء والخاء والجيم وما أشبهها على تبييض أوساطها، محفوظة عليها من تحتها وفوقها وأطرافها، كانت مخلوطة بغيرها أو بارزة عنها حتى تكون كالأحداق المفتحة.

وأما المراد بالتحويق فإدارة الواوات والفاءات والقافات وما أشبهها مصدرة وموسطة ومذنبة بما يكسبها حلاوة ويزيدها طلاوة.

وأما المراد بالتخريق فتفتيح وجوه الهاء والعين والغين وما أشبهها كيفما وقعت أفرادًا وأزواجًا، بما يدلّ الحس الضعيف على اتضاحها وانفتاحها.

وأما المراد بالتعريق فإبراز النون والياء وما أشبهها، مما يقع في إعجاز الكلمة مثل "من وعن وفي ومتى وإلى وعلى" بما يكون كالمنسوج على منوال واحد.

وأما المراد بالتشقيق فتكنف الصاد والضاد والكاف والطاء والظاء وما أشبه ذلك مما يحفظ عليها التناسب والتساوي. فإن الشكل بهما يصحّ ومعهما يحلو، والخط في الجملة كما قيل: هندسة روحانية بآلة جسمانية.

وأما المراد بالتنسيق فتعميم الحروف كلها مفصولها وموصولها بالتصفية وحياطتها من التفاوت في التأدية، ونفض العناية عليها بالتسوية.

وأما المراد بالتوفيق فحفظ الاستقامة في السطور من أوائلها وأواسطها وأواخرها وأسافلها وأعاليها بما يفيدها وفاقًا لا خلافًا.

وأما المراد بالتدقيق، فتحدد أذناب الحروف بإرسال اليد، واعتماد سنّ القلم، وإدارته، مرّة بصدره، ومرة بسنيه، ومرة بالاتكاء، ومرة بالإرخاء، بما يضيف إليهما بهجة ونورا ورونقا وشذورا.

وأما المراد بالتفريق، فحفظ الحروف من مزاحمة بعضها لبعض، وملابسة أول منها لآخر ليكون كل حرف منها مفارقا لصاحبه بالبدن، مجامعا بالشكل الأحسن.

ويختم أبوحيان شروط الخط الجميل، بشرط أساسي جامع حيث يقول:

"فهذه جملة كافية متى كان طبع الكاتب مؤاتيا، وفعله مواطئا، وقريحته عذبة، وطينته وطئة".

وكما يتسم الخط العربي بحسن شكله وجمال هندسته وترابط حروفه وبديع نسقه وتجليل حروفه وتدقيقها، فهو يعتبر من أجمل خطوط الدنيا وأحسنها، وقد جعلته هذه الصفات محبوبا مفضّلا لدى الأجانب والمستشرقين.

وكما يقول محمد طاهر الكردي:

"فنقول الخط العربي بجميع أنواعه المتعددة هو أرقى وأجمل خطوط العالم البشري على وجه البسيطة فإن له من حسن شكله وجمال هندسته وبديع نسقه وجاذبية صورته ما جعله محبوبا محترما لدى الأجانب الغربيين فضلا عن مكانته بين المسلمين الذين هم في مشارق الأرض ومغاربها والذين هم لا يزالون يخدمونه ويتفننون فيه ويبتكرون له صورا وأشكالا بديعة. وما أحسن وأدق قول الكندي وهو من أهل القرن الثالث للهجرة. لا أعلم كتابة تحمل من تجليل حروفها وتدقيقها ما تحمل الكتابة العربية ويمكن فيها من السرعة ما لا يمكن في غيرها من الكتابات"[1].

هذا، وقد أقرّ المستشرقون والكتاب الأجانب ما لحروف الخط العربي من حسن وجمال وروعة وبهاء وما إلى ذلك من الخصائص البارزة، حتى قام بعضهم بالدفاع عن الكتابة العربية وشهدوا بتفوقها على جميع الخطوط العالمية. فالخط العربي يمتاز بقابلية تشكله بأي شكل هندسي ويصلح لأن يُركّب في أي صورة بحيث لا تختلف ما هيته ولا يتغير جوهره. وكثيرا ما كان الشعراء يشبّهون أعضاء المحبوب بالحروف العربية فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والفم بالميم وما إلى ذلك. وليس كل شخص أن يطلع على هذا الأمر، بل يميّز ذلك من نبغ في فن الخط وصار خبيرا في أسراره وخفاياه.

وفضلا عن هذه الخصائص للخط العربي إن الله تعالى قد أودع للحروف الهجائية العربية أسرارا عجيبة وتصرفات غريبة سواء كانت إفرادا أو تركيبا، فعلى هذه الأحرف العربية يتوقف نجاح الطلاسم وعمل

[1] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 160.

السحر، وهذه الخصوصية غير متوفرة في الحروف الأجنبية على الإطلاق. وتصلح الحروف العربية لأن تدلّ على الأرقام الحسابية وتقوم مقامها على الوجه الأتم، لأن فيها تسعة أحرف للآحاد وتسعة أحرف للعشرات وتسعة أحرف للمئات وحرف واحد للألف، وهذا ما يطلق عليه حساب "أبجد"، وترتيبه: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ. وبعض حروف الخط العربي تنوب عن بعض، كما توجد كثير من الكلمات مترادفة المعنى، أما اللغة الأجنبية فهي تفقد هذا المعنى وهي في دائرة محصورة[1].

وقد مرّ الخط العربي منذ نعومة أظفاره إلى ما هو عليه الآن بفترات طويلة، وخلال هذه الفترات إنه تشكل بأشكال مختلفة فحروفه كانت متباينة، كما اتسمت هذه الحروف بالليونة واليبوسة في البداية، ونجد آثارها ملموسة في الخط الكوفي والخط النسخي. وقد أتيح لفنان مسلم أن يخضع هذه الحروف لحاسته الفنية بالتطويل والتمديد تارة وبالحشو والفراغ تارة أخرى وبالتبسيط والتسلسل تارة ثالثة، حتى تمكن من إخراج صور جميلة فنية ورسوم رائعة خلّابة اشتهرت وسادت في كل بقعة من بقاع الأرض، وأعجب بها العالم كله، وأصبحت أحد أهم وأبرز الفنون التي أهدتها الحضارة الإسلامية إلى العالم. وهكذا حظي الخط العربي برعاية المؤرخين والباحثين والنقاد الغربيين، فأوضحوا تأثير هذا الفن الجميل على الفنون الأوربية بأشكال مختلفة، وعلى كافة الصناعات ومنتجاتهم الفنية المختلفة. فقد بهر مظهره البديع وجماله الفني أنظار العرب والمسلمين وشاركهم في ذلك الأوربيون مشاركة فاعلة.

يقول عبد الجبار محمود السامرّائي:

> "يعتبر الحرف العربي بسحره وغموضه من أغنى ما قدمته حضارة العرب إلى تاريخ الفن الأوربي. ولقد سلك الخط العربي رحلته من معاقل الفن في العالم العربي إلى مختلف بلاد أوربا خلال تلك المعابر التي انتقلت من خلالها كافة نواحي الثقافة العربية إلى الغرب، محمولا على أكتاف شتى، أنواع الإنتاج الفني العربي من طرز معمارية، إلى منسوجات، إلى أوان خزفية وغيرها. وما لبث الخط العربي أن لفت أنظار فناني أوربا وبهرهم مظهره البديع وجماله الفني، وقيمته التشكيلية الفائقة التي ترتكز على التناسق في تكراره، والاتزان في تماثله، والإيقاع في ترديده، ولم يقف اهتمامهم هذا على الاستمتاع فحسب، بل راحوا يتابعون تطوره ويقتبسون منه، حيث نقشت حروفه على كافة الصناعات والفنون الأوربية بأشكال مختلفة حتى أن

[1] محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، ص: 170-165.

شهادة (لا إله إلا الله) كانت أحيانا تكتب معكوسة كنقوش على قطع الحلي والعملة والأواني"[1].

وهكذا، يتصف الخط العربي بالخصائص والميزات التي تجعله أن يستخدم في جميع المنتجات التقنية والزخارف الخطية، كما تجعل منه عنصرا زخرفيًا، يحقق الأهداف الفنية. فالخط العربي عندما تطور في العصر العباسي، وامتدت حروفه واستطالت، بدأت التشكيلات الورقية النباتية ذات الأشكال الأنيقة تستخدم في ملء تلك الاستطالات حتى لا تبقى مجردة جافة. وقد كان هذا الزخرف النباتي في بداية الأمر امتدادا لأواخر الحروف ليتحد معها في مظهرها الجمالي في الطول والسمك. كما أخرج الفنانون المبدعون الفروع النباتية من جسم الحروف نفسها، وظهرت الحروف القوية محفورة على أرضية رقيقة من أوراق الأزهار والفروع المتشابكة".[2]

خصائص الخط العربي في عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي: إن الخط العربي في عصر ما قبل الإسلام لا يختلف شكله عن ذلك الذي وجد في العصر الإسلامي وذلك لأن الخط في هذه الفترة كان في مرحلة البداية، ولم يكن منتشرا على نطاق واسع بل كان يستخدم في الكتابة على شواهد القبور وتدوين الدواوين وتسجيل حسابات البيع والشراء والديون، إلا أنه طرأ عليه شيء من التغيير في العصر الإسلامي حيث أصبح أكثر وضوحًا واستقامةً.

وقد عبّر عن هذه الفكرة يحيى وهيب الجبوري:

"إن الكتابات التي جاءت من العهد الإسلامي زمن الرسول والخلفاء الراشدين، لا تختلف كثيرا عن الكتابات الجاهلية، فإن معظم الحروف العربية في صدر الإسلام هي نفسها الحروف التي كانت معروفة في الجاهلية، وقد طرأ عليها شيء من التطور والتغيير، بحيث أصبح أكثر وضوحًا وارتباطًا واستقامةً، كالألف والدال والهاء والتاء، وقد ظهر الإعجام في بعض الحروف، لتوضيح الفرق بين الحروف والحروف المشابهة لها في الرسم"[3].

[1] عبد الجبار محمود السامرّائي، "أثر الخط العربي في الفن الأوربي"، مجلة المورد، مج 15، العدد 4، 1986م، ص: 103.
[2] عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص: 76.
[3] يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص: 55.

ومما لا شك فيه أن الكتابات في عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي يختلف خطها حسب المواد التي كتبت عليها مثل البرديات والأحجار والرقوق والعظام وما إلى ذلك من المواد التي كانت متوافرة آنذاك. فاختلف خطها من حيث ظهور الليونة واليبوسة في أشكال بعض الحروف، وذلك لتحكم المادة المكتوبة عليها، وبجودة خط الكاتب وبراعته الفنية، أما من حيث الصفات الأساسية للكتابة، فلا يوجد هناك فرق كبير في كل من هذين العصرين.

ويمكن تلخيص خصائص الخط العربي في هذين العصرين كما يلي:

1. **حذف الألف من بعض الكلمات:** تعتبر هذه الخصوصية من أهم خصائص الخط العربي في عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي، فتوجد هناك بعض الكتابات الخطية المكتوبة على البرديات والأحجار والرقوق التي توحي تمامًا بتلاشي حرف الألف من بعض الأسماء عند وقوعها في وسط الكلمة، مثل "الكتب وجمدى وثلثين" أي الكتاب وجمادى وثلاثين في النقش المتمثل في قبر عبد الرحمن بن خير الحجري، المؤرخ في سنة 31هـ. وكما حذفوا الألف الممدودة في المصاحف العثمانية من ألفاظ كثيرة، مثل عبد الرحمن بدلًا من عباد الرحمن (سورة الزخرف)، وملك يوم الدين بدلًا من مالك يوم الدين (سورة الفاتحة).

2. **كتابة التاء المربوطة تاءً مبسوطة:** يمتاز الخط العربي في هذه الفترة بأن التاء المربوطة قد استخدمت في بعض الأسماء تاء مبسوطة. فقد تم العثور على عدة كتابات في المكتشفات الأثرية التي تدلّ على استعمال التاء المربوطة في مكان التاء المبسوطة، مثل سنت بدلا من سنة في الكتابة على شاهد قبر عبد الرحمن بن خير الحجري. وكذلك في المصاحف العثمانية، مثل إن رحمت ربك (سورة الأنعام) وتمت كلمت ربك (سورة الأعراف) ونعمت الله (سورة آل عمران) ولعنت الله (سورة آل عمران).[1]

3. **خلوه من علامات التشكيل والنقط:** معظم الكتابات الخطية التي تم العثور عليها في التنقيبات والتي يرجع تاريخها إلى عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي، تتميز حروفها بأنها خالية من علامات التشكيل والإعجام، إلا أنها توجد هناك بعض الكتابات الخطية التي تتوافر فيها علامات التشكيل والنقط في بعض الكلمات وفي بعض الحروف من الكلمة، كما ظهر في بردية سنة 22هـ.

[1] يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص: 70.

4. **ربط الحروف**: تتميز بهذه الخصوصية المصاحف وبالأخص منها المصاحف العثمانية التي أمر بكتابتها عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأرسلها إلى الأمصار، وقد كتبها زيد بن ثابت رضي الله عنه، وكانت خالية من النقط والشكل والتحلية[1]، إلا أن حروفها ربطت في الكلمة الواحدة، إلا الحروف التي لا تربط.

5. **تعويج الألفات**: يتميز الخط العربي وخاصة الخط المكي والمدني بتعويج الألفات، فيوجد في كل من هذين الخطين تعويج إلى يمنة اليد وأعلى الأصابع، كما كان في شكله انضجاع يسير.

يقول ابن النديم:

> "فأول الخطوط العربية الخط المكي وبعده المدني ثم البصري ثم الكوفي، فأما المكي والمدني ففي ألفاته تعويج إلى يمنة اليد وأعلى الأصابع، وفي شكله انضجاع يسير"[2].

وإضافة إلى هذه الخصائص والميزات، توجد هناك أيضا بعض السمات التي يتحلى بها الخط العربي في هذه الفترة البدائية، فهو يتميز بالكتابات المطموسة وعدم تناسب المسافات بين حروف بعض الكلمات وعدم انتظام السطور، فضلا عن الحروف الطويلة والمدوّرة والضخمة.

خصائص الخط العربي في العصر الأموي: طرأ على الخط العربي في العصر الأموي بعض التغيير والتطور، وكثرت الأقلام وتنوعت المواد، فاختلفت الكتابات الخطية باختلاف الأقلام ومواد الكتابة. وظهرت على المساجد والمحاريب والقباب والقصور والأبنية والتحف المعدنية والمسكوكات، وأصبحت عنصرا زخرفيا استخدمه الخطاطون الفنانون في تزيين المصاحف وزخرفتها. وانتشر الخط العربي مع انتشار اللغة العربية في الأقاليم المفتوحة، وصارت الكتابة بالخط العربي وانتشرت في كافة أنحاء الدولة الإسلامية. كما حظي الخط العربي في هذا العصر بعناية الخلفاء والوزراء والأمراء الأمويين، فاستخدموه للكتابة في المراسلات والدواوين والنقود درهمًا ودينارًا، والكتابة على العمائر والتحف وكتابة المصاحف الشريفة.

وقد ساعد التنوع في الأقلام العربية في إبراز خصائص بارزة جديدة للخط العربي في هذا العصر، فعندما أخذ الخط يسمو ويرقى ويتحسن مع ظهور الترف والتحضر في هذا العصر، بدأت تتغير أوضاعه وتبرز خصائصه التي يتميز بها عن تلك التي يتمتع بها الخط العربي في عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي. وهذه الخصائص تتلخص فيما يلي:

---

[1] يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص: 68.
[2] ابن النديم، الفهرست، ص: 8.

1. **اليبوسة:** يتميز الخط العربي في هذا العصر باليبوسة، فتوجد هناك بعض الكتابات الخطية التي تشير إليها، كما توجد آثارها ملموسة في نقش سدّ معاوية الذي وجد بالقرب من الطائف بالحجاز، وقد بناه معاوية بن أبي سفيان سنة 58هـ[1]. يلاحظ في كتابة هذا السدّ أنها مكتوبة بالخط اليابس.

والمراد باليبوسة الحروف المبسوطة[2]، أو التي تتصف بالتربيع[3]، أو الخط الجاف الذي يميل إلى التربيع أو – كما يسمى أحيانا – الخط ذو الزوايا أو الخط المزوى[4]. وتصلح هذه الكتابة المتسمة باليبوسة للكتابة على مواد صلبة كنقوش العمائر والكتابات الحجرية وشواهد القبور وأميال الطريق.

2. **ظهور علامات التشكيل والنقط:** ظهرت علامات التشكيل والنقط في الخط العربي في هذا العصر، وهو من أبرز الخصائص التي يمتاز بها الخط العربي عن ذلك الذي وجد في عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي. وقد لوحظ ظهور النقط في نفس السدّ الذي بناه معاوية بن أبي سفيان سنة 58هـ. ولعلها أولى كتابة عربية حجرية ظهر فيها النقط حتى الآن.[5] وبالإضافة إلى ذلك، توجد هناك بعض المصاحف التي تتميز بعلامات التشكيل والنقط كمصحف عقبة بن عامر، ومصحف حديج بن معاوية، ومصحف الحسن بن علي، ومصحف الحسين بن علي، ومصحف زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[6].

وعلى الرغم من ظهور علامات النقط والتشكيل في هذا العصر إلا أنها لم تكن شائعة على نطاق واسع بل استخدامها كان محدودا في بعض الكتابات الخطية مثل الكتابات الحجرية قرب الكوفة وكتابات الحجاز.

3. **الليونة:** بدأت الليونة تظهر في الخط العربي بصورة عفوية منذ صدر الإسلام، إلا أن الليونة في الكتابة قد ظهرت بشكل واضح في العصر الأموي، وذلك لازدياد الحاجة إلى الكتابة السريعة وخاصة في

[1] يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص: 79.
[2] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص: 11.
[3] إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص: 52.
[4] عبد العزيز مرزوق، "المصحف الشريف دراسة تاريخية فنية"، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج20، 1970م، ص: 95.
[5] صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ص: 101.
[6] يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص: 90-89.

المراسلات والعقود وغيرها من الكتابات التي لا تتطلب التجويد والتأني في الكتابة. ويراد بالليونة أن تكون الحروف مقوّرة[1]، أو التي تتصف بالتدوير[2].

4. **تساوي المسافات بين الحروف والأسطر**: هو من أبرز الخصائص التي يتصف بها الخط العربي عما كان عليه في العصر الإسلامي والعصر الجاهلي. فالكتابات الخطية الأموية التي وجدت على مواد مختلفة، تتجلى فيه مراعاة المسافات بين الكلمات وبين الأسطر وبين الحرف والحرف الآخر الذي يليه بشكل جيد.

5. **ظهور المدات في بعض الحروف**: ظهرت المدات في بعض الحروف العربية في هذا العصر، مما أضافت إلى الكتابة حسنًا وتفخيما من جهة، وحافظ على انتظام السطور وجمال شكلها من جهة أخرى. ومدّ الحروف في الكتابة يسمّى المشق[3]. والمشق سلاسة الخطوط وسرعتها وامتدادها، ولذلك فهو خط ليّن ولكنّه كان مترديا في عهد الخلفاء الراشدين[4].

خصائص الخط العربي في العصر العباسي: وصل الخط العربي في هذا العصر مرحلة متقدمة من النضج والإتقان، وذلك لأن الخطاطين الفنانين قد ركّزوا عنايتهم على تهذيب قواعده وتحسين حروفه، كما كثر الخطاطون في هذا العصر، فتفننوا في أقلامه وأضافوا إليه التحسينات وأدخلوا فيه الزخارف النباتية والهندسة الفنية لما توجد في طبيعة حروفه من العناصر الزخرفية والليونة والمرونة والجمال والرشاقة. وكما أنه ذو قابلية للتشكيل والتصنيف، فالخط العربي يتصف بطبيعته بعناصر الرسم الفني لما فيه من قوة الانسجام والترابط مع بعضه البعض، فهو يستوحي جماله من جمال الطبيعة وما فيها من نبات دقيق وأغصان مورقة وألوان هادئة.

وعلى هذا، فإن الخط العربي في هذا العصر لقد تعددت خصائصه وتنوعت سماته لتعدد أنواع الخطوط وتنوع أقلامها فيه. فقد أصبح لكل خط خصائص متميزة ولكل قلم سمات بارزة نتيجة لما استوعب من صور الإبداع ما استوعب، فأترع بالزخرفة، وأثرى بالتلوين والتزويق والتذهيب. وتتلخص هذه الخصائص فيما يلي:

[1] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، ص: 11.
[2] إبراهيم جمعة، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص: 52.
[3] محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج26، باب القاف، مادة مشق، ص: 393.
[4] عفيف البهنسي، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ص: 139.

1. **الجمال والزخرفة:** يعتبر الجمال والزخرفة من أبرز الخصائص التي يتميز بها الخط العربي في العصر العباسي، و قد تميّز بهذه الصفة الخط الكوفي بأنواعه الفنية، مثل الكوفي المورق والكوفي المخمل والكوفي المضفّر والكوفي الهندسي الأشكال، كما تميز بها خط الثلث الذي يعدّ من أصعب الخطوط، والخط النسخي الذي استخدم في التحف المعدنية والخشب وما إلى ذلك من المنتجات الفنية الإسلامية.

2. **الاستدارات والامتدادات:** ظهرت الاستدارات والامتدادات في الخط العربي في العصر العباسي، ويعتبر الخط النسخي من أبرز الخطوط التي يمتاز بهذه الخصائص البارزة. واستخدم هذا النوع من الخط في نسخ القرآن الكريم والمؤلفات، وكذلك يتمتع قلم غبار الحَلَبة بهذه الصفة، فهو قلم مستدير ليس فيه شيء مستقيم[1].

3. **الاستقامة:** تعدّ الاستقامة من أبرز خصائص الخطوط العربية في العصر العباسي. وقد اتصف بهذه الميزة خط الثلث الذي كثيرا ما كتبت به المصاحف القديمة وأسماء الكتب المؤلفة وبدايات أجزاء الكتب[2]، وقلم الطومار الذي ليس فيه شيء مستدير، والخط الكوفي الذي يتميز حروفه بالاستقامة الرأسية والأفقية، وخط الرقعة الذي تتمتع حروفه باستقامة أكثر.

4. **التشكيل:** يكثر استعمال التشكيل في خط الثلث، فهو يتميز بهذه الخصوصية عن بقية الخطوط، ويكون التشكيل بثلاثة أقلام، قلم هو نفس سمك الكتابة، ثم قلم أقلّ وقلم أقلّ[3]. وقد يحتمل الخط النسخي التشكيل، ولكن أقلّ من الثلث، وكذلك يحتمل خط الإجازة أو التوقيع التشكيل مثل الثلث. فهو يزيد الخط حسنًا ورونقًا.

5. **المرونة:** يتميز بها العديد من الخطوط العربية في العصر العباسي، ومن أبرزها خط الثلث الذي يمتاز عن خط النسخ بكثرة المرونة، والخط الكوفي المصحفي الذي يوجد فيه كثير من المرونة[4].

الخصائص العامة للخط العربي

1. قابلية الحروف العربية للمد والرجع والاختصار.

---

[1] يحيى وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ص: 130.
[2] عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص: 49.
[3] مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الخط العربي من خلال المخطوطات، ص: 47.
[4] نفس المصدر، ص: 47، 50.

2. تتصل الحروف العربية بعضها ببعض، بينما لا تتصل الحروف اللاتينية أو الأجنبية بعضها ببعض.
3. يخضع الخط العربي للتشكيل، سواء للتشكيل الهندسي أو النباتي أو الحيواني أو المعماري.
4. تتنوع الحروف العربية حسب أسلوب الكتابة وموادها.
5. تتسم الكتابة العربية بالنقط والتشكيل مما يساعد على عملية الاتزان ويكسوه لباس الجمال والزينة.
6. تشترك الحروف العربية في أجزائها مع غيرها من الحروف.
7. الحروف العربية تصلح للدلالة على الأرقام الحسابية.
8. تتصف الحروف العربية بالطواعية وتصلح لعملية التكوينات الإبداعية بأشكال معقدة مع إمكانية رفع بعض حروفها فوق بعض.
9. إن كل حرف منطوق يقابله حرف مكتوب.
10. يحمل كل حرف من الحروف العربية في كل نوع من أنواع الخطوط شكلين على الأقل.
11. الحروف العربية تربط بعضها مع البعض في جميع الأحوال، ولا يمكن كتابتها على حدة، ويتمكن القارئ من قراءتها بكل سهولة ويسر لكون حروفها واضحة أثناء القراءة.
12. تتميز الحروف العربية عن غيرها من حروف اللغات الأخرى بأنها لا تنطق نطقًا سليمًا إلا إذا تم تشكيلها.
13. يتوفر الانبساط والانتصاب في طبيعة الحروف.[1]

ومهما يكن من الأمر، فإن الخط العربي يتفوق على جميع الخطوط العالمية وذلك لما تتمتع به حروفه من القدرة على الصعود والنزول والانتصاب والانبساط والمرونة في تغير أشكال الحروف نفسها. وكما يتمتع الخط العربي نفسه بسمات خاصة تجعله متميزا عن غيره من الفنون الأخرى، ومن أبرز هذه الصفات صفة التجريد في الحروف واستقلاليتها، وهو الشيء الذي لا يوجد في أي فن آخر. فهو يعتبر من أبرز الفنون التشكيلية العربية، وتتميزر حروفه عن غيره من الخطوط بخصائص عديدة تجعله يتفوق عليها وتجعل العرب يتميزوا عن الحضارات الأخرى ويتفوقوا عليها في هذا الجانب.

[1] حمود جلوي المغري ونايف مشرف حمد الهزاع، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ص: 29.

خاتمة البحث

في ضوء ما مرّ بنا في هذه الدراسة من أفكار ومعان وأقوال وآراء ونظريات حول الخط العربي وتطوره في عصوره المبكرة، يجدر بنا أن نقول إن الخط العربي هو تراث عربي إسلامي أصيل، بل هو روح الأمة الإسلامية التي بثها الإسلام فيها، وحفز المسلمين على تعلم الخط والكتابة لما لها أهمية كبرى في تدوين الأفكار والآراء وتسجيل الأخبار والدواوين وكتابة المصاحف الشريفة والأحاديث الكريمة ووضع الكتب والمخطوطات وما إلى ذلك من الأغراض والمقاصد. فالخط العربي في عصر ما قبل الإسلام أو في العصر الإسلامي لم يكن وضعه متحسنا ولم يكن يستخدم بشكل واسع النطاق بل كان استخدامه محدودا في أغراض قليلة. ولكن عندما جاء الإسلام وانتشرت تعاليمه، بدأ الناس يهتمون بالكتابة واستخدموها لأغراض مختلفة، أهمها كتابة المصاحف وكتابة العهود والمواثيق. وحينما فتحت الممالك والأمصار وتوسع نطاق الدولة الإسلامية وانتشرت العلوم والفنون، انتشر معها الخط العربي ودخل البلاد الإسلامية المفتوحة حتى تحسن وضعه وكثرت أنواعه وتنوعت أقلامه في أواخر العصر الأموي. أما في العصر العباسي فقد تطور فيه الخط العربي تطورا ملحوظا وازدهر ازدهارا كبيرا حتى بلغ عدد الأقلام العربية إلى أوائل الدولة العباسية إثني عشر قلما، وبلغ الخط العربي في هذه الفترة غاية الإتقان والجودة وأصبح آية في الجمال والروعة.

هذا، وقد استخدم الخط العربي في هذين القرنين أي في القرن السابع والثامن الميلادي لأغراض مختلفة حسب نوعية الخط وأنواع حروفه. فتارةً استخدم في تدوين الآيات القرآنية والرسائل النبوية وتوثيق المعاهدات والاتفاقيات وكتابة العهود والوثائق كما في العصر الإسلامي، وتارةً أخرى استعمل في الكتابة على واجهات المساجد والقباب والمآذن والتحف المعدنية والمسكوكات والدراهم والدنانير والأقمشة والسجاجيد وشواهد القبور والأضرحة والمنازل والمنسوجات والتحف الأثرية كما في العصر الأموي والعصر العباسي. كما زينت في هذه الفترة أيضا المصاحف والمساجد والقصور والقطع الفنية بالعبارات الجميلة الرشيقة بالخط العربي الساحر. ولا نبالغ إذا نقول إن الخط العربي قد خرج في هذه المرحلة من

الكتابة التقليدية إلى الكتابة الفنية وإلى أغراض جمالية أخرى مثل التزيين والزخرفة والنقش والهندسة المعمارية، كما لعب الخط العربي دورا رئيسيا في تطوير الفن العربي الإسلامي، وذلك من خلال نقش وتزيين القصور الفخمة والتحف العربية والإسلامية بالحروف العربية التي تتميز عن غيرها من الحروف بالحيوية والمرونة.

أما المواد التي استخدمتها الحضارات القديمة والشعوب المتنوعة في مختلف البقاع والأزمنة، فهي تتنوع حسب تنوع الزمان والمكان، فتارةً استخدم الحجر والطين وأوراق البردي كمادة للكتابة، وتارةً أخرى استعملت الرقوق والجلود لتسجيل المعارف والعلوم عليها، وتارةً ثالثة استخدمت العظام ولحاء الشجر والعسب واللخاف والنحاس والحديد لنحت الأفكار والآراء عليها. وهي تعدّ من المواد الأولى المبكرة التي كتب عليها الإنسان فكره ودبّج عليها حضارته وأمجاده. كما استخدموا الأوراق التي أحدثت ثورة كبرى في دنيا الكتابة وغيرت وجه الحضارة الإنسانية، وهي تعدّ من أحدث المواد للكتابة. وأما آلات الكتابة فهي تعتبر سرّ الخطوط الجميلة وجوهرها، وهي تشمل القلم والمداد والحبر والمحبرة والدواة والمقلمة والمدية والمقط والملواق والمرملة والمنشأة والمنفذ والملزمة والمفرشة والممسحة والمسقاة والمسطرة والمصقلة والمهرق والمسنّ. كما استخدمت الشعوب القديمة في بلاد الرافدين آلة مثل الإسفين للكتابة المسمارية.

وعلى الرغم من أن الحضارة العراقية هي أقدم الحضارات الإنسانية قاطبة ويعود لها الفضل في اختراع أدوات الكتابة وموادها، إلا أن المسلمين العرب لم يألوا جهدا في رعايتها واهتمامها، فقد استخدموها وتفننوا فيها وابتكروا أدوات جديدة وأقلاما مختلفة. وكانوا يعملون بحماس نحو تجديد أدواتهم، وكانت محاولاتهم التجريبية تنطوي على عزيمة راسخة في اكتشاف أدوات ومواد أكثر رقيًا وأكثر قدرةً على الإسهام في حفظ المعارف والعلوم ونقلها إلى الأجيال المتعاقبة. كما تعلّموا صناعة الورق من بعض الأسرى الصينيين في الشام وتفننوا في صناعته حتى أنشأ الخليفة "هارون الرشيد" أول مصنع لها سنة 793م في بغداد.

وهكذا، فإن الخط العربي قد تنوعت أقلامه وكثرت أنواعه في هذين القرنين. ومن أقدم هذه الأنواع الخط الكوفي الذي نشأ أولا في الحجاز واستخدم على شكلين، وهما الشكل المقور والشكل المبسوط. ويسمى الشكل المقور باللين وبالنسخي، وهو خط كثر استعماله في المراسلات والكتابات الاعتيادية والرقاع. أما الشكل المبسوط، وهو ما يسمى باليابس، فقد استخدم في معظم الأحيان في كتابة المصاحف الكبيرة وفي النقش على المحاريب وأبواب المساجد والمعابد وجدران المباني الواسعة. وبالإضافة إلى ذلك، توجد هناك أنواع عديدة للخط الكوفي منها ما نسب إلى المدن التي نشأ بها، مثل: المكي والمدني والأندلسي والقيرواني والعراقي والشامي والمصري وغيرها. وقد اتخذت هذه الأنواع في كل بيئة طابعا متميزا واصطبغت بالأثر المحلي، فالخط الكوفي الأندلسي يختلف عن الخط الكوفي القيرواني، وهذان يختلفان عن الخط الكوفي في العراق والشام.

وقد ظهرت في العصر الأموي أقلام وأنواع عديدة للخط العربي، ومن أبرز هذه الأقلام القلم الجليل وقلم الطومار، وابتكرهما قطبة المحرّر الذي كان أكتب الناس على الأرض بالعربية في الدولة الأموية. كما ابتكر في بداية العصر العباسي إثنا عشر قلما، وهي القلم الجليل وقلم السجلات وقلم الديباج وقلم الطومار الكبير وقلم الثلثين وقلم الزنبور وقلم المفتح وقلم الحرم وقلم المؤامرات وقلم العهود وقلم القصص وقلم الخرفاج، إلا أن هذه الأقلام كلها تولدت من الأقلام الأصلية، وهي قلم الطومار وقلم الثلثين وقلم النصف وقلم الثلث. وعلى الرغم من تواجد هذه الأقلام كلها في بداية العصر العباسي، إلا أن الخط النسخي وخط الثلث قد انتشرا انتشارا واسعا وسادا في معظم البقاع الإسلامية وتغلبا على جميع هذه الأنواع من الأقلام العربية.

وهذه الأنواع الخطية العربية بأجمعها قد دفعت بالخط العربي إلى قمة الإبداع الفني وذروة الجمال والروعة، وجعلته أن يستخدم في الهندسة المعمارية والزخرفة الفنية والرقش العربي وغيرها من الفنون التشكيلية الأخرى، حتى تأثر به رسّامون أوربيون كبار وكتبوا في لوحاتهم بأشكال الخط العربي جملًا كاملةً دون أن يفهموها، إعجابًا بالخط العربي الساحر الذي أينما ظهر بهر.

والفضل في انتشار الخط العربي وتطوره وازدهاره وبلوغه غاية الإتقان والجودة وأخذه أشكالا متنوعة وخروجه من موطنه إلى مواطن أخرى، يرجع إلى الكتّاب والخطاطين الذين برزوا في ساحة الخط والكتابة وأبدعوا فيهما، كما ابتكروا أنواعا جديدة للخط العربي وهذّبوا قواعده وأدخلوا التحسينات عليه. ففي العصر الإسلامي دبّج الصحابة رضي الله عنهم الآيات القرآنية والرسائل والعهود والوثائق بهذا الخط الجميل. أما في العصر الأموي فقد برز قطبة المحرّر الذي كان أكتب الناس على الأرض، ومالك بن دينار الذي كان يكتب المصاحف بخط جيد، وخالد بن الهيّاج الذي كان يكتب المصاحف والأخبار والشعر للوليد بن عبد الملك. أما في بداية العصر العباسي فقد انتقلت رئاسة الخط العربي من قطبة المحرر إلى الضحاك بن عجلان واسحق بن حمّاد. وقد قام كل من هذين الخطاطين بتطوير الحروف العربية وابتكار الأنواع والأقلام الجديدة، كما برزت من بعدهما كوكبة من الخطاطين الذين تركوا وراءهم أعمالا هامة، ولا تزال آثارهم باقية على جدران المساجد والمآذن والمصاحف، ومن أبرزهم الوزير محمد بن علي بن مقلة وعلي بن هلال المعروف بابن البواب وياقوت بن عبد الله المستعصمي في أواخر الدولة العباسية. وقد انتشر الخط العربي عنهم في مشارق الأرض ومغاربها وضرب بهم المثل في حسن الخط.

وكما أن مصادر دراسة الخط العربي تنحدر من أصلين؛ الأصل النظري والأصل المادي الأثري، فقد كثرت الأقوال وتضاربت الآراء حول أصله واشتقاقه. وذهب الباحثون والمؤرخون مذاهب شتى في الكشف عما وجد في نشأتها من غموض وإبهام. فالأصل النظري يعتمد على الأخبار والروايات التاريخية المرتكزة بشكل ملحوظ على تاريخ بداية الكتابة العربية وكيفية ظهورها، إلا أن هذه النصوص كثيرا ما تعتمد على الافتراضات والاجتهادات والآراء المتوارثة، وإذا كان أكثرها صحيحًا، فإن فيها ما لا يقبله العقل، ويوجد فيها الاختلاف والتباين جليًا وملحوظًا، كما تندرج تلك الروايات في قائمة الغرابة والتناقض فيما بينها. أما الأصل المادي الأثري فهو يعتمد على الشواهد والمكتشفات الأثرية التي تتمحور بشكل رئيسي حول اشتقاق الخط العربي وأصله. وصار في ذلك الباحثون والمؤرخون فريقين، فريق يرى أن الخط العربي مشتق من الخط المسند الذي يعرف باسم الخط الحميري، وفريق يؤكد أن الخط العربي مشتق من الخط النبطي الذي كان العرب الأنباط قد استخدموه. وقد استدلّ كل من هذين الفريقين

بالشواهد والمكتشفات الأثرية التي تم العثور عليها في أنحاء متفرقة من بلاد العرب على مرّ العصور. وبعد دراسة هذه الآراء وتلك الأقوال المعتمدة على الشواهد والمكتشفات الأثرية حول أصل الخط العربي واشتقاقه، وصلت إلى نتيجة أن الخط العربي — إن كان قد بدأ تاريخه من الخط المسند — قد اشتق وتطور عن الخط النبطي. فمن المتعارف عليه تاريخيًا أن حضارة العرب الأنباط الممتدة من البتراء في الشمال إلى مدائن صالح في الجنوب استمدت نظام كتابتها من الآراميين والتي بدورها يمكن تتبع أصولها إلى الفينيقية ومن ثم الكتابة المصرية القديمة. وذلك لأن الحضارة اليمنية قد بدأت تتدهور سيادتها نتيجة للنفوذ الشمالي في تلك البقاع، فتقلصت اللهجات الجنوبية وحلت محلها اللغة الشمالية التي تسربت إليها. كما تدلّ على ذلك النقوش التي وجدت في أم الجمال والنمارة وحران وزبد وأسيس، والتي يمتد تاريخها إلى أربعة قرون.

هذا، وقد وجدنا أن هذه المراحل التي مرّ بها الخط العربي من مرحلة نقش أم الجمال الأول إلى مرحلة القرن الأول الهجري، تمثّل سلسلة من تغير حروف الخط العربي وتطورها، إلا أن العناصر التي كان يتألف منها الحرف العربي بقيت كما هي، ولم تتغير سوى في اتجاه رسم الحرف وتقويره وتبسيطه واتصاله وانفصاله في المواضع. وهذه طبيعة الحرف العربي الذي اتخذ اتجاها حادا في التطور مع تطور الحضارة العربية. فخلال القرن الأول للهجرة أو القرن السابع للميلاد وحده حدثت عدة تطورات على الحرف العربي وتغيرت كثير من أوضاعه، إذ أضيفت خلال الفترة من الربع الأول إلى الربع الثالث من القرن الأول الهجري على الحرف العربي حركات الإعراب والإعجام. فقد أخذ المتحمسون لوقاية كتاب الله تعالى من التحريف واللحن يفكرون في الوسيلة إلى هذه الغاية، فاخترعوا الشكل والنقط. وهكذا، برزت ثلاث محاولات معروفة وهي محاولة أبي الأسود الدؤلي، ومحاولة يحي بن يعمر ونصر بن عاصم في العصر الأموي، والأخيرة هي محاولة الخليل ابن أحمد الفراهيدي في العصر العباسي الأول لتوحيد الأشكال والإعجام.

ومما لا شك فيه، أن القيمة الزخرفية للخط العربي كانت من أهم العوامل التي دفعت الفنانين التطبيقيين في أوربا إلى إدخال هذا الخط في مصنوعاتهم وإنتاجاتهم. فقد انتشرت هذه الزخارف المستوحاة من الخط الكوفي في منتجات الفنون التطبيقية من مختلف المواد من أخشاب ومعادن وزجاج ورخام ونسيج، كما وجدت على أدوات مختلفة مثل: مطارق الأبواب والرفوف والنوافذ ذات الزجاج الملون والأبواب والأقمشة والعملات والمنحوتات والصور والرسوم والمخطوطات وغير ذلك. وهكذا، نرى آثار الخط العربي ملموسة في المجتمعات والفنون الأوربية، فقد استخدم في زخرفة القصور كما في اسبانيا وإيطاليا، وفي تزيين الميداليات والمخطوطات والمنسوجات والخزف والسجاد كما في السجاد الألماني والهولندي. كما زيّن الخط العربي النقود الأوربية، فقد كتب الملك "أوفا" ملك ميرسيا على كل وجه من عملة ذهبية ثلاثة أسطر بالخط الكوفي، ونقش الملك "روجر" حاكم صقلية نقودا عليها كتابة عربية.

وكان الهدف الفني وحده هو غاية الفنان الأوربي من الكتابة العربية، وكانت الفكرة الزخرفية وحدها هي التي أدت بالفنان الأوربي إلى اقتباس الحروف العربية وتسجيلها بطريق الحفر والرسم على مختلف أنواع الإنتاج الفني. وهكذا كانت الصفات الفنية للحروف العربية كعنصر تشكيلي سببًا في شهرته وانتقاله إلى أرجاء العالم الغربي واحتلاله هذه المكانة اللائقة من التقدير والسمو.

ويمكن القول إن الخط العربي في العصر الحاضر يتصدر في كل مجال توافر له، سواء في لوحة جدارية أو في صفحة من كتاب أو واجهات من مساجد ومبان أو مقطع من آنية معدنية أو فخارية أو زجاجية أو قطعة قماش أن يبث فيها فنه الزاهر المتألق في آية كريمة أو حديث شريف أو حكمة بالغة أو قول مأثور أو بيت شعر. فالحرف العربي يستخدم في تكرار إيقاعي ليوحي بمرآة تعكس الحلم الخالص بانتزاعه اللغة وتقديمها في شكل فني. فالخط فن متطور دون شك؛ وذلك لأنه مقترن باللغة وبالحروف وبطريقة إضفاء الحياة عليها من أشكال زخرفية وهندسية، وبالتالي هو فن الكتابة، وهناك الكثير من الشعوب التي توليه عناية فائقة وخاصة الفنان المسلم.

وعلى هذا، فكان فن الكتابة من أهم الفنون الإسلامية، وقد أدى الاهتمام بهذا الفن إلى تطوير الخط العربي وتحسينه، وتجميل حروفه وتقويتها ومدّها وزخرفتها بالأزهار والأوراق النباتية. وتعتبر زخرفة الأوراق هي الأقدم في هذا المجال، وشغلت الكثير من الباحثين والمهتمين. ومن هنا فقد ترابطت الفنون الإسلامية بالخط العربي والزخرفة، وذلك عندما وضعت النظريات وصنفت المصنفات من قبل الرواد الذين كانوا يدرسون الفنون الإسلامية.

ونستنتج من هذه الدراسة أيضا أن الخط العربي كما حظي في عصوره المبكرة بمكانة مرموقة لدى الكتّاب والخطاطين فهي لا تزال تحظى بمكانة عالية لديهم في العصر الحاضر، وأنه قد أنجب عددا لا يحصى من أهل الفن الخالدين الذين تركوا على صفحات العصور ما حافظ على الطابع الإسلامي في البلدان الإسلامية العديدة. وحقدًا على تفوقه على جميع الخطوط العالمية وشيوعه في كافة أنحاء الأرض، قامت هناك حركات متتالية تهدف إلى إلغاء الخط العربي وحروفه كتابةً وطباعةً والاستعاضة عنها بالحروف اللاتينية، وما لبثت هذه الحركات أن خفت حدّتها وسكت نعيبها. وظلّ الخط العربي وحروفه الجميل على قيد الحياة تخطّها الأيادي وتضربها الآلات الكاتبة وتنشرها المطابع كتبا ومجلات وجرائد. وذلك لأن الحرف العربي هو أجمل حروف الدنيا، وهو حرف اختزالي، أجمع العلماء والمؤرخون على تفوقه واحتلاله مركز الصدارة بين خطوط العالم. لذا يجب علينا أن نعتني بهذا الإرث الحضاري والمعجزة البيانية ونقوم بإجراء المزيد من الدراسة حول حروفه التي كتبت بها الآيات القرآنية وعلقت بها العقيدة والفكر والأدب والدين. فلا عجب أن نتمسك بها كما تمسكت كل الأمم ذات الحضارة وصاحبة الأديان السماوية بكتاباتها ولغة دينها.

وإني لا أزعم لنفسي أبدا أن بحثي هذا قد بلغ حدّ الكمال وحدّد جميع المشاكل وعالجها في مجال الخط العربي وتطوره وأنه لا حاجة لإجراء البحوث الأخرى حول هذا الموضوع الآن، بل الكمال لله وحده، ويبقى له وحده، مهما سعى الإنسان لبلوغه وحاول العلماء والباحثون الوصول إليه. فلذلك أقول إن

باب النقاش حوله مفتوح وهناك حاجة ملحة لإلقاء الضوء على بداية الخط العربي وتطوره حتى تتضح معالم الخط العربي وكيفية بدايته أكثر.

وعلى الرغم من هذه النتيجة التي وصلتُ إليها والتي أسفرت عنها الدراسة التحليلية بشأن أصل الخط العربي واشتقاقه وتطوره، إلا أن هذا الموضوع يتطلب المزيد من متابعة البحث، لأن النقوش والكتابات الخطية القديمة لا تزال مدفونة تحت الركام في تلك البقاع العربية، ونأمل أن يقوم علماء الآثار في المستقبل بعملية الحفريات والتنقيبات لاكتشاف المزيد من النقوش العربية التي ستمهّد الطريق إلى الكشف عما في أصل الخط العربي واشتقاقه من غموض وإبهام حتى يتمكن الباحثون من إجراء البحث حوله في ضوء هذه الاكتشافات الأثرية والنقوش الخطية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق، الفهرست، بيروت، دار المعرفة، (لا.ت).
- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، سرّ صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، (لا.م؛ لا.ن؛ لا.ت).
- ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (لا.ت).
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، ط1، ج2، تحقيق وتقديم رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، 1987م.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، ج16، بيروت، مكتبة صادر، 1953م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله، عيون الأخبار، ج1، بيروت، دار الكتاب العربي، (لا. ت).
- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، ط1، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م.
- الأصفهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج5، بيروت، دار الفكر، 1996م.
- الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط4، دمشق، دار القلم، 2009م.
- الألوسي، عادل، الخط العربي نشأته وتطوره، ط1، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2008م.
- البابا، كامل، روح الخط العربي، ط3، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، 1988م.
- البلاذري، أحمد بن يحي، فتوح البلدان، بيروت، مؤسسة المعارف، 1987م.
- البهنسي، عفيف، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ط1، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1984م.
- التميمي، المعز بن باديس، عمدة الكتّاب وعدّة ذوي الألباب، ط1، إيران، مجمع البحوث الإسلامية، 1409هـ.
- التوحيدي، أبو حيان، رسالة في علم الكتابة، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دمشق، (لا. ن)، 1951م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، ط3، ج1، بيروت، دار صعب، 1982م.
- الجبوري، كامل سلمان، موسوعة الخط العربي الخط الكوفي، ط1، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1999م.
- الجبوري، كامل سلمان، موسوعة الخط العربي خط الثلث، ط1، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 2000م.
- الجبوري، كامل سلمان، موسوعة الخط العربي خط النسخ، ط1، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1999م.
- الجبوري، يحيى وهيب، الخط والكتابة في الحضارة العربية، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994م.
- جمعة، إبراهيم، دراسة في تطور الكتابات الكوفية، (لا. م)، دار الفكر العربي، (لا. ت).
- الجهشياري، أبو عبد الله محمد، كتاب الوزراء والكتّاب، بيروت، دار الفكر الحديث، 1988م.
- حسام الدين، كريم زكي، العربية تطور وتاريخ، (لا.م؛ لا.ن؛ لا.ت).
- حمادة، محمد ماهر، الكتاب في العالم، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1994م.
- حنش، إدهام محمد، الخط العربي وحدود المصطلح الفني، ط1، الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، 2008م.
- خفاجي، محمد عبد المنعم، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، بيروت، دار الجيل، 1990م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ط1، بيروت، دار المعرفة، 2005م.
- رسالة الخط والقلم المنسوبة إلى ابن قتيبة، تحقيق حاتم صالح الضامن، (لا. م؛ لا. ن)، 1988م.
- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ج26، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، 1990م.
- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ج9، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، 1971م.
- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ط2، ج4، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، 1987م.

- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ط2، ج8، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، 1994م.
- الزبيدي، محمد مرتضى، حكمة الإشراق إلى كتّاب الآفاق، القاهرة، مطبعة المدني، (لا.ت).
- الزنجاني، أبو عبد الله، تاريخ القرآن، طهران، منظمة الإعلام الإسلامي، 1984م.
- الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، القاهرة، دار نهضة مصر، (لا. ت).
- زيات، حبيب، الوراقة والوراقون في الإسلام، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1947م.
- زيدان، جرجي، العرب قبل الإسلام، (لا. م)، مؤسسة دار الهلال، (لا. ت).
- زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م.
- سفند دال، تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى العصر الحاضر، ترجمة محمد صلاح الدين حلمي، القاهرة، المؤسسة القومية للنشر والتوزيع، 1958م.
- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (لا. ت).
- السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج2، بيروت، منشورات المكتبة المصرية، 1986م.
- شوحان، أحمد، رحلة الخط العربي من المسند... إلى الحديث، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2001م.
- الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، ط1، ج5، بيروت، دار الكتاب العربي، 2000م.
- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، أدب الكتّاب، القاهرة، المطبعة السلفية، 1341هـ.
- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ط5، القاهرة، دار المعارف، (لا. ت).
- الطبّاع، إياد خالد، المخطوط العربي، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011م.
- عبادة، عبد الفتاح، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم العربي، (لا.م)، مطبعة هندية، 1915م.

- عبد الله، محمد عبد القادر، الخطوط العربية، ط1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م.
- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، ج8، بيروت، دار العلم للملايين، 1971م.
- غويدي، اغناطيوس، المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة، القاهرة، مطبعة يوحنا بردي، 1930م.
- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ط3، ج17، بيروت، دار الكتاب العربي، 2000م.
- القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج2،1،3، (لا.م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م.
- الكردي، محمد طاهر، تاريخ الخط العربي وآدابه، ط1، (لا.م)، مكتبة الهلال، 1939م.
- الكسندر ستيبتشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة محمد م. الأرناؤوط، القسم الأول، الكويت، (لا. ن)، 1993م.
- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م.
- المدبر، إبراهيم، الرسالة العذراء، ط2، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1931م.
- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الخط العربي من خلال المخطوطات، (لا. م؛ لا. ن؛ لا. ت).
- المصرف، ناجي زين الدين، بدائع الخط العربي، بغداد، مؤسسة رمزي للطباعة، 1972م.
- المغري، حمود جلوي، و: الهزاع، نايف مشرف، التجارب المعاصرة في الخط العربي، ط1، الكويت، (لا. ن)، 1997م.
- المنجد، صلاح الدين، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، ط2، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1979م.
- ناصف، حفني، حياة اللغة العربية، ط1، الظاهر، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م.

- هاري إلمر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ج1، ترجمة محمد عبد الرحمن برج، (لا. م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.
- ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، ط1، مصر، مطبعة الاعتماد، 1939م.

المجلات والدوريات

- مجلة الجوبة، ربع سنوية تصدرها مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، المملكة العربية السعودية، العدد 41، 2013م.
- مجلة الحكمة، المدينة المنورة، العدد 10، جمادى الثانية 1417هـ، والعدد 12، صفر 1418هـ.
- مجلة العربي، شهرية ثقافية تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، الكويت، العدد 673، 2014م.
- مجلة المجمع العلمي العراقي، مج20، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1970م.
- مجلة المورد، فصلية تراثية تصدرها وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، الجمهورية العراقية، عدد خاص عن الخط العربي، العدد الرابع، 1986م.

المصادر الأجنبية:

- Coulmas, Florian. (1989). The Writing Systems of the World. Oxford: Basil Blackwell.
- Diringer, David. (1968). The Alphabet: A Key to the History of Mankind. London: Hutchinson.
- George, Alain. (2010). The Rise of Islamic Calligraphy. London; Berkekey, Calif. : Saqi.
- Harris, Roy. (1986). The Origin of Writing. London: Gerald Duckworth.
- Rahi, Ishwar Chandra. World Alphabets: their Origin and Development. Allahabad: Bhargava Printing Press.
- Schimmel, Annemarie. (1970). Islamic Calligraphy. Netherlands: E. J. Brill.

- Siddiqui, Atiq R. (1990). The Story of Islamic Calligraphy. Delhi: Sarita Book House.

مصادر الويب:

- أبو جنة، (2010)، خط كوفي هندسي، Retrieved from http://albana.ibda3.org/t349-topic
- أبو زيد 110، (2013)، المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه Retrieved from http://www.ibtesamh.com/showthread-t_349518-12.html
- أبو موسى أحمد، (2010)، كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوي، Retrieved from http://m-noor.com/showthread.php?p=7625
- احتاجك يبه، (2010)، الخط الكوفي البسيط، Retrieved from http://www.hawaalive.com/women/a7t-t85412.html
- أرض الحضارات، الخط العربي، Retrieved from http://www.landcivi.com/new_page_234.htm
- آزال العريقة، (2011)، خصائص كتابية ولغوية للغة النقوش اليمنية القديمة، Retrieved from http://www.lakii.com/vb/blogs/587902/blog-1232/
- أكتوم، (2008)، نبذة عن الخط العربي وأنواعه، Retrieved from http://www.maxforums.net/showthread.php?t=118990
- إيمان يحيى، (2009)، نقوش جبل سلع، Retrieved from http://vb.tafsir.net/tafsir16028/#.VTaVrtKqqko
- جلال أمين صالح، (2010)، لوحات شخصيات مرسومة بالخطوط، Retrieved from http://www.dev-point.com/vb/t162389.html
- جون، (2010)، مصحف من إيران، Retrieved from http://www.kalemasawaa.com/vb/showthread.php?t=10683&page=2
- حسام أبو الدهب، (2009)، مسجد مولانا الإمام الحسين، Retrieved from http://rabah2010.3arabiyate.net/t235-topic
- حسن أبو عفش، (2013)، خطاط من قلب الجليل، الخطاط سعيد النهري، Retrieved from http://hibastudio.com/said-alnahri/
- حسن أبو عفش، (2014)، الخط العربي، قمة الجمال وذروة الإبداع، Retrieved from http://hibastudio.com/caligrphy-height-beauty/
- حسن كنعان، خط النسخ، Retrieved from http://freeislamiccalligraphy.com/portfolio/al-hadid-57-16/?lang=ar

- حميد درويش عطية، (2011)، لوحات من روائع الخط العربي، Retrieved from http://www.mnaabr.com/vb/archive/index.php/t-5891.html
- خالد محمد خالد، (2012)، متحف ديفيد في كوبنهاكن، Retrieved from /https://arabictype.wordpress.com/2012/04/09/plundered-islamic-heritage
- خالد محمد خالد، (2013)، كتابة كلام الله، Retrieved from /https://arabictype.wordpress.com/2013/06/06/andthenbeirut
- الخط العربي، خط الثلث، Retrieved from https://www.pinterest.com/pin/348536458634100091
- رحاب عبد الله، (2010)، دروس خط النسخ للخطاط هاشم محمد، Retrieved from http://kenanaonline.com/users/gamalelkhatelarabie/links/3143
- زهير صاحب، (2009) الكتابة السومرية، Retrieved from http://www.doroob.com/archives/?p=39873
- ستار تايمز، (2013)، الخط العربي في الديكور، Retrieved from http://www.startimes.com/f.aspx?t=33495172
- سحايب، (2012)، سلسلة الخط العربي خط النسخ، Retrieved from http://www.s66b.com/vb/showpost.php?p=943935&postcount=1
- سعد الدين أبو الحب، جذور الكتابة العربية الحديثة: من المسند إلى الجزم، Retrieved from http://arabetics.com/public/html/more/History%20of%20the%20Arabic%20Script_article_Arabic.htm
- سلطان مقطري، (2013)، خط المسند، Retrieved from https://sultantype.wordpress.com/2013/04/09/musnad
- سهيل، (2011)، مجموعة دافيد، Retrieved from http://www.mazameer.com/vb/showthread.php?t=134344&page=3
- شاكر مجيد سيفو، (2014)، حكاية الأساطير في حضارة وادي الرافدين، Retrieved from http://www.alquds.co.uk/?p=175983
- شبكة المبدعين، خط الثلث الثقيل، Retrieved from http://mobda3.net/albm/details.php?image_id=34&sessionid=e5263be0f0f2dbfbf3005aa62a44b764
- طالبة الجنة، (2008)، صور نادرة للمصحف الشريف، Retrieved from http://www.mktaba.org/vb/showthread.php?t=8637
- عبد الرحمن بن معاضة الشهري، (2010)، تدريس رسم المصحف بتوسع لطلبة الدراسات العليا...، Retrieved from /http://www.alukah.net/library/0/27006
- عبد الغني، (2010)، نقوش وكتابات... نقش النمارة، Retrieved from http://www.alraimedia.com/Articles.aspx?id=212982

- علاء الكاشف، (2011)، موسوعة التاريخ الفرعوني، Retrieved from http://www.majalisna.com/b/vt.php?TID=139651
- فلاش كارد، الخط الكوفي، Retrieved from https://www.studyblue.com/notes/note/n/art-history-i-final/deck/4707033
- فن الرسم، (2009)، اللوحات الفائزة في مسابقات فن الخط بتركيا، Retrieved from http://www.draw-art.com/showthread.php?t=189
- الكتابة الهيروغليفية، (2012)، Retrieved from http://karameesh.lolbb.com/t35341p10-topic
- ليث شاكر محمود رشيد، نشأة الخط العربي في الأنبار، Retrieved from http://www.mesopot.com/default/index.php?option=com_content&view=article&id=226
- مجدي سالم، (2014)، نماذج من إبداعات الخطاطين، Retrieved from http://forum.eldwli.com/t176332.html
- محمد حسن، (2009)، سد معاوية، Retrieved from http://qaytbay.blogspot.in/2009/02/blog-post_23.html
- مدونة الخط العربي، (2011)، كتاب – خط النسخ، Retrieved from http://khattot.blogspot.in/2011/10/blog-post.html
- معتز، (2012)، متحف الرسول صلى الله عليه وسلم، Retrieved from http://www.shababadrar.net/vb/threads/59060/
- مفيد رائف العابد، الكتابات القديمة، Retrieved from http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=160376&m=1
- منتدى الخط العربي، (2015)، أقلام الخط العربي، Retrieved from http://alkhdalarbe.7olm.org/t10-topic#
- منتدى الفنون الجميلة، (2009)، خط الثلث، Retrieved from http://www.al-deer.net/vb/showthread.php?t=14756&langid=14
- منتدى الوسطية الإسلامي، (2012)، الخط الكوفي المربع، Retrieved from http://www.alwasatyah.com/vb/showthread.php?t=23399
- موراني، (2005)، لا إله إلا هو إليه المصير، Retrieved from http://vb.tafsir.net/tafsir3628/#.VWicatKqqko
- نبيه الرفاعي، (2007)، المضفر، Retrieved from http://www.mobda3.net/vb/showthread.php?t=243
- وجيه المرسي، (2011)، الكتابة، وخصائصها، وأهميتها، وأنواعها، وعلاقتها مع فنون اللغة الأخرى. Retrieved from http://kenanaonline.com/users/wageehelmorssi/posts/269132

- ويكيبيديا، (2010)، خط قيرواني، Retrieved from http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D8%B7_%D9%82%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%86%D9%8A
- ويكيبيديا، (2010)، خط مكي، Retrieved from http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D8%B7_%D9%85%D9%83%D9%8A
- ياسين محمد محي الدين، (2010)، بسملة... لوحة جديدة، Retrieved from http://www.mnaabr.com/vb/archive/index.php/t-545.html
- يسري أنور، (2014)، روائع الخط العربي، Retrieved from http://arabiccalligraphy4all.blogspot.in/2014_08_01_archive.html

فهرس الموضوعات

مقدمة البحث 1–9

الباب الأول: المدخل إلى الموضوع 10–58

الفصل الأول: أهمية الخط والكتابة والفرق بينهما 11–24

الفرق بين الخط والكتابة 17

أهمية الخط والكتابة 19

الفصل الثاني: نشأة الخط والكتابة وتطورهما 25–42

الكتابة البدائية 26

الكتابة في بلاد الرافدين 27

الكتابة المصرية 30

الكتابة الفينيقية 32

الكتابة العربية 36

الفصل الثالث: مواد الخط والكتابة وأدواتهما 43–58

الحجر والطين 43

ورق البردي 44

الرقّ والجلد 46

مواد أخرى 48

الورق 50

أدوات الخط والكتابة 51

القلم 51

المداد والحبر 52

المحبرة والدواة 53

صور وأشكال 57–58

الباب الثاني: تطور الخط العربي في القرنين السابع والثامن الميلادي 59–132

الفصل الأول: الخط العربي في عصر ما قبل الإسلام 60–75

أصل الخط العربي 60

الخط الثمودي 62

الخط الصفوي 62
الخط اللحياني 63
نقش النمّارة 65
نقش زبد 66
صور وأشكال 73–75
الفصل الثاني: الخط العربي في العصر الإسلامي 76–92
الكتابة في الحجاز 82
صور وأشكال 86–92
الفصل الثالث: الخط العربي في العصر الأموي وبداية العصر العباسي 93–111
الخط العربي في العصر الأموي 93
المصاحف 96
الكتابات الحجرية 97
كتابات البردي 98
ضبط الحروف بالشكل والإعجام 98
الخط العربي في بداية العصر العباسي 101
صور وأشكال 108–111
الفصل الرابع: اللوحات والمصاحف الخطية 112–132
المصاحف الخطية 113
اللوحات الخطية 122
صور وأشكال 113–132
الباب الثالث: أنواع الخطوط العربية وخصائصها البارزة 133–195
الفصل الأول: الخط المسند والخط الكوفي 134–156
الخط المسند 134
المسند تسمية واصطلاحا 138
أشكال الخط المسند وملامحه 139
مواد الكتابة بالخط المسند 142
صور وأشكال 143–144
الخط الكوفي 145

أنواع الخط الكوفي 148
صور وأشكال 154-156
الفصل الثاني: خط النسخ وخط الثلث 157-180
خط النسخ 157
خط النسخ تسمية واصطلاحا 159
خصائص خط النسخ 164
صور وأشكال 167-168
خط الثلث 169
خط الثلث تسمية واصطلاحا 171
أنواع خط الثلث 173
خصائص خط الثلث 176
صور وأشكال 178-180
الفصل الثالث: خصائص الخطوط العربية البارزة 181-195
خصائص الخط العربي في عصر ماقبل الإسلام والعصر الإسلامي 189
خصائص الخط العربي في العصر الأموي 191
خصائص الخط العربي في العصر العباسي 193
الخصائص العامة للخط العربي 194
خاتمة البحث 196-203
المصادر والمراجع 204-212
فهرس الموضوعات 213-215